مطبوعات المجمع العلمي العراقي

دراسات في تاريخ بغداد وخططها

كتب مؤلفة (١)

بغداد مدينة السلام

انشاؤها وتنظيم سكانها في العهود العباسية الأولى

(١)

الجانب الغربي

تأليف

الدكتور صالح احمد العلي

رئيس المجمع العلمي العراقي

المجلد الاول



مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٩٨٥

مطبوعات المجمع العلمي العراقي

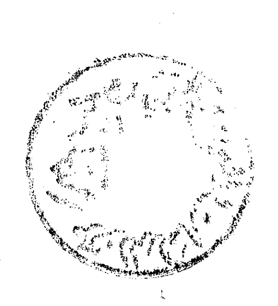
دراسات في تاريخ بغداد وخططها

كتب مؤلفة (١)

بغداد مدينة السلام

انشاؤها وتنظيم سكانها في العهود العباسية الأولى

(١)
الجانب الغربي



تأليف

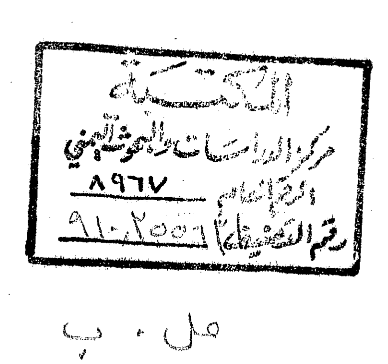
الدكتور صالح احمد العلي

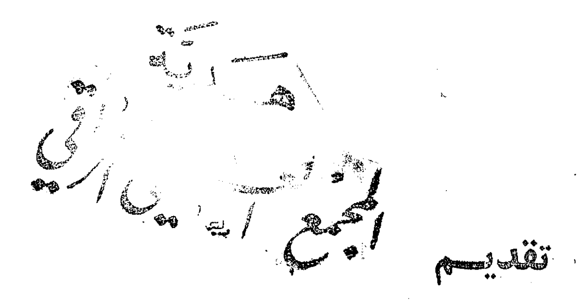
رئيس المجمع العلمي العراقي



مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٩٨٥


المكتبة
مركز الدراسات والبحوث اليمني
الرقم العام ٨٩٦٧
رقم التصنيف ٩١٠،٢٥٥٦



تقديم

تتبوأ بغداد مركزاً متميزاً في تاريخ وحضارة العرب والاسلام ، عبّرت عنه أقوال تصفها أيام عزها وازدهارها ، وتشيد باتقان هندستها وكثافة سكانها وامتداد اقتصادها وازدهار الفكر فيها وكثرة من أمّها واستوطنها من العلماء والمفكرين وغزارة ما أنتجوه وأبدعوه في شتى ميادين الآداب والفنون والمعارف والعلوم ؛ فقال اليعقوبي انها : « المدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الارض ومغاربها سعة وكبراً وعمارة وكثرة مياه وصحة هواء ، ولأنه سكنها من أصناف الناس وأهل الأمصار والكور ، وانتقل اليها من جميع البلدان القاصية والدانية ، وآثرها جميع أهل الآفاق على أوطانهم ، فليس من أهل بلد الا ولهم فيها محلة ومتجر ومتصرف ؛ فاجتمع بها ما ليس في مدينة في الدنيا .. سيقت اليها خيرات الارض ، وجمعت فيها ذخائر الدنيا ، وتكاملت بها بركات العالم .

وهي مع هذا مدينة بني هاشم ودار ملكهم ومحل سلطانهم ، لم يبتد بها أحد قبلهم ، ولم يسكنها ملوك سواهم .. ثم هي في وسط الدنيا .. حسنت أخلاق أهلها ونضرت وجوههم ، وانفتقت أذهانهم حتى فضلوا الناس في العلم والفهم والادب والنظر والتمييز والتجارات والصناعات والكسب والحذق بكل مناظرة ، واحكام كل مهنة ، واتقان كل صناعة ، فليس عالم أعلم من عالمهم ، ولا أروى من راويهم ، ولا أجدل من متكلمهم ، ولا أعرب من نحويهم ، ولا أصح من قارئهم ، ولا أمهر من متطببهم ، ولا أحذق من مغنّيهم ، ولا ألطف من صانعهم ، ولا أكتب من كاتبهم ، ولا أبين من خطيبهم ، ولا أعبد من عابدهم ، ولا أورع من زاهدهم ، ولا أفقه من حاكمهم ، ولا

أخطب من خطيبهم ، ولا أشعر من شاعرهم ، ولا أفتك من ماجنهم »[1] .

وقال فيها الخطيب «لم يكن لبغداد في الدنيا نظير في جلالة قدرها ، وفخامة أمرها ، وكثرة علمائها وأعلامها ، وتميز خواصها وعوامها ، وعظم أقطارها ، وسعة أطرارها ، وكثرة دورها ومنازلها ودروبها وشعابها ومحالها وأسواقها وسككها وأزقتها ومساجدها وحمّاماتها وطرزها وخاناتها وطيب هوائها »[2] .

ووصفها ابن الفقيه بقوله « هي محل الخلفاء ، ومسكن الوزراء ، ومأوى بني هاشم ومقرهم ومفزعهم من الشدائد والرخاء ، الواسعة الدور ، الكثيرة القصور ، الغزيرة الأنهار ، المريّة العيون ؛ صحيحة البناء ، رحبة الفناء ، نزهة الهواء ، رفيقة بالغرباء ، مؤاتية لكل من أتاها ، مغيثة لمن اشتكاها ، حسنة الصحبة ، طيبة التربة ، مسكن من تغنّى ، ومعقل من تنسك .. معدن كل تاجر معروف ، وحسبك بلدا قد جمع الله فيها ما فرّقه في غيرها من البلدان من أنواع التجارات وأصناف الصناعات ، فهي سلة الدنيا ، وخزانة الارض ، معدن العلم وينبوع الحكمة ، في أهلها ظرفاء فضلاء فيهم الجمال ، ولباسهم الكمال .

ما مثل بغداد في الدنيا ولا الدين   على تقلبها في كل ما حين »[3]

وعندما عزم أبو جعفر المنصور بناء مدينة تكون دار ملكه ، قرر أن تكون على أطراف دجلة في وسط العراق حيث الارض منبسطة ، والتربة خصبة ،

---

(1) البلدان ٢٣٣ ــ ٥ .
(2) تاريخ بغداد ١/١١٩ .
(3) بغداد مدينة السلام ٦٠ ، وانظر أقوالا أخرى عنها ٦٠ ــ ٦٤ ؛ الخطيب ١/٤٥ فما بعد ؛ ياقوت : معجم البلدان ١/٦٧٥ فما بعد ؛ ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ١٦٢ ؛ الثعالبي : لطائف المعارف ١٧٠ ؛ النويري : نهاية الارب ١/٣٦٠ .

تنساب فيها الأنهار والترع ، آخذة ماءها من الفرات ، ومنتهية في دجلة ، وهي توفر المياه للارواء والزراعة ، وللنقل والمواصلات ، فضلا عن أنها تكوّن خطوطاً دفاعية تعرقل تقدم الجيوش الغازية ؛ ولعل هذه الخصائص والميزات هي التي حملت معظم الدول الكبيرة القديمة على أن تتخذ فيها مراكزها وعواصمها ، بدءاً من أوبيس عاصمة الأكاديين ، فسلوقية مركز السلوقيين ، فالمدائن عاصمة الفرث والساسانيين • ثم بغداد مدينة العباسيين ومركز دولتهم وعاصمة العراق اليوم والى ما شاء الله •

والرقعة التي اختارها أبو جعفر لتشييد مدينته كانت عند اختياره لها فيها مزارع منبثة ، وتجمعات قروية صغيرة ، ودير للنصارى ؛ فلم تقيده في تصميمها أبنية مشيدة ، أو مسقفات ومستغلات ترفع من أثمانها ؛ وبذلك كان حرّاً في وضع تصميمها وتنفيذه وتشييده بالشكل الذي يراه ، وبالسعة التي يرتئيها •

كان الغرض الأول للمنصور من بناء مدينته هو أن يتخذها مقاماً له ولحاشيته ودواوينه وحرسه وجنده المقيمين حوله ؛ فكانت لها عند تخطيطها الأول هذه السمة «الرسمية» العسكرية ، وقد أفرغت وفق تخطيط مدروس روعي فيه التنسيق لأداء الغرض الذي أنشئت من أجله •

غير أن المنصور منذ أن اعتزم تشييد عاصمة جديدة له ، فكّر في توسعها ، وقرر أن يختار منطقة تستوعب التوسع وتحتمل الزيادة في السكان• فلما وضع تخطيطها وبدأ بتنفيذه لم يغفل تواجد العنصر الحضري ، فأمر «أن تجعل الاسواق في طاقات المدينة ، ازاء كل باب سوقاً » (٤) ؛ كما قدّر أن توضع في الارباض أسواق ، وأمر القائمين ببناء الارباض « أن يوسعوا في الحوانيت في كل ربض •• وأن يبتنوا في جميع الارباض والاسواق والدروب

---

(٤) ابن الفقيه ٢٧ ، الطبري ٣/٣٢٣ •

من المساجد والحمامات ما يكتفى بها من في كل ناحية ومحلة [٥] .

والواقع أن أعداداً كبيرة من الصناع والفعلة قاموا ببنائها الاول ، ولابد أنه رافق وجودهم عدد غير قليل من الكسبة والباعة والتجار لتزويدهم بما يحتاجون ، وأدى استمرار البناء واطراد النمو الى تزايد أعدادهم ، مما قاد بدوره الى تطوير سمتها الاولى التي أرادها لها ؛ وقد حمل حرص ابي جعفر على الاحتفاظ بسمتها الاولى ، الى نقل التجار من المدينة المدورة الى أرباضها الجنوبية .

غير أن نقل التجار من المدينة المدورة لم يعطل نمو النشاط الاقتصادي من عمل وصناعة وتجارة ، ولم يوقف تدفق المهاجرين للافادة من الفرص التي يوفرها هذا المركز الجديدة في ميادين الحياة الاقتصادية . وبهذه الهجرات الحرة ازداد عدد السكان في الارباض والاطراف ، ونمت الأسواق الكبيرة في الكرخ وفي باب الشام ، بالاضافة الى عدد كبير من الأسواق الفرعية التي انبثت في أرجاء متعددة فيها .

ومنذ بداية تأسيس بغداد حظي العلم فيها برعاية خاصة أولاها الخليفة ورجال حاشيته ثم أهل بغداد ؛ فأخذ العلماء ومحبو العلم يتقاطرون اليها من مختلف أرجاء الدولة ، فجاءها العلماء من المدينة المنورة والكوفة والبصرة ، كما جاءها علماء من جنديسابور ومن الهند ليعرضوا معارفهم فيزيدوا ويستزيدوا ، وأنموا حركة فكرية متعددة الجوانب ، رحبة الآفاق ، عميقة الآراء ، يوسعها اعجاب بالفكر وتقدير لحَملته ورغبة في نشره ؛ وكانت حرة مفتوحة للجميع ، هدفها الفكرة دون المال ، والكلمة دون المادة ؛ تعمل ضمن اطار العروبة والاسلام ، في أفق رحب من الانسانية والعالمية في جزئياتها وكلياتها ، دون الانحصار في الاقليمية الضيقة .

---

(٥) اليعقوبي : البلدان ٢٤٢ .

ان هذين الميدانين الواسعين : الاقتصاد والعلم رافقهما ازدهار في الفنون بمختلف صورها ، من شعر وأدب ، وموسيقى وغناء ، وبناء وزخرفة ؛ كما رافق كل ذلك نمو مؤسسات ادارية واجتماعية تنظم المجتمع ، وتؤمن له الحياة الآمنة المستقرة .

كل هذا أدى الى أن يتلاشى الطابع «الجدّي العسكري» الذي اتسمت به بغداد في أوائل تأسيسها ، وحل محله مظهر حضري ينشد فيه أهلها الحياة الغنية السعيدة وما فيها من عيش رغيد ، وجمال مبهج ، وفكر عميق .

ان بغداد بعد أن أصبحت موئل الخلافة ، ومركز الدولة ، وسرة الدنيا ، اتخذت نظرة عالمية تهتم بالانسان والكون ، وتسمو على الزمان والمكان ، وانغمرت في حياة وصلت الى عظمة ادركها الجميع ، ولم تعد لأهلها حاجة الى التفاخر في عظمة مدينتهم وفضائلها التي يدركها الجميع ، ويقر بها الكل .

وعندما نقل المعتصم مقام الخلافة الى سر من رأى «انتقل الوجوه والجلة والقواد وأهل النباهة من سائر الناس مع المعتصم الى سر من رأى في سنة ٢٢٣ ، ثم اتصل بهم المقام الى أيام الواثق والمتوكل، ولم تخرب بغداد ولا نقصت أسواقها ، لأنهم لم يجدوا منها عوضا »[٦] .

غير أنه حدثت في أواسط القرن الثالث الهجري تطورات من شأنها تحدي مكانة بغداد ، فقد كان الخلفاء يقيمون في سامرا متعرضين لتجاوزات القواد ، واكثرهم من الجند الاتراك ، واتخذ ولاة كثير من الاقاليم لأنفسهم سلطات واسعة جعلتهم شبه مستقلين في أعمالهم ، وحصرت حكم ولاياتهم بأسرهم ، واعتمدوا في تثبيت مكانتهم على قوات عسكرية محلية ، واستعر اضطراب أثاره صاحب الزنج وتهدد به الامن في المناطق الجنوبية من العراق ، وأدى الى لجوء أعداد كبيرة من المناطق المهددة الى بغداد ، ثم أعادت الخلافة

---

(٦) البلدان ٢٥٤ .

مقرها الى بغداد ، فأدى ذلك الى نشاط اقتصادي وفكري ، كان من مظاهره، أو لعل من دوافعه ، الاهتمام بتدوين تاريخ احوالها العمرانية ؛ وبدأ التدوين ضيقاً محدوداً باشارات مقتضبة في كتب التاريخ ، أو بذكر عدد محدود من المعالم كالذي نجده في فتوح البلدان للبلاذري وفي تاريخ الطبري ، ثم بنطاق أوسع كالذي نجده في المصادر التي اعتمدها ونقل عنها الخطيب وابن الفقيه، وكذلك الفصل الواسع الذي كتبه اليعقوبي في كتاب «البلدان» ، وما كتبه سهراب في كتابه « عجائب الاقاليم السبعة » ونقله عنه الخطيب[٧] . غير ان حصيلة ما كتبوه لاتعطي صورة كاملة تشمل عمرانها وتطوره الذي أشاد به من نقلنا بعض أقوالهم أعلاه .

غير أن الحيوية التي نشطت في أواخر القرن الثالث لم تدم طويلا ؛ فمنذ بداية الربع الثاني من القرن الرابع ظهرت أحوال عملت على العبث باستقرارها وأمنها ، وعلى الحد من نشاطها ، فهاجر كثير من أهلها ، وانكمش المقيمون فيها ، فتبدلت أوضاعها العمرانية ؛ وكان التبدل أوضح في الجانب الغربي حيث جفّت معظم أنهارها ، وتحول الاعمار الواسع الى محلات منعزلة محاط كثير منها بأسوار خاصة ، وزال اسم «المدينة المدورة ، ليحل محله اسم «باب البصرة» فحسب .

ورافق كل ذلك تطور كبير في الكتابة عنها ، فألفت كتب عن «فضائلها»، وكثرت الكتب عن علمائها ، بعضها مختص بعلماء علم محدد أو مذهب معين ، وبعضها شامل لأكثر من ذلك ؛ وتتوج هذا بكتاب « تاريخ بغداد » لأحمد بن علي المشهور بالخطيب البغدادي ، الذي ضم تراجم سبعة الآف وثمانمائة

---

(٧) انظر تفاصيل أوفى عن ذلك مقالنا «مصادر دراسة خطط بغداد» المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي م ١٤ سنة ١٩٦٧ ، وكذلك المقدمة الضافية التي كتبها يعقوب ليسنر في كتابه عن خطط بغداد في العهود العباسية الاولى .

وثلاثين من علمائها ، وخاصة في علوم الحديث ؛ بالاضافة الى مقدمته الضافية في خططها • وتميز كتاب الخطيب بذكر مساكن أو مدافن عدد غير قليل من علمائها ، مما له فائدة كبيرة في تتبع استمرار العمران في كثير من مناطقها الى ما بعد القرن الثالث الذي اقتصرت عليه مقدمته الخططية • ثم ان الخطيب عني بذكر مساند معلوماته ، فيسر معرفة بعض مادة كثير من الكتب المفقودة التي بحثت عن بغداد وعلمائها (٨) •

كان تاريخ الخطيب علامة فاصلة ، تبعته كتب ، معظمها ضخمة ، ذيلت عليه باضافة العلماء الذين ظهروا بعد زمن ظهوره ، وفيها اشارات الى بعض معالم بغداد العمرانية (٩) •

ختمت عظمة بغداد بالغزو المغولي الذي أزال الخلافة العباسية ووضع مقاليد الأمور بيد أقوام غير مرتبطين بالاسلام وحضارته ؛ وفقدت السلطة العليا العربية الاسلامية التي ظلت سائدة طوال الخلافة العباسية ، وحلت محلها سلطات «محلية» لم تكن رغم اسلامها متشبعة بالمثل القديمة ؛ فانحدرت بغداد الى مدينة «محلية» ضعف نشاط أهلها ، وخبا العلم فيها ؛ ولم ينقذها ضم العثمانيين العراق الى دولتهم ؛ فظل الركود مخيما عليها ، وان لم يزلها •

ثم ازداد الاهتمام في الأزمنة الحديثة بتاريخ العرب وتراثهم الذي كانت بغداد أكبر موئل له ؛ فجرت عناية بجمع المخطوطات والحفاظ عليها وتنظيم فهارسها وطبعها ، وبذلك تيسرت معرفة الكتب والافادة منها ؛ كما كثرت الدراسات عن الحضارة الاسلامية بمختلف جوانبها ، وبذلك يسرت معرفة

---

(٨) انظر في ذلك الدراسة القيمة للدكتور أكرم ضياء العمري «موارد الخطيب البغدادي » •

(٩) انظر عنها : الوافي بالوفيات للصفدي ١٩/١ ، «الاعلان بالتوبيخ» للسخاوي ٦٢٢ (طبعة روزنثال) «كشف الظنون» لحاجي خليفة ١١٩ — ١٢١ وانظر دراستنا عن مصادر خطط بغداد ، وما كتبه ليسنر في «خطط بغداد في العهود العباسية الاولى ٢١٨ — ٢١٩ (الترجمة العربية) •

الأحوال الادارية والفكرية والحضارية في بغداد التي كانت أعظم مراكزهـا ٠ ومن أبرز الكتب التي نشرت في خطط بغداد وتطور عمرانها كتاب « تاريخ بغداد» للخطيب ، وكتاب «البلدان» لليعقوبي ، وكتاب «معجـم البلدان» لياقوت ، ثم الفصل الطويل الذي كتبه ابن الفقيه الهمداني عن بغداد ونشر في كتاب مستقل بعنوان «بغداد مدينة السلام» والذي يحتوي معظم ، ان لم يكن كل كتاب «فضائل بغداد» ليزدجرد بن مهبنداد ٠

ونشر ايضا عدد من الكتب المذيلة على تاريخ الخطيب ، ومنهـا قطعة من «ذيل تاريخ بغداد» لابن الدبيثي في مجلدين ، ومختصره الذي أعـده شمس الدين الذهبي ؛ وقطعة من « ذيل تاريخ بغداد » لابن النجار في ثلاث مجلدات ؛ والملتقط من ذيل تاريخ بغداد والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن رافع السلامي كما نشرت كتب مختصة كلها أو معظم مادتها عن رجال العلم في بغداد وأبرزها « طبقات الحنابلة » لابي يعلى ، وذيله لابن رجب ، والتكملة لوفيات النقلة للمنذري ٠

حظيت المقدمة الخططية في كتاب الخطيب باهتمام الباحثين في خـطط بغداد٠ فأولوها اهتماما خاصا في دراساتهم، وترجمها مع تعليقات ضافية سالمون الى الفرنسية وليسنر الى الانكليزية٠ ولعل من أسباب هذا الاهتمام ماتميزت به عن غيرها من الكتابات ؛ فقد شملت نصوصا في مدح بغداد وذمها وفيها تصوير مجمل لأحوالها الحضارية ، وفيها ايضا نص طويل منقول عن سهراب هو على مافيه من هنات أوسع بحث وصل الينا عن أنهار بغداد ، كما أن فيهـا بحثا واسعا منقولا عن التنوخي عن دار الخلافة ، ومعلومات عن مقابر بغداد ؛ ومعلومات غير قليلة عن بنائها ، ووصف للمدينة المدورة وما فيها من الأسـوار والقصر والجامع وبعض السكك ؛ وكذلك ذكر كثير من القطائع والأربـاض في الجانب الغربي ، والارباض والقصور في الجانب الشرقي ٠ وتميز الخطيب بذكر المصادر التي اقتبس منها ما أورده ، ومما عزّز مكانتـه المتميزة بـين

المؤرخين تدقيقه في ضبط النصوص ، وعنايته بذكر مساند مصادره • غير أنه بالرغم من سعة المعلومات التي أوردها ، فانه لم يرتبها تبعا لتسلسل مواقعها الجغرافية ، ولم يتابع دراسة كافة تطوراتها العمرانية وخاصة بعد القرن الرابع الهجري ، فضلا عن أنه لم يستوعب كل ما يتعلق بخطط بغداد ؛ ومن هذا النقص الاخير يكتسب ما كتبه اليعقوبي وابن الفقيه الهمداني أهمية ؛ فأما اليعقوبي فانه ذكر كثيرا من المواضع الخططية التي لم يذكرها الخطيب ، وأشار الى أن ما ذكرها كان قائما في زمن أبي جعفر المنصور ، فضلا عن أنه رتب عرض معلوماته تبعاً لتسلسل مواقعها الجغرافية • أما ابن الفقيه الهمداني فمع أن كثيرا من معلوماته وردت عند الخطيب أيضا الا أنه ذكر عددا من المعالم الخططية لم ترد عند الخطيب ، وان كان بعضها ورد عند ياقوت الذي نقل كثيرا مما ذكره الخطيب وابن الفقيه وأضاف اليها نصوصا نقلها عن هلال الصابي والتنوخي ولم يشر الى ما كان قائما من معالم في زمنه • ويتميز ابن الفقيه بنقله كثيرا ، أو ربما كل كتاب يزدجرد بن مهبنداد عن منتوجات بغداد وعمرانها •

وفي كتب التاريخ التي تعنى بالحوادث السياسية معلومات متفرقة عن معالم بغداد العمرانية ، واشارات الى سكانها ، وذكر لرجالها البارزين الذين أسهموا في الحوادث التي ذكرتها • وأوسع الكتب الاولى هو تاريخ الطبري الذي قدّم تفاصيل وافية عن الحوادث الى سنة ٣١٠هـ ، ثم ذيله محمد بن عبدالملك الهمداني الى سنة ٣٧٢ ؛ ومما يعتبر مكملا لتاريخ الطبري ، كتاب «الاوراق» للصولي ، الذي نقل عريب بن سعيد احد اجزائه ونسبها له وكذلك كتاب «تجارب الامم» لمسكويه، وذيليه للروذراوري ولهلال بن المحسن الصابي اما كتاب «المنتظم» لابن الجوزي فتمتد الحوادث التي ذكرها الى سنة ٥٧٠ ، ونقل فيها عن الخطيب كثيرا من التراجم ، كما ذكر في ثنايا بحثه كثيرا من المعلومات الخططية • أما القرن الاخير من الخلافة العباسية فأبرز مصدرين هما

القطعة الباقية من كتاب الجامع المختصر والتي تؤرخ للفترة بين ٥٩٥ ــ ٦٠٦ وكتاب الحوادث الجامعة الذي يؤرخ للسنوات ٦٢٦ فما بعدها ، بالاضافة الى ما ذكره ابن الاثير في كتاب «الكامل» عن حوادث بغداد ، وكذلك «ذيل مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي •

وفي كتب التراجم مادة غنية عن أهل بغداد وخططها ، وأقدم ماوصل الينا كتاب « الطبقات » لخليفة بن خياط ت ٢٤٠هـ ، وذكر فيه أسماء ثلاثين من المحدثين في بغداد ، يتلوه كتاب «الطبقات» لابن سعد ت ٢٥٠ ترجم فيه لمائة وتسعين ممن نزل بغداد مع ذكر مساكن أو مدافن كثير منهم • ثم تتابعت كتب التراجم ، وخاصة في أصحاب الحديث ؛ ومع أن معظمها تراجم عامة ، الا أن نصيب من ظهر في بغداد كبير بسبب ازدهار الحركة الفكرية وما ظهر فيها من علماء •

ولاريب في أن أوج ما وصلت اليه كتب التراجم هو «تاريخ بغداد» للخطيب الذي بالاضافة الى مقدمته الخططية ، فانه ترجم لـ ٧٨٣٠ ممن عاش في بغداد أوأمّها الى تاريخ انتهاء تأليفه وهو سنة ٤٦٣ ؛ وذكر الخطيب مصادر معلوماته ، ومعظمها كتب مفقودة ، عنى بضبط اسماء ونسبة من ترجم لهم ، وذكر معلومات كثيرة متناثرة عن المعالم الخططية لبغداد ، وهي معلومات لم يستفد منها من كتب عن خطط بغداد بالرغم من أهميتها في تثبيت أو تعديل أو اكمال المعلومات المذكورة في المصادر الاخرى •

والواقع ان كتب تراجم رجال بغداد التي ألفت بعد كتاب الخطيب وكان كثير منها ذيولا عليه ، تابعت اسلوبه ونطاقه في ذكر التراجم والاشارات الى بعض المعالم الخططية التي عاش أو دفن فيها المترجم لهم ، وهي كتب واسعة ؛ وكثير منها ضم عددا كبيرا من التراجم ، فالقسم المطبوع من الذيل الذي ألفه ابن النجار ضم تراجم ٨٠٠ ممن يبدأ اسمهم بحرف (ع) • أما الذيل

الذي ألفه ابن الدبيثي فان القسم المطبوع الذي يشمل من اسمه (محمد) تبلغ تراجمه ٤٠٠ ؛ ويضم ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب تراجم اكثر من ثمانمائة رجل ؛ وترجم المنذري لـ ٣١٦٤ من المتوفين بين سنة ٥٨٣ وسنة ٦٤٢ معظمهم من أهل بغداد مع ذكر نسبتهم ومعلومات متناثرة قيمة عن خطط بغداد ؛ ويضم الجزء الرابع المطبوع من تلخيص مجمع الالقاب لابن الفوطي تراجم ٣٢١٦ ، والجزء الخامس تراجم ٢٧٠٠ .

عنيت كتب التراجم التي أشرنا اليها برجال الحديث والفقه ، وقلما أشارت الى من برز في الميادين الاخرى ، وخاصة في الطب والعلوم الصرفة ، مما يكون ثغرة في مادتهم ، يخفف من أثرها الاهتمام الواسع بالحديث والفقه وكثرة الباحثين فيه .

ومنذ مطلع هذا القرن نشرت أبحاث وكتب كثيرة عن أوجه من ازدهار الفكر والحضارة في بغداد ؛ كما نشرت عن خططها دراسات قام بها علماء وباحثون من الغربيين ومن العراقيين ، من أبرزهم شتريك ، وهرزفيلد وليسترانج ، ماسنيون ، وكانارد ، وليسنر ، والدكتور عبدالعزيز الدوري ، والدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسة ، والدكتور طاهر مظفر العميد [١٠] ؛ وكانت عناية هذه الدراسات الخططية منصبة على ذكر المعالم العمرانية وتحديد مواضعها في بغداد واعتمدت بالدرجة الاولى على ماكتبه

---

(١٠) الابحاث التي ذكرتها هي المشهورة مما نشر ، وتوجد دراسات كانت مواضيع لرسائل جامعية عن خطط بغداد وأحوالها لم تنشر ولم يجر جرد شامل لها .

وفي كتاب «مراجع ما نشر عن بغداد» الذي ألفه الاستاذ كوركيس عواد والاستاذ عبدالحميد العلوجي ، قائمة واسعة بالكتب والابحاث التي كتبت عن بغداد ؛ وتجدر اضافة ماكتب في العدد الخاص عن بغداد في مجلة Arabica ١٩٦٢ ولمتابعة الابحاث يحسن الرجوع الى كتاب Index Islamicus الذي يصدره الاستاذ بيرسون .

اليعقوبي ، وعلى ما اورده الخطيب عن خطط بغداد في مقدمة كتابه ، مع اضافات لبعض ماورد في بعض الكتب الاخرى . غير ان هذه المؤلفات اقتصرت على دراسة المعالم الخططية دون الاهتمام بمن سكنها ، فضلا عن انها لم تستوعب الاستفادة من المقدار الكبير مما تذكره عن الخطط والسكان كتب التراجم ، وخاصة كتاب الخطيب الضخم الذي ذكر في كثير من تراجم رجاله مساكنهم أو مدافنهم أو تسمياتهم مما يغني معلوماتنا عن المعالم الخططية ويعين على تحديد زمن استمرار وجودها .

ان الدراسة الحالية تهدف ملء الفراغ في الدراسات السابقة من حيث أنها تضيف كثيرا من المعلومات الواسعة والمتناثرة في كتب التاريخ والتراجم وخاصة ماجاء في تاريخ الخطيب وما طبع من ذيوله .

ومع أن أساس هذه الدراسة هو خطط بغداد واعمارها ، الا أنها ركزت اهتمامها على من سكن تلك الخطط والمعالم ، أي على «البشر» و «السكان» وعلى ربط المعالم الخططية بالسكان وأصولهم العرقية والثقافية وتطورهم ، وخاصة رجال العلم وأماكن اقامتهم .

عنيت هذه الدراسة بالاهتمام بأحوال السكان في المراحل الأولى من بنائها وعلى توضيح علاقة الخطط بأسس التنظيم السياسي والاداري للخلافة العباسية في أوائل تأسيسها ؛ وحظي الجيش بعناية خاصة لكثرة عدد رجاله الذين استوطنوا بغداد عند انشائها ، ولأهميتهم في الأحوال المالية والادارية ؛ كما عنيت بذكر أسماء العلماء الذين ظهروا في كل منطقة منها .

يدرس هذا الكتاب الذي ننشره الجانب الغربي من بغداد ، بما فيه المدينة المدورة وأرباضها ، وهو الجانب الذي اختاره أبو جعفر المنصور لاقامة مدينته وجعلها عاصمته ودار ملكه . ولاريب في أن الصورة الشاملة عن بغداد تتطلب أيضا دراسة الجانب الشرقي الذي بدىء الاعمار فيه منذ

زمن ابي جعفر حين بنيت «الرصافة» وهي «عسكر المهدي» بسورها وجامعها «واقطع المنصور اخوته وقواده بعد ما اقطع من بالجانب الغربي ، وهو جانب مدينته ، وقسمت القطائع في هذا الجانب ، وهو يعرف بعسكر المهدي ، كما قسمت في جانب المدينة ، وتنافس الناس في النزول على المهدي لمحبتهم له ولاتساعه عليهم بالأموال والعطايا ، ولانه كان أوسع الجانبين أرضا ، لان الناس سبقوا الى الجانب الغربي وهو جزيرة بين دجلة والفرات ، فبنوا فيه وصار فيه الاسواق والتجارات ، فلما ابتدىء البناء في الجانب الشرقي امتنع على من أراد سعة البناء»[11]. والواقع أن كلا من المهدي والهادي والمأمون والمعتصم اتخذ مقامه في الجانب الشرقي ، كما أن في هذا الجانب « دار الخلافة» التي كانت مقام الخلفاء العباسيين بعد عودتهم من سامراء والى سقوط دولتهم . ان السمات الخاصة للجانب الشرقي ، وتأخر زمن ازدهاره نسبياً ، ووفرة المادة عنه ، حملتني على أن أفرد له كتابا خاصا أرجو الله أن يعينني على نشره في القريب .

عنيت في هذا الجزء بوصف الأحوال عند تأسيس بغداد ، ومتابعة تطورها المطرد حتى الثلث الأول من القرن الرابع الذي أدت الاضطرابات والفتن الكثيرة الى تبدلات واسعة في أحواله الخططية والعمرانية ؛ غير أن المادة الغزيرة التي توفرت لدي ، قضت عليّ أن اذكر بعض التطورات التالية أيضاً .

وأرجو بهذا العمل ان أكون قد أسهمت في توضيح بعض ما أغفل من جوانب حضارة وعمران بغداد التي كانت «سرّة الدنيا» ، وعادت قلب العراق وتاجه ، وأرجو أن تكون في نشرها فائدة للقراء والباحثين ، ومن الله التوفيق .

الدكتور صالح أحمد العلي

---

(١١) البلدان لليعقوبي ٢٥١ .



القسم الأول

١ ـ العواصم الاولى واختيار بغداد :

العواصم الاولى للدولة الاسلامية .

اختيار موقع بغـداد وميزاته .

٢ ـ دعائم الخلافة العباسية في عهودها الاولى :

الاسرة العباسية في بغـداد .

الصحابة والانصـار .

الموالي .

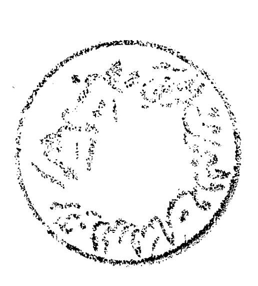
العرب وعروبة بغـداد .

القواد والجيش .

تنظيم اسكان الجنـد .

نفقات الجيش وكلفتها الاجمالية .

الادارة والدواوين والكتّاب .



٣ ـ تنظيم العمل والاعمـار :

تنظيم العمل في بناء بغـداد .

الاعمار والنشاط الاقتصـادي .

الفصل الأول

العواصم الأولى للدولة الاسلامية

لابد للدولة التي تنشد الاستقرار والدوام أن تتخذ لها مركزاً ثابتاً تكون فيه المؤسسات التي تشرف على الدولة وتنظم ادارتها وأعمالها ، وتكون مرجعاً للناس ؛ ومن أبرز مظاهر هذا المركز اقامة الحاكم الأعلى للدولة فيه ، وما يرافق ذلك من القوات التي يستند اليها في تثبيت سلطانه وحكمه . غير أن الاقامة الفعلية فيه للحاكم ليست أمراً لازماً ، فقد يتخذ الحاكم مقامه الموقت أو الدائم في أماكن أخرى ، وقد يقوم بجولات في مناطق بعيدة عن المركز دون أن يؤثر ذلك في كون هذا المركز هو المرجع للادارة العامة المشرفة على الدولة .

يتوقف اختيار موقع المركز الرئيس ، أي العاصمة ، للدولة على رغبات الحكام وارادتهم ، غير أن الاختيار الموفق يكون للمكان الذي تتوفر فيه وسائل العيش والأمن والدفاع ، ويتيسر له الاتصال مع مختلف أجزاء الدولة وأقسامها .

وعندما هاجر الرسول (ص) الى المدينة واستقر مقامه فيها ، اتخذها قاعدة للاسلام ودولته ، وكانت مواد المعيشة فيها متيسرة ، بالاضافة الى موقعها الحصين ووجود المؤيدين المخلصين . وفي هذه القاعدة تثبت الاسلام وتوسعت دولته حتى أصبحت في آخر حياة الرسول تشمل كل شبه جزيرة العرب تقريبا.

وظلت المدينة بعد وفاة الرسول قاعدة لدولة الاسلام ، يقيم فيها الخلفاء

ويوجهون منها الجيوش لتوسيع الدولة التي بعد أن قضى الخليفة الاول أبو بكر (١١ ـــ ١٣هـ) على حركات الردة والانشقاق ، ووطد دعائم الدولة والدين في الجزيرة ، أرسل جيوشاً لتوسيعها ، فوصلت في زمن خلافة عمر ابن الخطاب (١٣ ـــ ٢٤هـ) الى أطراف جبال طوروس شمالاً ، والى أطراف الهضبة الايرانية شرقاً ، والى طرابلس غرباً . واستمر هذا التوسع في زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان حيث ضمت الدولة أرمينية في الشمال ، والهضبة الايرانية وخراسان في الشرق ، وتونس في الغرب .

وكان للمدينة دور متميز في ادارة وتوجيه هذا التوسع ، فموقعها في شبه جزيرة العرب بأراضيها الصحراوية الواسعة يحميها من اخطار الأعداء الخارجيين ؛ وقد ساعد موقعها المتوسط بين أقاليم الدولة آنذاك على تأمين الاتصال بهذه الاقاليم وامدادها بالجيوش ، وتيسير ارسال الأوامر والتوجيهات الى كافة الأطرف ؛ كما أن وجود الصحابة في المدينة حول الخليفة أسهم في تنظيم ادارة هذه الاقاليم وتنسيقها وتوجيهها بما يتلاءم مع توجهات الأفكار الاسلامية ومصالحها العامة ؛ وبذلك تيسر للخلفاء الأولين في المدينة تنسيق ادارة الدولة وتنظيمها .

غير أن الانفجار الذي أحاط مقتل عثمان في المدينة أظهر أن هذه العاصمة العتيدة لاتستطيع حماية الخليفة المقيم فيها ، وأن هيمنتها على الأقاليم لم تكن الى الحد الذي يصدهم عن التجرؤ على الخليفة المقيم فيها ، ورغم انالنقمة كانت على الخليفة عثمان ، وليس على المدينة وأهلها ، فان الخليفة الجديد علي ابن أبي طالب (٣٥ ـــ ٤٠هـ) أدرك عدم ملاءمة الأحوال في المدينة وانتقل الى الكوفة متخذاً فيها مقامه لادارة الدولة والعمل على التغلب على مناوئه معاوية بن ابي سفيان .

ولما صفت الخلافة لمعاوية ، ظل مقيماً في دمشق وجعلها مقر الدولة ؛ ويرجع اتخاذه دمشق مركزاً الى أنه كان والياً على الشام ومقيماً فيها بعد أخيه

يزيد ، منذ زمن خلافة عمر بن الخطاب ، فتوثقت علاقته بأهلها الذين ضاروا معتمده في نزاعه مع علي بن ابي طالب . وقد أظهر أهل الشام تأييدهم لمعاوية وتمسكهم به مما قوى ثقته بهم ، وزاد من اعتماده عليهم ؛ وقد استاء أهل المدينة من انتقال مقر الدولة عن مدينتهم ، وأظهروا تذمراً من ذلك ، وأعلنوا ثورة قمعت بسهولة ؛ غير أن استياءهم لم يكن قوياً ، واستطاع الخلفاء الأمويون تأمين جانبهم باساليب متعددة ، فقنعوا بأن تكون لهم المكانة المتميزة في التوجيه الديني والروحي للدولة ، ولم يسهموا كثيراً في الحركات السياسية المعارضة للخلافة الاموية .

ولم تكن لدمشق الميزات التي تؤهلها لأن تكون العاصمة المثلى للدولة الاسلامية ، فقد كانت في أقليم له سواحل طويلة مفتوحة للأسطول البيزنطي، وفي أطرافها الشمالية تتربص الجيوش البيزنطية وراء جبال طوروس ويكونون خطراً قريباً يهدد عاصمة الدولة . وقد اتخذ الخلفاء الأمويون التدابير للحد من هذه الاخطار ، فأنشأوا اسطولاً أمّن السيطرة على شرقي البحر المتوسط، وحشدوا الجيوش في الأطراف الشمالية من بلاد الشام ، مما قلل من أخطار البيزنطيين ، ولكنه لم يجتثه كليا ، فبقي ماثلا .

ولم تكن الاحوال الصحية في بلاد الشام ملائمة ، فقد عرفت بكثرة طواعينها ابان الحكم الأموي [١] ولعل من أسباب سوء الأحوال الصحية ان أكثر الخلفاء الامويين كانوا ابان توليهم الخلافة يكثرون الاقامة في مدن وأماكن غير دمشق [٢] .

---

(١) انظر الاشارات الى طواعين الشام : مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه ١٨٦، لطائف المعارف للثعالبي ١٥٨ ، ثمار القلوب للثعالبي ٥٣٧ ، نهاية الارب للنويري ٢٩٢/١ ، ٣٧١ ، الطبري ١٧٩٦/٢ ، تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٤١/١ ، ديوان الاخطل ١٢١/٢ ، ٢١٣/٣ .

(٢) انظر ؛ العلائق الخطيرة لابن شداد : مجلة الدراسات الشرقية . دمشق ١٩٨٢ ، وانظر الفصل الذي كتبه لامنس بعنوان «البادية» ونشره في كتابه «دراسات عن عصر الامويين» (بالفرنسية) .

ثم أن بلاد الشام كانت عند مجيء الاسلام تسودها النظم الادارية البيزنطية التي لاتتلاءم مع حاجات الدولة الواسعة الجديدة ؛ ولم يكن في دمشق العدد الكافي من الصحابة والتابعين ذوي الخبرة في توجيه الادارة والحكم ، مما حدا بالخلفاء الامويين الى اعطاء ولاتهم في الأمصار الرئيسة الاخرى ، وخاصة في العراق ، سلطات واسعة في الادارة ، فكان كل منهم يدير ما بامرته من البلاد خلال ولايته بصورة شبه مستقلة .

وكانت للعراق أهمية خاصة من بين أقاليم الدولة ، فقد كان فيه مقر الدولة الساسانية التي قضى على حكامها الى الأبد ، واستسلمت كل أقاليمها للعرب ، فبقيت النظم الادارية فيه دون أن تتقطع . وكان العراق أغنى أقاليم الدولة ، ومنه تمت فتوح أقاليم الهضبة الايرانية التي أصبحت ادارتها تابعة لولاة العراق ؛ وقد أقام فيه من المقاتلة العرب عدد يفوق ما أقام في أي اقليم آخر ، وتركز سكناهم في المصرين الرئيسين : الكوفة والبصرة ، فلما تناقصت الفتوح اشتغل كثير من هؤلاء المقاتلة في الأمور السياسية والفكرية ، فكانتا مركز معظم الحركات السياسية المعارضة للامويين ، كما انجبتا ما فاق عددهم على ما أنجبه أي اقليم آخر من العلماء والمفكرين [٣] .

غير أن العراق كان فيه مركزان اداريان متكافئان هما البصرة والكوفة ، ويتبع كلا منهما عدد كبير من الاقاليم ؛ ثم اضيف اليهما مركز ثالث هو واسط. وقد سبب تعدد المراكز الادارية بعض المشاكل والتعقيدات الادارية التي أدركها الخلفاء الأمويون وحاول بعضهم معالجتها بجمع ولاية المصرين في شخص واحد ، كما أنهم فصلوا ادارة خراسان عن البصرة ، غير أن هذه المعالجات لم تكن جذرية ، فقد ظل للدواوين مركزان : واحد في الكوفة والثاني في البصرة ، كما أن الاشراف عليهما لم يكن سهلاً ، رغم أن الولاة

---

(٣) انظر مقالنا « مراكز الحركة الفكرية » في كتابنا « دراسات في الحركة الفكرية في صدر الاسلام » .

الذين جمع لهم المصران كانوا يوزعون اقامتهم بينهما ، فيقضون ستة أشهر في كل منهما ، ويبقون نائباً عنهم في المصر الذي يغيبون عنه . أما واسط فالراجح أنها كانت مقراً لاقامة المقاتلة الشاميين الذين قدموا العراق ، ولم تتخذ مركزاً ثابتاً للدواوين أو لاقامة والي العراق [٤] .

وكانت للكوفة في زمن الامويين أهمية خاصة بسبب الانجازات الواسعة التي حققها مقاتلتها في الفتوح الاولى ، والموارد الكبيرة للمناطق العراقية التي كانت مرتبطة ادارتها فيها ، وكذلك النشاط السياسي والفكري الذي ظهر فيها ، والمواقف المعارضة التي اتخذها أهلها من الخلافة الاموية [٥] . وقد أدرك يزيد بن عمر بن هبيرة ، آخر الولاة الامويين ، قلق موقف أهل الكوفة ، فبنى في أطرافها مدينة سماها «المحفوظة»[٦] غير أنه لم يقم فيها ، وانما بنى مدينة أخرى على بعد حوالي عشرين كيلو مترا ، وسماها قصر ابن هبيرة غير أنه لايوجد دليل على أنه نقل الى أي منهما الدواوين .

وكان الهدف الرئيس لجيش الثورة العباسية الذي تقدم من خراسان ، هو الوصول الى الكوفة . ولتأمين الوصول الى هذا الهدف تحاشى قائده قحطبة بن شبيب الاصطدام بالقوات الاموية التي يقودها يزيد بن عمر بن هبيرة ، الذي انسحب من الكوفة الى واسط ، لعدم اطمئنانه لولاء أهلها . فلما وصل الجيش العباسي الى الكوفة تم فيها اعلان الخلافة العباسية . ومنها أرسل الخليفة العباسي الاول أبو العباس السفاح الجيوش لمقاتلة مروان بن محمد آخر الخلفاء الامويين ، ثم مطاردته وقتله وانهاء الخلافة الأموية . ومن الكوفة أيضاً أنفذ الجيوش والولاة الى أقاليم الدولة الاخرى .

---

(٤) أتممت اعداد بحث عن تقسيمات العراق الادارية ، وأرجو نشره قريبا .

(٥) من الكتب الكثيرة عن الكوفة اكتفي بالاشارة الى الكتاب القيم «الشعر في الكوفة» للدكتور يوسف خليف .

(٦) عن المدينة التي بناها بلصق الكوفة انظر مقالنا «منطقة الحيرة» المنشور في مجلة كلية الاداب ص ٢٦ سنة ١٩٦٢ .

والأسرة العباسية متحدرة من العباس بن عبدالمطلب عم الرسول (ص) وكان يقيم في مكة ، واليه سقاية الحجيج ، وقد أسلم بعد الحديبية ، وظل يتردد هو وأولاده بين مكة والمدينة ؛ وشارك أولاده في الفتوح في زمن الخليفة عمر بن الخطاب ، كما ولي عدد منهم في زمن خلافة علي ولايات في البصرة وفيعدد من أقاليم شبه جزيرة العرب ، ولكنهم عادوا الى الحجاز حيث كان ديوانهم فيه الى أن نقله الخليفة المهدي الى بغداد [٧] .

وكان عبدالله اكبر أولاد العباس من أكبر مؤيدي الخليفة علي ، وقد ولي له البصرة ، وحضر معه موقعة صفين ، فلما قتل علي عاد الى مكة حيث انصرف الى العلم وكان حجة في التفسير ، ولم يشارك هو أو اخوته فيالثورات التي حدثت على الامويين . غير ابنه علي أظهر نشاطا سياسيا معارضا ، فنفاه الامويون الى الحميمة في الاردن حيث استقر فيها هو وأولاده من بعده، ومنها نظم الدعوة العباسية في الكوفة ، فلما لم تظفر بالمؤيدين انتقل تركيزها الى خراسان حيث قادت بعد جهود استمرت مدة تزيد على ربع قرن ، الى نجاح أدى الى قيام الثورة وانتصارها على القوات الاموية التي ارسلت لقمعها ، ثم تابعت سيرها الى الكوفة حيث اعلنت الخلافة العباسية فيها [٨] .

ومع ان العباسيين اصلهم من الحجاز ، ومقامهم في الحميمة ، وثورتهم في خراسان ، الا انهم اختاروا الكوفة دون غيرها مقراً لخلافتهم ، بالرغم من قلة مؤيديهم من أهلها الذين عرفوا بميولهم العلوية .

وقد أحس ابو العباس بخطر ضعف حماس أهل الكوفة في تأييده فانتقل بعد سنتين من توليه الخلافة الى الأنبار حيث بنى

---

(٧) الطبري ٣/٥٢٣ .

(٨) انظر كتاب «اخبار بنى العباس» لمؤلف مجهول ، ففيه تفاصيل عن نشاط العباسيين في زمن الخلافة الاموية ، وتفاصيل عن انسابهم مستمدة من « نسب قريش » لمصعب الزبيري .

بقربها مدينة سماها الهاشمية ، وظل بها الى أن توفي [٩] ، ويذكر اليعقوبي أن أبا العباس اتخذها سنة ١٣٤ واشترى أشرية كثيرة بنى بها واقطع أهل بيته وقواده [١٠] .

ولما ولي أبو جعفر المنصور الخلافة عاد الى الكوفة ، ولكنه أقام في مدينة بناها مقابل المدينة التي بناها ابن هبيرة ، يفصلهما الطريق وسماها الهاشمية ، كما بنى بظهر الكوفة مدينة سماها «الرصافة»[١١] . غير أن هاتين المدينتين كانتا بلصق الكوفة التي لم يظهر أهلها ولاءهم للخلافة العباسية مما كان يؤثر في افساد الجند عليه .

* ★ *

(٩) انساب الاشراف ٣/١٥٠ ؛ الطبري ٣/٣٠ .
(١٠) تاريخ اليعقوبي ٣/٩٥ طبعة النجف .
(١١) انظر مقالنا «منطقة الحيرة» ص ٢٥ — ٢٧ .

الفصل الثـــاني

البحث عن مكان جديد لقاعدة الدولة

قرر ابو جعفر المنصور انشاء مدينة جديدة تكون مقره ، وعزم منذ ان قرر ذلك على ان يكون موقعها في أواسـط العراق ، ولا توجد أية اشـارة الى أنـه فكر في جعـل عـاصمته في اقلـيم آخـر أو منطقـة أخـرى • وكان العراق بالاضافة الى ماذكرناه له من خصائص في صدر الاسلام ، يتميز في موقعه عن الاقاليم الاخرى في الدولة • فبلاد الشام كانت قريبة من بلاد الروم الذين يهددونها ، فضلاً عن انها كانت مركز الخلافة الاموية التي قضى عليها العباسيون ، وقد أظهر أهلها موقفاً عدائياً للدولة العباسية الجديدة • والحجـاز بالرغم من مكانته الدينية بوجود مركز الحج والمعالم المتصلة بنشأة الاسلام فيه ، وكثرة الصحابة ونسلهم من التابعين وتابعي التابعين ، فان موقعه متطرف نسبياً ، وهو اقليم قليل الخيرات ، يعتمد في معاشه على مايرده مـن الاقاليم الاخرى ؛ ولم يظهر أهله في أواخر العصر الاموي ما يدل على امكان اعتماد الدولة عليهم • وأما الجزيرة الفراتية فهي قريبة من بلاد الروم الذيـن يهددونها • وأما خراسان فمع أن فيهم ترعرعت الدعـوة العباسيـة ، وعلى اكتافهم قامت الثورة التي أطاحت بالخلافة الاموية وأحلت العباسيين محلها ، الا أنها لم تكن ملائمة لاتخاذ مقر الخلافة فيها ، لأن موقعها متطرف في المشرق ،

واكثر أهلها من الاعاجم ، وظهرت فيها تيارات غير منسجمة مع اتجاهات الدولة الجديدة ، وكان بعضها من العنف ما سبب ثورات على المنصور ومن تلاه من الخلفاء العباسيين الأولين •

ولأواسط العراق ميزات خاصة ، منها أن تربته قليلة الملح صالحة للزراعة ، وأرضه مستوية خالية من التضاريس التي تعرقل الري ومجاري الأنهار والترع ، وانحدارها بطيء نحو دجلة ، مما يمكن شق الترع للري ولغسل الأملاح وتصريف المياه الزائدة ، بالاضافة الى فوائدها في النقل وتيسير المواصلات ، وتكوينها موانع دفاعية تعيق تقدم الجيوش التي قد تحاول غزوها • وقد عبر أحد سكان المنطقة عن ميزاتها عندما سأله المنصور عن ذلك «فقال يا أمير المؤمنين سألتني عن هذه الأمكنة وطيبها وما يختار منها ، فالذي أرى يا أمير المؤمنين أن تنزل أربعة طساسيج : في الجانب الغربي طسوجين ، وهما قطربل وبادوريا ، وفي الجانب الشرقي طسوجين ، وهما نهر بوق وكلواذى ؛ فأنت تكون بين نخل وقرب الماء ، فان أجدب طسوج وتأخرت عمارته كان في الطسوج الآخر العمارات • وأنت يا أمير المؤمنين على الصراة ، تجيئك الميرة في السفن من المغرب في الفرات وتجيئك طرائف مصر والشام ؛ وتجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة ، وتجيئك الميرة من أرمينية وما اتصل بها في تامرّا حتى تصل الى الزاب ، وتجيئك الميرة من الروم وآمد والجزيرة والموصل في دجلة •

وأنت بين أنهار لايصل اليك عدوك الا على جسر أو قنطرة ، فاذا قطعت الجسر وأخربت القناطر لم يصل اليك عدوك ؛ وانت بين دجلة والفرات لايجيئك أحد من المشرق والمغرب الا احتاج الى العبور • وأنت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد كله ، وأنت قريب من البر والبحر والجبل •• وقال له يا أمير المؤمنين : ومع هذا فان الله قد منّ على أمير المؤمنين

بكثرة جيوشه وقواده وجنده ، فليس أحد من أعدائه أن يطمع في الدنو منه . والتدبير في المدن أن تتخذ لها الأسوار والخنادق والحصون ، ودجلة والفرات خنادق لأمير المؤمنين» [١] .

والواقع أنه في هذه المنطقة اتخذت معظم الدول عواصمها ، فكانت أوبيس عاصمة الأكاديين ، وبابل مقر حكم البابليين والميديين والاسكندر ، والمدائن مقام السلوقيين والفرث والساسانيين . وكل منهم كانت له دولة واسعة الأرجاء ، ولابد أنهم في اختيارهم هذه المنطقة أدركوا ميزاتها الطبيعية والعسكرية التي تؤهلها لتقوم فيها عاصمة حصينة ، ومدينة مزدهرة .

كان المنصور عندما بدأ بالبحث عن مكان يقيم فيه عاصمته الجديدة في أواسط العراق ، قد خبر مناطقه ؛ فقد جاءته الخلافة عندما كان مقامها في الأنبار ، ثم انتقل منها الى الكوفة ، وكلتا المدينتين تتميزان بأرض خصبة ، وأنهار متشعبة توفر الري والمواصلات ؛ غير أن هذه المنطقة كانت مكشوفة في الغرب للصحراء التي كانت قليلة المنتوج ومعرضة للغزوات ، كما أن الفرات كان أقل صلاحية للملاحة ، اذ أن الأنهار تأخذ منه ولا تصب فيه ، وقسمه الادنى يتبطح ويتفرع الى جداول صغيرة تصب في بطائح لا تصلح للمواصلات ، وانما قد تكون مكامن للعابثين بالأمن .

لذلك فان المنصور عندما أخذ يبحث عن موقع ملائم ، أرسل رواداً ثم قام بنفسه بجولات في المناطق التي على دجلة فحسب ، فيروى ابن عيّاش أن المنصور « بعث رواداً يرتادون موضعاً .. فذكر له موضع قريب من بارمّا (حمرين) وذكر له غذاء وطيب ، فخرج اليه بنفسه حتى نظر فيه وبات فيه » ، غير انه لاحظ قلة موارد ما حوله من الاراضي فلم يعجبه [٢] .

---

(١) الطبري ٣/٢٧٦ ، ابن الفقيه ٣٢ .
(٢) الطبري ٣/٣٧٢ ، ابن الفقيه ٢٩ .

ويروى سليمان بن مجالد ان المنصور «خرج نحو الجبل يرتاد منزلاً ، وطريق الناس يومئذ على المدائن » وان المنصـور وصـل في خروجـه الى الموصل [٣] ٠

أراد المنصور من تأسيس بغداد انشاء مركز اداري وعسكري له ولأتباعه الذين يعتمد عليهم في حكم الدولة ، وبدأ بانشائها بعد أن تم القضـاء على الاخطار الرئيسة التي كانت تهدد الخلافة العباسية عند قيامها ٠ وقد أتـاح له القضاء على هذه الأخطار ان يفكر في نظام فيه تعديل للأسس التي قـامت عليها الثورة العباسية ، فكانت ثـورة عبدالله بن علي محكاً لموقف رجـال الأسرة العباسية ، وقد دفعه عدم تأييد رجال تلك الأسرة عبدالله بن عـلي ، الى توثيق صلته باخوتـه وأعمـامه ، غير أنها لابـد وأن أشعرته احتمـال تجدد تهديدهم له ، ولذلك لم يسكنهم معه في مدينته المدورة ، ولم يقطـع الا عدداً قليلاً منهم في أطرافها ، بل انه لم ينقل ديوان العباسيين من الحجاز ٠

ثم ان سوء علاقته بأبى مسلم كشف له موقف الخراسانيين ، ولابـد أنه مكنه من عزل من كان ولاؤهم لأبى مسلم وليس للخليفة ، فلم يوطن مـن لايتولاه في بغداد ٠ والواقع أن الثورات التي قام بها مؤيدو أبى مسلم لـم تكن في بغداد ، وانما كانت في أقصى المشرق ٠

أما ثورة محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم ، فانها اضعفت التعـاون القديم بين العباسيين والعلويين ، وبالرغم من ميول أهل الكوفة للعلويـين ، فانهم لم ينضموا الى محمد وابراهيم ٠ ولاريب في أن هذه الثـورة اضعفت مركز العلويين في بغداد ، ودفعت الخليفة الى الاهتمـام بتحصـين مدينته ، ولكنها لم تؤد الى قطع صلتها بالكوفة التي ذكرت المصادر زيارة كثير مـن علمائها بغداد واستيطان عدد منهم فيها ، بالاضافة الى آخرين جـاؤا لطلب العيش والكسب ممن لم تذكرهم المصادر ٠

---

(٣) الطبري ٣/٢٧٢ ، ابن الفقيه ٢٩ ٠

ان بغداد عند تأسيسها كانت تمثل الاتجاه العباسي الجديد ، فكان المستوطنون فيها من المرتبطين بأبي جعفر والموالين له ، وكذلك الذين لا يعارضونه أو يعادونه • والواقع أنه فيما خلا محاولة واحدة أثار فيها أهل السوق الشغب ، فان بغداد ظلت مخلصة للخلافة العباسية ، ودافع أهلها بحماس مع الامين بوجه قوات طاهر بن الحسين التي أرسلها المأمون ؛ ثم أظهروا استياءهم من المأمون عندما بدا منه ما أشعرهم بانحرافه عن العباسيين ، فلما أظهر عودته الى الاتجاه العباسي أظهروا رضاهم عنه وطاعتهم له ؛ أما الاستياء الذي أظهروه في أوائل خلافة المعتصم ، فكان ضد الاتراك الذين أكثر من استخدامهم ، وليس ضد الخليفة نفسه •

وكانت الراوندية الفرقة التي ترى حصر الخلافة بالاسرة العباسية وتسبغ على خلفائهم طابعاً قدسياً خارقاً ؛ وقد فض الخليفة المنصور بالقوة تجمهراً لهم حول قصره ، ويروى انه اظهر تغاضيه عنهم ، غير انه لايوجد ما يدل على انهم افلحوا في نشر آرائهم بين الناس ، فظل عددهم محدودا ونطاق انتشار أفكارهم ضيقاً •

كان الناس احرارا في اتخاذ مواقفهم السياسية ، ولايخفى ان العصب الرئيسي لسكان بغداد عند تأسيسها هم أهل خراسان من العرب وكانوا عندما بدأت الدعوة العباسية تنتشر فيهم «لم تقسمهم الأهواء والبدع» وقد قضت مصلحتهم المشتركة بالتمسك بولائهم لأبي جعفر الذي حاول السيطرة على اتجاهاتهم بفضل تفريقهم كتلاً تتوزع خططها في عدة مناطق ، وتمسكه بالعروبة والاسلام ، ووضع نفسه فوق الاحزاب والفرق •

لذلك فان بغداد منذ انشائها جماعات متعددة ومنوعة ، ولكن غالبيتهم من العرب وكانت تجمعهم المصلحة المشتركة والارتباط بالخليفة والتحدث بالعربية والايمان بالاسلام وقد طبع هذا التنوع بغداد بسمة «العالمية» الواسعة ، وساعد استقرار الأمن والنظام والسلم على الاختلاط

والتمازج الذي حدث بالتدريج وبصورة طبيعية من سير الزام قهري ، وكان يسير نحو غرض واحد هو ايجاد حضارة متناسقة من هذه العناصر التي يفوق تنوعها ما في المدن الاخرى • وبغداد تختلف أساسياً عند تأسيسها عن الكوفة والبصرة ، من حيث انها كانت منذ بدايتها مركزاً للخليفة والقوة التي تسنده ، فلم يحدث فيها ما حدث في البصرة والكوفة من اصطدامات بين السكان والحكام ، كما ان سكان بغداد كانوا قد تطوروا حضاريا ، فلم يكونوا بدواً خلّصاً ، وانما كانوا عناصر « مدنية » سبق لها احتكاك بغيرها فتفهمت وجهاتهم وأخذت بعض ما عندهم •

قامت الدعوة العباسية على أساس ازالة ظلم الامويين واحلال عدالة شاملة محله ، وظل اسم المرشح لتحقيق ذلك مكتوماً الى أن انتصرت الثورة في خراسان ووصلت جيوشها الى الكوفة حيث اعلنت خلافة أبي العباس • غير أن تحقيق المثل التي ادعى العباسيون العمل على تحقيقها كان يتطلب توطيد خلافتهم بالاستناد الى القوى التي يرونها مؤيدة لهم ؛ وقد أشار الى هذه القوى خلفاؤهم الأولون في عدد من الخطب والأقوال التي نقل الطبري عدداً منها •

فيروى أنه عندما تتابعت الأحداث بعد ثورة محمد النفس الزكية على أبي جعفر المنصور «أمر باحضار القواد والصحابة وأهل بيته» [(٤)] •

ويذكر أنه عندما اختار المنصور ابنه المهدي لولاية العهد ، كان ممن بايعه « من حضر من أصحابه ووجوه القواد وشيعته »[(٥)] •

وعندما توفي المنصور كتب الفضل عن لسانه «الى من خلف بعده ، ومن بني هاشم وشيعته من أهل خراسان وعامة المسلمين»[(٦)] •

وكتب المهدي لولي عهد المسلمين موسى بن المهدي ،

---

(٤) الطبري ٣/٤٣٠ .
(٥) كذلك ٣/٤٧٣ .
(٦) كذلك ٣/٤٥٤ .

ولأهل بيته وجميع قواده من أهل خراسان وعامة المسلمين» [٧] .

وشهد باقرار تنازل عيسى بن موسى «أربعمائة وثلاثون من بني هاشم والموالي والصحابة»[٨] ، وعندما جددت بيعة المهدي قرىء كتاب تجديد البيعة « على بيت المنصور والقواد والموالي» [٩] .

وفي وقعة فخ وافى القائد العباسي «من شيعة ولد العباس ومواليهم وقوادهم [١٠] .

وعندما توفي هرون الرشيد بايع الأمين «أهل بيته وخاصته ومواليه وقواده»[١١] وكتب الأمين لأخيه صالح الذي كان على الثغور « خذ البيعة من قبلك من ولد أمير المؤمنين ، وأهل بيته ، ومواليه ، وخاصته ، وعامته»[١٢] .

وعندما ظل المأمون مقيماً في مرو بعد مقتل الأمين نصحه بعض أصحابه بالعودة الى الاتجاه السابق للخلفاء العباسيين الأولين وقالوا له « فان بني هاشم والموالي والقواد والجند لواؤك وعزتك»[١٣] ، وكتب المأمون « الى بني العباس والموالي يعلمهم موت على بن عيسى » [١٤] .

ويتبين من هذه النصوص ان الخلفاء العباسيين ابتداءاً من المنصور الى المأمون كانوا يستندون الى البيت العباسي ، والموالي ، والصحابة ، والانصار ، والقواد ، ونظراً لأهمية هذه القوى في توطيد دعائم الخلافة ، فيجدر ان نتحدث عن أهمية كل منها ومدى انعكاس ذلك على تخطيط بغداد والمراحل الاولى من تاريخها .

---

(٧) كذلك ٣/٤٧٥ .
(٨) كذلك ٣/٤٧٧ .
(٩) كذلك ٣/٤٨٨ .
(١٠) كذلك ٣/٥٥٧ .
(١١) كذلك ٣/٧٦٧ .
(١٢) كذلك ٣/٧٦٨ .
(١٣) كذلك ٣/١٠٢٧ .
(١٤) كذلك ٣/١٠٣٠ .

الفصل الثـالث

الأسرة العباسية في بغـداد

أدى قيام الدولة العباسية الى أن يصبح الخلفاء العباسيون المنفذيـن لسياسة جديدة للدولة الاسلامية ، بعد أن أخفق معارضو الدولة الأمويـة ــ وخاصة الخوارج والعلويين ــ في ازاحة الأمويين عن الخلافة وفي تحقيق المثل التي كانوا يدعون اليها •

والأسرة العباسية تنحدر من العباس بن عبدالمطلب عم الرسول ، وكان بعد وفاة أبى طالب يرعى الرسول ويدفع عنه بعض أذى قريش في مـكة ، وقد حضر معه بيعة العقبة ، ولكنه لم يعتنق الاسلام آنذاك ، ولم يهاجر مـع المسلمين الى المدينة ، وانما ظل مقيماً في مكة ، وشارك مع مشركي قريـش في معركة بدر وأسر ، ثم فك الرسول اساره فعاد الى مكة ، ولم يذكر لـه دور فعال في معاداة الاسلام ؛ ثم أسلم بعد فتح مكة وأبقى له الرسول سقاية الحجيج التي كان يتولاها قبل فتح مكة •

وشارك أولاد العباس في زمن خلافة عمر بن الخطاب في حركات الفتوح في جبهات مصر وأفريقية ، وفي فتوح المشرق وخراسان ، غير أنهم لم تسـند الى أي منهم قيادة جيش أو ولاية بلد أو أي عمل اداري في زمن الخلفـاء الراشدين الثلاثة الأولين ؛ ولكن الخليفـة الرابـع علي بن أبي طـالب اعتمد

على أولاد العباس في ادارة البلاد فولى قثم على مكة ، وتمّام على المدينة وعبيدالله على اليمن ، وعبدالله على البصرة ؛ ثمسار معه الى صفين ، وكان من أقرب المقربين اليه والمعتمدين في استشارته .

أما في زمن الخلافة الأموية فلم يتول أي رجل من الأسرة العباسية عملاً ادارياً ما عدا أبا جعفر المنصور الذي ولي ايذج في الاهواز في سنة ١٢٧ [١] ، ولم تتكون بين الأسرتين العباسية والأموية علاقات مكينة ، فلم تذكر المصادر الا زيجة واحدة تمت بين الاسرتين ، حيث تزوج الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان من لبابة بنت عبيدالله بن العباس [٢] في حين أنه حدثت زيجات كثيرة بين الأسرتين العباسية والعلوية ، كما تزوج عدد من العباسيين نساءاً من أهل اليمن .

ولما زالت الدولة الأموية ، أصبحت الخلافة محصورة برجال من الأسرة العباسية ، واستطاع العباسيون الأوائل توطيد مكانتهم في الخلافة والقضاء على الثورات المعارضة التي هددتهم وتثبيت الدولة التي أسست بغداد وعملت على انماء أحوال ساعدت على ازدهار الحياة الاقتصادية والحركة الفكرية ، ووصلت الحضارة الاسلامية أوجها في عهدهم وفي عاصمتهم بغداد بصورة خاصة ؛ وولد طول بقائهم وما حدث في زمنهم من ازدهار فكرة تأصلت وعمت عن أهليتهم للخلافة وجنبت ما شاب حياة كثير من خلفائهم من ضعف أو مجون انتقاد الناس ، حتى أن هولاكو ، وهو القائد المغولي الكافر الذي فتح بغداد، تردد في قتل الخليفة العباسي الأخير ، لأنه خشي أن يؤدي مقتله الى شروق الشمس من المغرب [٣] ! .

وقد اعتمد الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح على أبناء البيت

---

(١) انساب الاشراف ٣/١٨٢ ، وانظر : الطبري ٣/٥٢٧ .
(٢) مصعب الزبيري : نسب قريش ٣٢ .
(٣) رشيدالدين : جامع التواريخ ٢ ـ ١/٢٧٩ (الترجمة العربية) .

العباسي من اخوته وعمومته ، فقربهم وولاهم معظم الولايات الكبيرة وقيادات الجيوش ، وتابع الخلفاء العباسيون الذين تلوه سياسته في الاعتماد على رجال الأسرة ، وعمل هؤلاء باخلاص وتعاون على تثبيت دعائم الخلافة الجديـدة وتوطيد أركانها في مختلف البلاد •

غير أنه ظهرت عوارض انقسام في البيت العباسي منذ زمن أبي جعفـر المنصور ، وكان محورها الأكبر مشكلة اختيار ولي العهد والحفاظ عـلى اختياره • وقد تم حل معظم الخلافات التي ثارت بسببها بطريقة سلمية ، فلم تؤد الى انقسامات عنيفة واضحة ، وظلت الأسرة العباسية تبدو متماسكة في الظاهر على الأقل • ولم يرد ذكر تدابير عنيفة ، من قتل أو حبس أو ابعاد ، اتخذت ضد أي من رجال هذه الأسرة •

غير أن حادثتين وقعتا في صدر زمن الخلافة العباسية واتبع فيهما العنف؛ أولهما حركة عبدالله بن علي الذي طالب بمنصب الخلافة وشهر السلاح بوجه أبي جعفر المنصور ، ولكنه لم يلق تأييداً من الأسرة العبـاسية ، فلما انتصر المنصور ، لم يعان من انقسام الأسرة العباسية بسببها •

أما الحادثة الثانية فهي النزاع المسلح بين الأمين والمأمون ؛ وقد أيدت الأسرة العباسية في بغداد الامين في بداية النزاع ، بحكم أنه الخليفة الشرعي وأنه مسيطر مباشرة على العراق والحجاز حيث يقيم العباسيون ؛ ولم ينفضوا عن الأمين الا بعد أن تضعضعت قوته ، وبعد أن اتخذ طاهر بن الحسين ، قائد جيش المأمون ، تدابير شديدة وتهديدات بمصـادرة أموالهم • وممـا يمكن اعتباره مكملاً لهذا النزاع ومن ذيوله مبايعة ابراهيم بن المهدي بالخلافة في بغداد ابان اقامة المأمون بمرو بعد مقتل الأمين ، وقد لقي ابراهيم تأييداً مـن العباسيين في بغداد ، تعبيراً عن استيائهم من ابتعاد المأمون عن بغداد ، غير أنه لما عاد المأمون الى بغداد انفض العباسيون عن ابراهيم ، وعادوا الى تأييـد المأمـون •

ويجدر أن نذكر أنه خلال القرون الاربعة التالية لم تحدث انقسامات استعملت فيها القوة بين أفراد الأسرة العباسية الا في النزاع بين المستعين والمعتز على الخلافة ، غير أن العامل المؤثر فيها كان الاتراك والقواد العسكريون الذين لعبوا دوراً في عزل عدد من الخلفاء •

ولم تذكر المصادر الا ثورتين اعلنهما رجال من البيت العباسي • أولاهما ثورة ابراهيم بن محمد بن عبدالوهاب على المأمون [٤] ؛ والثانية ثورة عيسى ابن المكتفي في سنة ٣٤٩ حيث « ظهر بناحية ارمينية ، وتلقب بالمستجير بالله ، وانضاف اليه جماعة من الديلم ، وتغلب على عدة بلاد من اذربيجان ، ثم قبض عليه فيما بعد وقتل »[٥] •

ومن الطبيعي ان بلاط الخلافة العباسية لم يخل من الدسائس والخلافات وخاصة على اختيار ولي للعهد ، ولكن هذه الخلافات لم ترق الى مستوى التكتلات المزقة أو الانشقاقات العنيفة •

ويلاحظ ان عدد رجال الأسرة العباسية عندما جاءتهم الخلافة لم يكن كبيراً ؛ فان العباس بن عبدالمطلب انجب ثمانية أولاد ، لم يعقب أربعة منهم وهم الفضل ، وقثم ، وكثير ، وتمام [٦] ، كما انقرض عقب معظم أولاد عبيدالله ، وأولاد معبد بن العباس [٨] اما تمّام فان آخر أولاده هلك في زمن ابي جعفر [٩] •

اما عبدالله بن العباس فقد ولد له العباس ولا عقب له ، وعلي « البقية

---

(٤) الطبري ٣/١٠٧٢ ، ١٠٧٥ ؛ تاريخ اليعقوبي ٣/١٨٦ .
(٥) تاريخ الكارزوني ١٧٠ .
(٦) نسب قريش ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ .
(٧) كذلك ٣٣ .
(٨) كذلك ٣٧ .
(٩) كذلك ٣٨ .

من ولد عبدالله بن العباس في ولده »[١٠] ، وليس لعبدالله بن العباس عقب غير علي بن عبدالله بن عباس فان في ولده الخلافة والعدد [١١] .

وقد أنجب علي بن عبدالله مبشراً ، وعبدالله الاكبر ولا عقب لهما ، كما أنجب محمداً ، وداوود ، وعيسى ، وسليمان ، وصالحاً ، وأحمد ، وبشراً ، وعبيدالله ، واسماعيل ، وعبدالصمد ، وعبدالملك ، وعثمان ، وعبدالرحمن ، ويحيى ، واسحق ، ويعقوب ، وعبدالعزيز ، واسماعيل [١٢] .

وانجب محمد ابراهيم وأبا العباس ، وأبا جعفر ، وموسى ، والعباس [١٣] .

وفي الحميمة بالاردن عند جبل الشراة كان المقام الدائم لكل من علي ابن عبدالله ثم ابنه محمد ، وحفيده ابراهيم ، وأولادهم ؛ وكانوا يزورون دمشق ومكة لماما ، وفي الحميمة نظمت الدعوة العباسية ومنها وجهت في خراسان .

وعندما اتضحت معالم نجاح الثورة العباسية ، وقدم ابو العباس السفاح الى الكوفة «قدم أهله من بعده ، فجاءته الخلافة ومعه داوود بن علي ، وموسى ابن داوود ، والمنصور ، وعيسى بن موسى ، ومحمد وعبدالوهاب ابنا ابراهيم الامام ، والعباس بن محمد ، ويحيى بن محمد ، وسليمان وصالح وعبدالله وعبدالصمد واسماعيل وعيسى بنو علي بن عبدالله ، ويحيى بن جعفر بن تمام ومحمد بن جعفر بن عبيدالله بن العباس ، ورجل من بني معبد بن العباس»[١٤] .

اختار ابو العباس السفاح لولاية الأقاليم الرئيسة رجالاً من أسرته وخاصة من أعمامه ، فولّى عبدالله بن علي على الشام ، وصالح بن علي على مصر

---

(١٠) كذلك ٢٨ .
(١١) كذلك ٣١ .
(١٢) كذلك ٢٩ .
(١٣) كذلك ٣٠ .
(١٤) انساب الاشراف ١٧٨/٣ ، وانظر اليعقوبي ٨٧/٣ .

وفلسطين ، وعبدالصمد بن علي على الجزيرة ، وداوود بن علي على الحجـاز ، وعيسى بن علي على فارس ، وسليمان بن علي على البصرة ؛ كما ولى عـلى الكوفة داوود بن علي ثم عيسى بن موسى ، وولى على الموصل أخاه يحيى بن محمد ثم أبا جعفر ، وولى ابنه محمداً على البصرة ، كما ولى العباس بن عبدالله ابن معبد على مكة والطائف (١٥) .

وتابع أبو جعفر المنصور سياسة أخيه السفاح في تولية أقاربه ، فأبقى اسماعيل بن علي على فارس، وسليمان بن علي البصرة، وعيسى بن موسى الكوفة، وولى صالح بن علي قنسرين ، والعباس بن محمد الجزيرة ، وعبدالله بن صالح حمص ، والفضل بن صالح دمشق ، ومحمد بن ابراهيم الاردن ، وعبدالوهاب ابن ابراهيم فلسطين ، كما ولى على اليمامة ومكة السرى بن عبدالله بن الحارث، ثم قثم بن عبيدالله بن العباس ؛ وولى جعفر بن سليمان على البحرين ثم على المدينة ، وولى مكة عبدالصمد بن علي ثم محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي ، ومن ولاته أيضاً عيسى بن موسى الذي ولي المدينة بعد القضاء على ثورة محمد النفس الزكية ، ومحمد بن سليمان بن علي على البصرة ثم الكوفة ، وصالح ابن داوود على البحرين وفارس ، ومحمد بن أبي العباس على البصرة ، والزبير ابن عبدالله بن الحارث على السند ، وداوود بن عبدالله بن معبد على واسط ، ويحيى بن محمد على الموصل .

أما المهدي فقد ولى موسى بن عيسى على الكوفة ، ومحمد بن سليمان البصرة والأهواز ، وعبدالصمد بن علي الجزيرة ثم مكة ، والفضل بن صالح الجزيرة ، وولى محمد بن ابراهيم الامام مكة ، كما ولى على السند قثم بـن العباس ، ثم عبدالله بن سليمان بن علي ، ثم عبدالله بن محمد بن ابراهيم .

وولى موسى الهادي عيسى بن سليمان الكوفة ، وعبيدالله بن العباس

(١٥) انظر في ذلك الطبري ٧١/٣ ـ ٧٣ ؛ تاريخ اليعقوبي ٣٨/٣ ؛ تاريخ خليفة ابن خياط ٤٣٧ ـ ٤٤٠ .

ابن عبدالله بن العباس مكة ، وعبيدالله بن المهدي أرمينية ، والفضل بن صالح مصر •

وولى هارون الرشيد على الكوفة العباس بن عيسى ، ثم موسى بن عيسى ، ثم جعفر بن ابي جعفر ، وعلى البصرة عيسى بن جعفر ، ومحمد بن سليمان بن علي ، واسحاق بن سليمان بن علي ؛ وولى على مكة سليمان بن جعفر وموسى بن عيسى ، وعلى أرمينية عبيدالله بن المهدي ثم موسى بن عيسى ، وعلى اليمن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الامام ، وعلى الشام سليمان بن ابي جعفر ، كما ولى على السند عيسى بن جعفر بن المنصور ثم أيوب بن جعفر بن سليمان •

وولى محمد الأمين اسحاق بن سليمان بن علي حمص وأرمينية ، وعبدالملك بن صالح الجزيرة وجند قنسرين والعواصم •

وولى المأمون صالح بن الرشيد على البصرة ، وابا اسحاق بن الرشيد على الشام ، والعباس بن موسى بن عيسى على مصر •

وعين الخلفاء العباسيون الأوائل عدداً من الولاة والقادة من غير الأسرة العباسية ، غير ان عدد الولاة من الاسرة العباسية اكثر من عدد أفراد أية أسرة أخرى ولي رجالها الولايات •

ثم قل استخدام العباسيين في الولايات والوظائف ، ما عدا ولاية الصلاة والامامة في جامع المنصور والرصافة ، حيث كان كافة ولاة الصلاة فيهما من العباسيين طيلة عصور الخلافة العباسية • ولاريب في أن لأمامة الصلاة أهمية معنوية باعتبارها تعبر عن الطابع الديني للخليفة ، غير أن أثرها المادي لم يكن كبيراً •

وكانت ولاية الحج محصورة بهم حتى القرن الرابع الهجري •

أما القضاء فلم يشغل منصب قاضي القضاة الا رجل واحد من بني العباس

هو جعفر بن عبدالواحد ، ولكن ولي القضاء منهم محمد بن صالح بن ام شيبان، وعلي بن محمد بن عبدالصمد المعروف بابن الفريق ، والقاسم بن علي الزيبئي ومحمد الدين العباسي [١٥أ] وكلهم في الأزمنة المتأخرة .

وعندما تأسست نقابة الاشراف في بغداد ، كان لهم نقيب خاص بهم يرعى مصالحهم ويعنى بشؤونهم . ولكن أحوال العباسيين المعاشية لم تكن جيدة ، ورعاية الخلفاء لهم أصبحت محدودة ، ولم يبرز في الأزمنة المتأخرة منهم الا آل الزينبي الذين ولي عدد غير قليل منهم الصلاة والنقابة ، وآل المأمون الذين كانت لهم مكانة مرموقة في آخر العصر العباسي .

وكان أهل البيت العباسي يذكرون في الكتب العامة والمناسبات المهمة ويقدمون على غيرهم .

فيذكر الطبري ان كتاب تنازل عيسى بن موسى شهد باقراره « أربعمائة وثلاثون من بني هاشم والموالي والصحابة »[١٦] ؛ وقرىء كتاب تجديد بيعة المهدي « على بيت المنصور والقواد والموالي »[١٧] ؛ وعندما توفي هرون الرشيد بايع الأمين «جلّ أهل بيته وخاصته ومواليه وقواده »[١٨] ؛ وكتب الأمين الى أخيه صالح ، وكان على العواصم والثغور « خذ البيعة على من قبلك من ولد أمير المؤمنين وأهل بيته ومواليه وخاصته وعامته »[١٩] ؛ وبعد ان قتل الأمين وساد الاضطراب في بغداد ، سأل الناصحون المأمون وكان مقيماً في مرو ان يخرج الى بغداد «فان بني هاشم والموالي والقواد والجند لواؤك

(١٥ أ) انظر مقالنا « قضاة بغداد في العصر العباسي» مجلة المجمع العلمي العراقي م ١٨ سنة ١٩٦٩ وخاصة ص ١٦ .
(١٦) الطبري ٤٧٧/٣ .
(١٧) كذلك ٤٨٨/٣ .
(١٨) كذلك ٧٦٧/٣ .
(١٩) كذلك ٧٦٨/٣ .

وعزتك »[٢٠] ؛ وكتب المأمون « الى بني العباس والموالي يعلمهم موت علي ابن عيسى »[٢١] .

وقد أولى ابو جعفر الأسرة العباسية عناية فائقة وكتب الى ابنه المهدي «وأوصيك بأهل بيتك أن تظهر كرامتهم وتقدمهم وتكثر الاحسان اليهم ، وتعظم أمرهم ، وتوطيء الناس أعقابهم ، وتوليهم المنابر ، فان عزك عزهم ، وذكرهم لك »[٢٢] .

ويروى طيفور بسند عن علي بن صالح صاحب المصلى أن المأمون أراد أن ينحي ابراهيم بن المهدي من مرتبة بني هاشم فقال له علي «ليس لك أن تعدل عن فعل آبائك : غضب المنصور على فلان فلم يزله عن مرتبة أهل بيته ، وغضب المهدي على عبدالصمد بن علي فلم يزله عن ذلك ، وليس لك الا مافعلوه ، قال صدقت ليس لي الا مافعلوا ، قال وأمر فاجلس مع بني العباس »[٢٣] ؛ ولعل فلاناً الذي غضب عليه المنصور هو سليمان بن علي الذي لجأ اليه عبدالله بن علي فأجار عبدالله من القتل .

يروى الهيثم بن عدي «فرّق ابو جعفر في جماعة من أهل بيته في يوم واحد عشرة آلاف (ألف ؟) درهم ، وأمر للرجل من اعمامه بألف ألف ، ولا نعرف خليفة قبله ولا بعده وصل بها أحداً من الناس . وقال العباس بن الفضل : أمر المنصور لعمومته سليمان وعيسى وصالح واسماعيل بني علي بن عبدالله بن عباس لكل رجل منهم بألف ألف معونة من بيت المال ، وكان أول خليفة أعطى ألف ألف من بيت المال فكانت تجري في الدواوين »[٢٤] .

ولما عاد المهدي من خراسان في سنة ١٥١ وفد الى لقائه عامة أهل بيته

---

(٢٠) كذلك ٣/١٠٢٧ .
(٢١) كذلك ٣/١٠٣٠ .
(٢٢) الطبري ٣/٤٤٥ .
(٢٣) تاريخ بغداد ١١٠ .
(٢٤) الطبري ٣/٤٢١ .

«فأجازهم وكساهم وحملهم ، وفعل مثل ذلك بهم المنصور وجعل لابنه المهدي صحابة منهم ، وأجرى لكل رجل منهم خمسمائة درهم »[٢٥] .

وتابع المهدي عنايته بأفراد الأسرة العباسية ، ففي سنة ١٦٠ ، أي بعد سنتين من توليه الخلافة «ردّ المهدي على أهل بيته قطائعهم التي كانت مقبوضة عنهم »[٢٦] والراجح أن هذه القطائع كانت في الحجاز ، وان الامويين هم الذين كانوا قد قبضوها عنهم ؛ اذ لم يعرف للعباسيين أملاك في العراق في زمن الامويين .

ويذكر الطبري انه في سنة ١٦٨ «ردّ المهدي ديوانه وديوان أهل بيته الى المدينة ، ونقله من دمشق اليها »[٢٧] ؛ ولاريب في أن قرار المهدي يهدف التقرب من أهل المدينة التي أظهر عناية بها ، ويثبت معهم العلاقات الودية ، علماً بأنه لم يكن لهذا القرار تأثير مالي كبير ، لأن العطاء محدد المقدار ، وكان يحوّل عملياً الى العراق حيث أصبح يقيم فيه معظم أفراد الاسرة العباسية .

وفي تلك السنة أيضاً «خرج المهدي الى نهر الصلة أسفل واسط ، وانما سمي نهر الصلة لانه فيما ذكر أراد أن يقطع أهل بيته وغيرهم غلته ، يصلهم بذلك »[٢٨] ؛ ولعل المهدي أراد من ذلك تأمين موارد ثابتة من غلّة هذا النهر لتحل محل الصلات التي لم تكن ثابتة أو مقننة . وعبارة « أهل بيته » قد تحتمل أنها اقتصرت على بعض أفراد الأسرة العباسية ، وليس جميعهم ، وأنه ربما أدخل فيها بعض غير العباسيين . ولم تذكر المصادر مقدار الموارد من نهر الصلة ، ولكن الراجح أنها لم تكن كبيرة لدرجة تؤمن مبالغ كبيرة لمن توزع عليهم .

---

(٢٥) الطبري ٣/٣٦٥ .
(٢٦) كذلك ٣/٤٨٥ .
(٢٧) كذلك ٣/٥٢٣ .
(٢٨) كذلك ٣/٥٢٣ .

وفي سنة ١٧٠ «أمر هارون (الرشيد) بسهم ذوي القربى فقسم بين بني هاشم بالسوية »[٢٩] ؛ وتعبير «ذوي القربى» ورد في القرآن الكريم في تسعة مواضع ، منها ستة تحصره بأقارب الرسول وان كانت الآيات لم تحدد مدى امتدادها وشمولها • وقد قرن التوزيع على ذوي القربى مع اليتامى والمساكين وابن السبيل ، مما يدل على أن المقصود هو توزيعه على المحتاجين الجديرين بالعون المادي ؛ والراجح أن سهم ذوي القربى الذي قرّره الرشيد لايقصد منه خمس موارد الدولة ، وانما خمس مال الرشيد ، وهذا ما ذكره ابن حمدون حيث قال انه في سنة ١٧٠ « أخرج الرشيد خمس ماله ففرقه في أربابه ، وحمل سهم من بالمدينة منهم عبدالله بن سليمان ، فأصاب كل رجل منهم ألف درهم ، ولكل امرأة خمس مائة درهم» [٣٠] •

يذكر الطبري أنه في سنة ٢٠٠ «أحصي في هذه السنة ولد العباس فبلغوا ثلاثة وثلاثين الفا مابين ذكر وأنثى »[٣١] ، وهذا الرقم الكبير أما أن يكون خطأ ، أو أنه أدخل فيه موالي العباسيين وعبيدهم •

وجدير بالذكر هنا أن الجاحظ يقول في كتاب البلدان الذي ألفه سنة ٢٤٨ « أن آل أبي طالب أحصوا منذ أعوام وحصلوا وكانوا قريباً من ألفين وثلاثمائة »[٣٢] ، وهذا الرقم يتباين كثيراً مع ماذكره الطبري عن بني العباس• ويذكر الصابي ان جمهور بني هاشم من العباسيين والطالبيين «كانت عدتهم بالحضرة أربعة آلاف نفس »[٣٣] ؛ وهذا الرقم منسجم مع ما ذكره الجاحظ ، وقد يدل على أن العباسيين كانوا قرابة الألفين •

---

(٢٩) الطبري ٦٠٥/٣ •
(٣٠) تذكرة ابن حمدون (مخطوطة احمد الثالث) •
(٣١) الطبري ١٠٠٠/٣ •
(٣٢) كتاب البلدان للجاحظ المنشور في مجلة كلية الاداب بجامعة بغداد ٤٧٩ •
(٣٣) الوزراء للصابى ٢٥ •

اقطاعات الاسرة العباسية ومنازلهم :

بالرغم من عناية الخليفة المنصور برجال الأسرة العباسية ، ورعايته لهم ، وتوليتهم الولايات الكبيرة ، واغداقه الهبات عليهم ، وحضه على حفظ مكانتهم المرموقة ، فان المعلومات المستمدة من توزيع الاقطاعات في بغداد عند تأسيسها لاتظهر لهم مكانة متميزة في تخطيطها . فلم يرد أي ذكر لاقطاع أحدهم داخل المدينة المدورة ، والاشارة الوحيدة التي ذكر اليعقوبي فيها ان المنصور بنى لاولاده بيوتاً في المدينة المدورة هي اشارة عامة اذ لم تذكر أي الاولاد بنى له بيت في المدينة المدورة ، كما انها لاتذكر هل كان مابنى للاولاد بناية واحدة مقسمة الى بيوت ، أم انها كانت عدة بيوت .

كانت اقطاعات المنصور لأولاده ولأبناء الاسرة العباسية كلها في الاطراف الشرقية والجنوبية من المدينة المدورة وخارجها .

فأما الأطراف الشرقية الممتدة على شاطىء دجلة فان الخطيب يذكر عن الرقعة التي بين المدينة المدورة ودجلة «وأما شاطىء دجلة من قرن الصراة الى الجسر ، ومن حد الدار التي كانت لنجاح بن سلمة ثم صارت لأحمد بن أبي اسرائيل ثم هي اليوم بيد خاقان المفلحي الى باب خراسان فهو الخلد ، ثم ما بعده الى الجسر فهو القرار ، نزله المنصور في آخر أيامه ، ثم أوطنه الأمين»[٣٤]، ويذكر أن «الزبيدية التي بين باب خراسان وبين شارع دار الرقيق فمنسوبة الى زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور »[٣٥] ، ويذكر اليعقوبي «الربع من باب خراسان الى الجسر على دجلة وما بعدها بازاء الخلد ، وكان فيه الاصطبلات وموضع العرض ، وقصر يشرع على دجلة لم يزل أبو جعفر ينزله ، وكان فيه المهدي قبل أن ينتقل الى مقره بالرصافة الذي بالجانب الشرقي من دجلة ، فاذا جاوز موضع الجسر ، فالجسر ومجلس الشرطة ودار صناعة

---

(٣٤) تاريخ بغداد ٩٢/١ .
(٣٥) كذلك ٨٩/١ .

الجسر . فاذا جاوزت ذلك فأول القطائع قطيعة سليمان بن ابي جعفر في الشارع الأعظم على دجلة ، وفي درب يعرف بدرب سليمان .

والى جنب قطيعة سليمان في الشارع الأعظم قطيعة صالح بن أمير المؤمنين المنصور ، وهو صالح المسكين ، مادة الى دار نجيح مولى المنصور التي صارت لعبدالله بن طاهر (٣٦) .

وبالقرب من مصب الصراة بدجلة كانت الشرقية «وانما سميت الشرقية لأنها قدرت مدينة للمهدي قبل أن يعزم على أن يكون نزول المهدي في الجانب الشرقي من دجلة فسميت الشرقية »(٣٧) ، ويذكر البلاذري أن المنصور قبل أن يبني الرصافة بنى للمهدي «قصره الذي يعرف بقصر الوضاح وبقصر المهدي ، وبالشرقية ، وهما مما يلي باب الكرخ »(٣٨) .

أما الرقعة الممتدة على شاطىء دجلة جنوبي ملتقاه بالصراة ، فان اليعقوبي ذكر «وتنعرج من الشرقية ماراً الى قطيعة جعفر بن المنصور على شط دجلة ، وبها دار عيسى بن جعفر ، وتقرب منها دار جعفر بن المنصور»(٣٩)، وذكر الخطيب عن هذه المنطقة « وأما شاطىء دجلة فمن قصر عيسى الى الدار التي ينزلها في هذا اليوم على قرن الصراة ابراهيم بن أحمد ، فانما كانت اقطاعاً لعيسى بن علي ، يعني ابن عبدالله بن عباس ، واليه ينسب نهر عيسى ، وقصر عيسى ، وعيسى بن جعفر ، وجعفر بن ابي جعفر ، واليه تنسب فرضة جعفر ، وقطيعة جعفر »(٤٠) .

أما اقطاعات المنصور لأفراد الأسرة العباسية عند تأسيسه بغداد ، فتقع

---

(٣٦) كتاب البلدان ٢٤٩ .
(٣٧) البلدان ٢٤٥ .
(٣٨) فتوح البلدان ٢٩٤ .
(٣٩) البلدان لليعقوبي ٢٤٥ .
(٤٠) الخطيب ٩١/١ .

في الاطراف الجنوبية الغربية خارج المدينة المدورة . فيذكر اليعقوبي «وكان أول من اقطع خارج المدينة المدورة من أهل بيته عبدالوهاب بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بازاء باب الكوفة على الصراة السفلى .

وأقطع العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب الجزيرة التي بين الصراتين ، فجعلها العباس بستاناً ومزدرعاً ..

وأقطع الشروية ، وهم موالي محمد بن علي بن عبدالله بن العباس دون سويقة عبدالوهاب مما يلي باب الكوفة [41] .

ويذكر أيضاً « فتعرج من القنطرة العتيقة التي على الصراة ذات اليمين الى قطيعة اسحاق بن عيسى بن علي ، وقصوره ودوره شارعة على الصراة العظمى من الجانب الشرقي ، والطريق الأعظم بين الدور والصراة »[42] .

ولاريب في أن أبرز اقطاعات العباسيين في الجانب الغربي هو قصر عيسى الذي كان يقع في أقصى الطرف الجنوبي ، وعلى شاطىء دجلة ، وكان كبيراً يتسع لثلاثة الآف من موالي عيسى بن علي ، وظل اسمه يطلق على المنطقة الى نهاية زمن الخلافة العباسية .

واستكمالاً للبحث نذكر أن عدداً من أبناء الأسرة العباسية اقطعوا في الجانب الشرقي بعسكر المهدي ، وفي هذا يذكر اليعقوبي « أقطع المنصور أخوته وقواده بعد ما أقطع من الجانب الغربي ، وهو جانب مدينته ، وقسمت القطائع في هذا الجانب ، ويعرف بعسكر المهدي ، كما قسمت في جانب المدينة ، وتنافس الناس في النزول على المهدي لمحبتهم له ولاتساعه عليهم بالأموال والعطايا ، ولأنه كان أوسع الجانبين أرضاً ، لان الناس فيه سبقوا الى الجانب الغربي ، وهو جزيرة بين دجلة والفرات ، فبنوا فيه ، وصار فيه

(٤١) البلدان ٢٤٣ .
(٤٢) كذلك ٢٤٤ .

الأسواق والتجارات ، فلما ابتدىء البناء في الجانب الشرقي امتنع على من أراد سعة البناء .

فأول اقطاع على رأس الجسر لخزيمه بن خازم التميمي .. ثم قطيعة اسماعيل بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب .

ثم قطيعة العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب ، لأنه جعل قطيعته في الجانب الغربي بستاناً .

ثم قطيعة السرّي بن عبدالله بن الحرث بن العباس بن عبدالمطلب عامل ابي جعفر على اليمامة (٤٣) .

ويذكر الخطيب أنه في سنة ١٦٤ «بنى المهدي بعيسا باذ .. وهو عيسى ابن المهدي ، ولد الخيزران ، قصره الذي سماه قصر السلام »(٤٤) .

وذكر أيضا أن شاطىء دجلة من الجانب الشرقي «فأوله بناء الحسن بن سهل .. ودار دينار ، ودار رجاء بن الضحاك ، ثم منازل الهاشميين ، ثم قصر المعتصم ، وقصر المأمون ، ثم منازل آل وهب الى الجسر كانت اقطاعا لناس من الهاشميين ومن حاشية الخليفة »(٤٥) ، غير ان الخطيب لم يذكر اسماء الهاشميين الذين اقطعت لهم مواقع منازل آل وهب .

وفي المصادر اشارات الى بعض الأماكن المنسوبة الى العباسيين الأولين ، ومنها دار أم عبدالله بالكرخ ، وكان فيها أصحاب الدبس ، وصاحبة الدار هي ابنة عيسى بن علي وأم زبيدة زوجة الرشيد (٤٦) .

---

(٤٣) البلدان ٢٥١ .
(٤٤) الخطيب ١/٩٧ .
(٤٥) كذلك ١/٩٨ .
(٤٦) الطبري ٣/٧٥٧ .

وذكر أيضا دار ابراهيم بن المهدي «في ناحية ســوق العطــش»[٤٧] ، وشارع المنصور [٤٨] أو درب المنصور [٤٩] في الكرخ .

يتبين من المعلومات التي وصلت الينا وأجملناها أعلاه ، أنه لم يكن لأحد من رجال الأسرة العباسية اقطاع أو دار في المدينة المدورة عندمــا شيدهــا المنصور ، ولا بعد زمنه ، بدليل عدم ذكر المصادر لذلك ، خلا اشارة اليعقوبي، وعدم ذكر أحد سكن فيها ، فضلا عن عدم تسمية أي من سكك المدينة المدورة باسم رجل من الأسرة العباسية .

ان هذه الاقطاعــات كانت قليلة بالمقــارنة مع العدد الكبير الذي كان حياً في زمن المنصور ، ويلاحظ أن معظم من كان يلي الولايات لم يقطعهــم المنصور عندما أسس مدينته ، ولم يرد ذكر لسكناهم فيها .

والاقطاعات القليلة التي ذكرتها الكتب موزعة على ثلاثة أماكن : أولهــا الشاطيء الغربي من دجلة بين الجسر وقصر عيسى ، وفيها اقطاعات أولاده ، ثم اقطاع عيسى بن علي والثاني في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة المدورة، وبالقرب من قطائع الشرويين ودور الصحابة ؛ أما الثالثة فموزعة في الجــانب الشرقي ؛ أي انها ليست مجتمعة في مكان واحد . ولايوجد دليل على خطــة مرسومة لتوزيع هذه الاقطاعات . وعلى أي حال فان اقطاعاتهم لم تكن قرب قصر الخليفــة .

ويدل قول اليعقوبي «أول من أقطع خارج المدينة من أهل بيته (المنصور) عبدالوهاب بن ابراهيم »[٥٠] على أن الاقطاعات كانت تدريجية وفي أوقــات مختلفة ، وأنها لم تقم على خطة عامة مرسومة ؛ وأن تأخر اقطاعهم في الرصافة

---

(٤٧) الخطيب ١٤٢/٦ .
(٤٨) الخطيب ٣٥٦/٧ .
(٤٩) المنتظم لابن الجوزي ١٨٩/٩ .
(٥٠) البلدان ٢٤٣ .

يدل على أن أبا جعفر المنصور لم يفكر بجمع رجال الأسرة العباسية واسكانهم في بغداد عند انشائها ، وان سكناهم فيهـا تم تدريجيا ولم يخضـع لقواعد مسبقـة .

وتدل التسميات المتعددة لأملاك العباسيين على حرية تصرفهم فيهـا ، فقد كان لعبدالوهاب بن ابراهيم الامام ربض وقصر ، وللعباس جزيرة ومزدرع ، ولاسحق بن عيسى قطيعة فيها قصور ودور شارعة ، ولجعفر بن المنصـور قطيعة فيها دار ، وللعباس قطيعة جعلها بستاناً .

وذكرت المصادر قصر عيسى بن علي وهو «أول قصر بناه الهاشميـون ببغداد أيام المنصور » ، كما ذكرت قصر عبدالوهاب ، وقصور اسحاق ودوره ، وقصر المهدي بالرصافة ، وقصر أم حبيب ، وقصر اسماء .

وذكرت المصادر أيضا «عيسا باذ» التي سميت بعيسى بن محمد المهدي ، وكلمة آباد قد تدل على أنها كانت وحدة سكنية كبيرة ، علماً بأنه لم تـذكر ببغداد أية وحدة أخرى الحق باسمها « آباذ » .

ولم يقتصر التفرق على أماكن سكنى رجال الأسرة العباسية ، وانمـا امتد الى مدافنهم أيضا . فكان عبدالله بن علي (ت ١٥٠هـ) أول من دفـن في باب الشام (٥١) ، وعيسى بن علي (ت ١٦٣) دفن في مقابر قريش (٥٢) ، وموسى بن جعفر (ت ١٨٣) دفن في الشونيزي (٥٣) ، وعبدالصمد بن علي (ت ١٨٥) دفن في بـاب البردان (٥٤) ، وعلي بـن المهـدي دفن ببسـتانه بعيساباذ (٥٥) .

---

(٥١) الطبري ٣/٣٣١ .
(٥٢) الخطيب ١١/٤٧ .
(٥٣) الخطيب ٨/٣٢ .
(٥٤) الخطيب ١١/٣٧ .
(٥٥) الخطيب ١٢/٥٤ .

ودفن محمد بن ابراهيم الامام (ت ١٨٥) في مقبرة العباسة [٥٦] وكانت قرب سوق السلاح [٥٧] وقد سميت باسم العباسة بنت المهدي [٥٨] • أما مقبرة الخيزران فهي من أشهر المقابر في الجانب الشرقي ، وقد سميت باسم زوجة المهدي •

ويلاحظ أن عدداً من النساء العباسيات سميت باسمهن أيضاً قصور وأماكن ، وخاصة بنات المهدي وزوجاته : فأسماء بنت المهدي كان اسمها يطلق على قصر وعلى طاق صارت له شهرة فسميت المحلة به ؛ والعباسة بنت المهدي سميت باسمها مقبرة وسويقة ودار في المخرّم • وأم جعفر سميت بها بستان وقطيعة ، كما أن زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر سميت بها قطيعة تقع بين باب خراسان وبين شارع دار الرقيق وقطيعة أخرى أسفل مدينة السلام [٥٩] •

ومن المنشآت المشهورة المسماة بأسماء النساء العباسيات قصر أم حبيب ابنة الرشيد المتوفاة سنة ٢٦٧ [٦٠] ، وكان قصرها تسكنه النساء العباسيات[٦١] ، وسكنه المستعين في بعض المدة التي كان يقاتل فيها المعتز [٦٢] •

ويلاحظ أن بعض النساء العباسيات كانت لهن شهرة ، فكانت البانوقة من الشخصيات البارزة ، واشتهرت عُلَيّة بنت المهدي في الاوساط الغنائية ، كما أن لزبيدة زوجة هارون الرشيد وأم الخليفة الأمين شهرة معروفة • ولم

---

(٥٦) الخطيب ٣٨٥/١ •
(٥٧) الفهرست لابن النديم ٩١ طبعة تجددي •
(٥٨) الخطيب ٤١٠/١٠ •
(٥٩) الخطيب ٨٩/١ •
(٦٠) الطبري ١٦٣٤/٣ ، ١٩٧١ •
(٦١) الوزراء للصابى ٢٤ •
(٦٢) الطبري ١٦٢٤/٣ •

تشتهر في التاريخ العباسي أية من السيدات العباسيات كما اشتهرت هذه السيدات •

ويلاحظ أن عدداً من الخلفاء العباسيين الأولين تزوجوا سيدات من الأسرة العباسية ، فقد تزوج المهدي ريطة بنت أبي العباس السفاح ، وتزوج الرشيد زبيدة بنت جعفر بن ابي جعفر، وأم محمد بنت صالح المسكين، والعباسة ابنة سليمان بن جعفر (٦٣) ، وتزوج المأمون أم عيسى ابنة الهادي (٦٤) ، أما بعد هذا التاريخ فلم تذكر المصادر زيجة الا المستعين الذي تزوج العباسة ثم عائشة ابنتي الواثق (٦٥) •

ان انتقال مقام الخلافة الى سامراء كان له تأثير على أوضاع الأسرة العباسية ومكانتها في بغداد ، اذ لابد أنه انتقل مع الخليفة أهل بيته وربما عدد من أفراد الأسرة العباسية ؛ وقد أدرك أهل بغداد بهذا الانتقال أن ازدهارها لايتوقف على مقام الخلافة العباسية فيها ، مما أضعف مكانة الأسرة فيها •

ولما عادت الخلافة العباسية الى بغداد ، اتخذ الخلفاء مقامهم في الجانب الشرقي ؛ وتابعوا عنايتهم بأفراد الأسرة فكان المعتضد يفرّق « على من في قصر الرصافة من الحرم المحتاجات من قيمة مائتي درهم محدداً في كل يوم خمسة عشر ديناراً ، ويجري على أولاد المتوكل وأولادهم وعلى أولاد الواثق والمهتدي بالله والمستعين وسائر أولاد الخلفاء ومن في قصر أم حبيب من جملة خمسمائة دينار في الشهر ، ستة عشر ديناراً وثلثي دينار (٦٦) ، ويتبين من هذا

---

(٦٣) الطبري ٧٥٧/٣ •
(٦٤) الطبري ٥٨٠/٣ •
(٦٥) تاريخ الكازروني ١٤٤ •
(٦٦) الوزراء للصابى ٢٤ — ٢٥ •

ضآلة المبلغ الذي كان يوزع عليهم مما أدى الى تذمرهم » (٦٧) .

غير انه منذ زمن المكتفي كان مستقر اولاد الخلفاء في دار محمد بن عبدالله بن طاهر (٦٨) ، كما اشترى ابراهيم بن المقتدر دار محمد بن اسحاق بن كنداج بالقرب من دار ابن طاهر وجعلها مستقراً لأولاد الخلفاء (٦٩) ، ومنذ ذلك الحين اصبحت تسمى «الحريم الطاهري» .

غير أن عدداً كبيراً منهم تفرقت أماكن سكناهم في مناطق متعددة من الجانب الغربي (٧٠) .

★ ★ ★

---

(٦٧) المنتظم ٦/١٩٥ ، ٢٦٧ .
(٦٨) الاوراق للصولي ٢٨٢ .
(٦٩) انظر فصل الحريم الطاهري في هذا الكتاب .
(٧٠) انظر تفاصيل أوفى عن ذلك وعن أحوال الاسرة العباسية في بغداد في العهود المتأخرة مقالنا «الأسرة العباسية في بغداد» المنشور في مجلة سومر م ٣١ ج ١ – ٢ ، ١٩٧٥ .

الفصل الرابع

الصحابة والأنصار

الصحابة

اختار الخلفاء العباسيون الأوائل رجالاً قربوهم اليهم ؛ وسمّت المصادر هؤلاء المقربين «الصحابة» ؛ وحدث هذا الاختيار منذ زمن الخليفة العباسي الأول ابي العباس السفاح ، فقد ذكر المسعودي أن أبا جعدة بن هبيرة المخزومي «كان أحد وزراء مروان (آخر الخلفاء الامويين) وسمّاره ، وقد كان لما ظهر أمر أبي العباس انضاف الى جملته وصار في عداد أصحابه وخواصه الذين اتخذهم [1] ، وذكر أيضا من أصحاب الخليفة أبي العباس سليمان بن ابي خالد[2] ، وابراهيم بن مخرمة الكندي [3] ، وخالد بن صفوان [4] ، وابا بكر الهذلي [5] . وذكر البلاذري أن ابراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي كان من صحابة أبي العباس وسمّاره وأنه اختاره لأنه « حسن العلم والحديث » [6]

---

(١) مروج الذهب ٣/٢٧٢ (طبعة صادر) .
(٢) كذلك ٣/٢٧٢ .
(٣) كذلك ٣/٢٧٨ .
(٤) كذلك ٣/٢٨٥ .
(٥) كذلك ٣/٢٧٩ .
(٦) انساب الاشراف ٣/١٦٠ .

وانه كان أبو العباس يقول ان أردنا علم الحجاز وتهامة فعند سعيد بن عمرو ابن الغسيل الانصاري ، وان أردنا علم تميم وعلوم فارس والعجم فعند خالد بن صفوان ، وان أردنا علم الدنيا والآخرة والجن والانس ، فعند أبى بكر الهذلي ، فكان هؤلاء من سماره وحدّاثه » [٧] .

وواضح مما ذكرناه أعلاه أن المسعودي والبلاذري متفقان في أسماء الذين قربهم أبو العباس ، ولم يكن أحد منهم من رجال الجيش أو الادارة ، وانما كانوا جميعا من «العلماء» العرب الذين عرفوا بحسن التحدث والثقافة الواسعة ، وقد نقلت كتب غير قليلة ، ومنها البيان والتبيين ، والحيوان للجاحظ ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، ومروج الذهب للمسعودي ، والبلدان للهمداني ، أقوالا لهؤلاء ، ومناظرات شاركوا فيها تظهر سعة اطلاعهم واهتمامهم بالجوانب الثقافية التي اهتم بها العرب آنذاك . ولعل هذه الاسماء هي بعض من كان في صحابة ابي العباس ، وان آخرين كانوا أيضا متصلين به لنفس الغرض .

تكثر الاشارات في الأخبار المتعلقة بأبى جعفر المنصور والمهدي الى «الصحابة» كجماعة متميزة من المتصلين بالخليفة والمقربين اليه ، فيروى الطبري عن الهيثم بن عدي عن ابن عيّاش أنه لما تتابعت الاحداث على ابى جعفر اثر ثورة محمد النفس الزكية «أمر باحضار القواد والصحابة وأهل بيته ، وأمر حماداً التركي باسراج الخيل »[٨] ; ولما كتب عيسى بن موسى كتاب تنازله عن ولاية العهد « شهد على عيسي بن موسى باقراره بما في هذا الشرط أربعمائة وثلاثون من بني هاشم والموالي والصحابة من قريش والوزراء والكتّاب والقضاة » [٩] .

---

(٧) كذلك ٣/١٦٠ .
(٨) الطبري ٣/٤٣٠ .
(٩) كذلك ٣/٤٧٧ .

وعندما طغت مكانة الموالي عند المهدي وصاروا يشنعون على وزيره أبي عبيدالله ، اختار هذا أربعة رجال من قبائل شتى من أهل الأدب والعلم ، فضمهم الى المهدي ، فكانوا في صحابته ، فلم يكونوا يدعون الموالي يتخلون به »[10] .

يتبين من هذه النصوص مكانة الصحابة ، فقد وضعوا في أحدها بعد القواد وقبل أهل بيت الخليفة [11] ، ووضعوا في نص آخر بعد بني هاشم والموالي ، وقبل الوزراء والكتاب [13] ، وفي نص آخر وضعوا قبل الموالي[14] ؛ وكل هذا يظهر مكانتهم المتميزة ، كما أن أحد النصوص يشير الى تميزهم عن الموالي ومنافستهم لهم [15] .

يظهر نص أورده البلاذري أن الصحابة كانوا يدخلون قصر الخليفة بحرية ، فيروى عن سلام الأبرش ان المنصور « أرق ذات ليلة فقال للربيع انظر من في الدار من الصحابة ، فأدخله الا ان يكون عبدالله بن عيّاش»[16] .

ذكر اليعقوبي أن الصحابة كانوا من سائر قبائل العرب : من قريش والانصار وربيعة ويمن [17] ، وذكر الخطيب منهم أبا بكر الهذلي ، ومحمد ابن يزيد ، وشبّة بن عقال ، وحنظلة بن عقال ، وعبدالله بن عياش ، وعبدالله ابن الربيع الحارثي ، وابن ابي سعلى ، وأبا دلامة [18] .

---

(١٠) كذلك ٣/٤٨٨ .
(١١) كذلك ٣/٤٣٠ .
(١٢) كذلك ٣/٤٧٧ .
(١٣) كذلك ٣/٤٧٧ ، ٧٧٠ .
(١٤) كذلك ٣/٧٧٠ .
(١٥) كذلك ٣/٤٨٨ .
(١٦) انساب الاشراف ٣/٢١٠ .
(١٧) البلدان ٢٤١ .
(١٨) الخطيب ١/٨٦ .

نقل الطبري عن معن بن زائدة أن الصحابة في زمن ابي جعفر كـان يبلغ عددهم سبعمائة رجل [١٩] ، وذكر في ثنايا بعض الأخبار اسماء عدد منهم: وممن ذكرهم : معن بن زائدة الشيباني[٢٠] ، وقحطبة بن غدانة الجشمي[٢١] ، وأبو بكر الهذلي [٢٢] ، وابن عياش المنتوف [٢٣] ، وأحمـد بـن ابراهيـم ابن اسماعيل[٢٤] ؛ وذكر الخطيب من صحابة المنصـور عبدالله بن زكريـا الفهري [٢٥] ، وعيسى بن ابي الورد [٢٦] .

جعل المنصور للمهدي صحابة خاصة من أهل بيته فيذكر الطبري أنـه في سنة ١٥١ «في هذه السنة قدم على المنصور ابنه المهدي من خراسان ، وذلك في شوّال منها ، فوفـد اليه للقائه وتهنئة المنصور بمقدمه عامة أهـل بيته من كان منهم بالشام والكوفة والبصرة وغيرها ، فأجـازهم وكسـاهم وحملهم ، وفعل مثل ذلك بهم المنصور وجعل لابنه المهدي صحابة منهم ، واجرى لكل رجل منهم خمسمائة درهم » [٢٧] .

والراجح أن هؤلاء الصحابة هم الذين كوّنوا «الخاصة» الذين ذكروا في الأخبار منذ زمن ابي العباس السفاح فقد ذكر البلاذري أن أبا العبـاس خطب عندما بويع في الكوفة وجاء في خطبته « ولأكرمنّ الخاصة ما أمنتهم على العامة »[٢٨] ، ولما توفي السفاح خطب داوود بن علي وقال في خطبتـه

---

(١٩) الطبري ٣٩٥/٣ .
(٢٠) كذلك ٣٩٥/٣ .
(٢١) كذلك ٤٢٧/٣ .
(٢٢) كذلك ٤٣٦/٣ .
(٢٣) كذلك ٤٣٦/٣ .
(٢٤) كذلك ٤٤٠/٣ .
(٢٥) الخطيب ٤٥/١٠ .
(٢٦) الخطيب ٢٠١/٨ .
(٢٧) الطبري ٣٦٥/٣ .
(٢٨) انساب الاشراف ١٤١/٣ وانظر نهج البلاغة ١٥٧/٧ .

« وأمتع به الخاصة والعامة »[٢٩] ؛ وقد كثر استعمال « الخاصة » ، واختفى استعمال « الصحابة » بعد المهدي ؛ فيذكر الطبري ان المهدي لما حمل عيسى بن موسى على التنازل عن ولاية العهد كان محمد بايعه «من حضر من اصحابه ووجوه القواد وشيعته ثم نزل المهدي فصار الى منزله ووكل ببيعته من بقي من الخاصة والعامة خاله يزيد بن منصور »[٣٠] وأن موسى الهادي لما ورد عليه خلع أهل فخ خلا ليلة يكتب كتابا بخطه ، فاغتنم بخلوته مواليه وخاصته[٣١]، ولما مات هارون الرشيد وقف الامين «وبايعه جلة أهل بيته وخاصته ومواليه وقواده ، ووكل ببيعته على من بقى منهم عم ابيه سليمان بن ابي جعفر فبايعهم، وأمر السندي بمبايعة جميع الناس من القواد وسائر الجند »[٣٢] ، كما كتب لأخيه صالح «٠٠ وخذ البيعة علي من قبلك من ولد أمير المؤمنين وأهل بيته ومواليه وخاصته وعامته »[٣٣] ، وكتب الى المأمون «وخذ البيعة عمن قبلك من قوادك وجندك وخاصتك وعامتك »[٣٤] ٠

ذكرنا قول الطبري أن المنصور «جعل لابنه المهدي صحابة منهم ، وأجرى لكل رجل منهم خمسمائة درهم»[٣٥] ؛ ومع أن الطبري لم يوضح فيما اذا كان هذا الرزق يدفع شهرياً أم سنوياً ، الا انه عند مقارنته بما كان يدفع للجند ، وملاحظة مكانة الصحابة ، فالراجح ان هذا المبلغ كان ما يدفع في الشهر ، وكان دفعه منتظماً ، ومسجلاً في الديوان ، وأنه المقدار الذي يدفع لكافة الصحابة ؛ اذ توجد اشارات الى أن الرزق يثبت في الديوان فيروي البلاذري ان المنصور كان يمقت الغناء فقال عن المغني « ولا اجرى عليه

---

(٢٩) انساب الاشراف ١٨٧/٣ ٠
(٣٠) الطبري ٤٧٣/٣ ٠
(٣١) كذلك ٥٦٧/٣ ٠
(٣٢) كذلك ٥٦٧/٣ ٠
(٣٣) كذلك ٧٦٨/٣ ٠
(٣٤) كذلك ٧٦٧/٣ ٠
(٣٥) الطبري ٣٦٥/٣ ٠

رزقاً يثبت في الديوان (٣٦) .

وعندما بنى ابو جعفر المنصور مدينته ، أقطع للصحابة قطيعة في خارجها وعلى الطرف الجنوبي منها على الصراة ، فذكر اليعقوبي «وعلى الصراة قطيعة الصحابة وكانوا من سائر قبائل العرب من قريش والأنصار وربيعة ويمن ، وهناك دار عياش المنتوف وغيره»(٣٧) ، ونقل الخطيب عن محمد بن خلف « ودور الصحابة منهم أبو بكر الهذلي وله مسجد ودرب ، ومحمد بن يزيد ، وشبة بن عقال ، وحنظلة بن عقال ولهم درب ينسب الى الاستخراجي اليوم ، ولعبدالله بن عيّاش دار على شاطىء الصراة ، ولعبدالله بن الربيع الحارثي دار في دور الصحابة ، ولابي سعلى الشاعر ، ولابي دلامة زيد بن جون اقطاع»(٣٨) ؛ وروى بسند عن سليمان بن ابي شيخ «كان ابو جعفر المنصور أمر بدور من دور الصحابة ان تهدم او تقبض ، وفيها دار لابي دلامة»(٣٩) ؛ وذكر البلاذري سبب هذا الهدم اذ قال « مرّ المنصور في بعض السكك وكانت مضيقة بالبناء ، فأمر بهدم ما ضيقت به من ذلك البناء ، وبلغ الهدم دار ابي دلامة » (٤٠) ؛ يتبين من كلام اليعقوبي والخطيب أن قطيعة الصحابة ودورهم كانت على الصراة (٤١) ، ويذكر الخطيب انها عند القنطرة العتيقة (٤٢) ، ويتبين من كلام الخطيب ان هذه القطيعة ، وهو لايسميها قطيعة وانما يقول «دور الصحابة» ، كان فيها مسجد لأبي بكر الهذلي، ودروب

---

(٣٦) انساب الاشراف ٣/٢٦١ .
(٣٧) البلدان ٢٤١ .
(٣٧) البلدان ٢٤١ .
(٣٨) الخطيب ١/٨٦ .
(٣٩) كذلك ١/٨٧ .
(٤٠) انساب الاشراف ٣/٢١٤ .
(٤١) انظر عن موقعها على شط الصراة : الخطيب ١٠/١٥ .
(٤٢) الخطيب ٧/٤٣٠ ، ١٢/٢١٥ .

لكل من أبى بكر الهذلي ، وشبّة وحنظلة ابنى عقّال ؛ وقد ذكر ابن الفقيه مسجد ابى بكر الهذلي في شارع الصحابة [٤٣] .

وذكر الخطيب في مواضع اخرى من كتابه دور الصحابة ، وكان محمد اقطع فيها مع الصحابة عبدالله بن زكريا الفهري [٤٤] ، وعبدالله بن عياش [٤٥] ، وأنه كان ممن يسكن فيها خالد بن يزيد بن وهب بن جرير بن حازم [٤٦] .

وذكر الخطيب ايضاً مسجد الصحابة ، وممن كان يقرىء فيه عمرو بن الصباح أبو حفص الضرير [٤٧] ، والحسن بن المبارك الانماطي [٤٨] .

ويذكر الخطيب أن «عيسى بن أبى الورد الذي نسبت اليه سويقة أبى الورد كان من صحابة المنصور » [٤٩] ، ومن المعلوم أن هذه السويقة كانت بالقرب من دور الصحابة ، ولعلها افردت لسعة حجمها ولكونها اصبحت سوقاً .

لم تذكر المصادر موقع خطط صحابة المهدي ، غير ان الراجح انهم اسكنوا الرصافة التي بنيت للمنصور ، خاصة وان هؤلاء الصحابة وضعهم المنصور للمهدي بعد عودته من الري ، أي بعد اكتمال توزيع خطط الجانب الغربي .

ومما يجدر ذكره ان بعض أصحاب المراكز كانت لهم صحابة خاصة ، فيروى الطبري ان يعقوب وزير المهدي «ضم اليه من متفقهة البصرة وأهل

---

(٤٣) بغداد مدينة السلام ٤٥ .
(٤٤) الخطيب ٤٥/١٠ .
(٤٥) الخطيب ١٥/١٠ .
(٤٦) الخطيب ٣١٦/٨ .
(٤٧) كذلك ٢٠٥/١٢ .
(٤٨) كذلك ٤٣٠/٧ .
(٤٩) كذلك ٢٠١/٨ وانظر المنتظم ٤٢/٥ .

الكوفة وأهل الشام عدداً كبيراً ، وجعل رئيس البصريين والقائم بأمرهم اسماعيل بن عليّة الاسدي ومحمد بن ميمون العنبري ، وجعل رئيس أهل الكوفة وأهل الشام عبد الاعلى بن موسى الحلبي»[٥٠] .

الأنصار

ذكر الطبري أن الخليفة المهدي ذهب في سنة ١٦٠ الى الحجاز «وأمر أيام مقامه بالمدينة باثبات خمسمائة رجل من الأنصار ليكونوا معه حرساً له بالعراق وأنصاراً ، وأجرى عليهم أرزاقاً سوى اعطياتهم ، وأقطعهم عند قدومهم معه قطيعة تعرف بهم»[٥١] . ويلاحظ أن المهدي نقل ديوان العباسيين من الاردن الى الحجاز [٥٢] ، وبذا قوّى العباسيين في الحجاز ، والحجازيين ببغداد .

وذكر الخطيب عن محمد بن عرفة الأزدي «واما قطيعة الأنصار فان المهدي أقدمهم ليكثر بهم أنصاره ويتيمن بهم ، فأقطعهم هذه القطيعة ، وكانت منازل البرامكة بالقرب منهم »[٥٣] . ان هذا النص ورد ضمن الكلام عن اقطاعات الجانب الغربي ، غير أنه في كلامه عن الانهار يقول «ويمر نهر موسى أيضا الى قنطرة الأنصار فيحمل منه هناك ثلاثة أنهار : يصب أحدها في حوض الأنصار ، والثاني في حوض هيلانة ، والثالث في حوض داوود »[٥٤] ويدل هذا على ان القطيعة كانت في الجانب الشرقي .

ذكر الخطيب ربض الأنصار في ثلاثة مواضع من كتابه ، حيث ذكر أن ممن كان يسكنه سعيد بن عبدالحميد بن جعفر الحكمي[٥٥] ، وطلحة بن يحيى

---

(٥٠) الطبري ٣/٤٨٧ .
(٥١) الطبري ٣/٤٨٤ .
(٥٢) الطبري ٣/٥٢٣ .
(٥٣) الخطيب ١/٨٨ – ٩ .
(٥٥) الخطيب ٩/١٢٤ – ١٢٦ .

الزرقي [٥٦] ، وعمرو بن محمد بن عمرو بن معاذ [٥٧] .

وذكر أيضاً درب الأنصار وممن نزله موسى بن محمد الاوسي [٥٨] كما ذكر محلة الأنصار ، وكان ينزلها أبو اليسر الأنصـــاري [٥٩] ، وذكر قنــطرة الانصار ، وكان يسكن عندها محمود الظفري [٦٠] .

وكان للانصار مسجد ذكر الخطيب من أئمته عصمة بن محمد بن فضالة الخزرجي [٦١] ، وفيه صلى موسى بن اســحق الأنصــاري على ابراهــيم الوكيعي (ت ٢٨٩ هـ) [٦٢] .

كما كانت للأنصار مقبرة ذكر الخطيب ممن دفن فيهــا جعفر بــن عيسى الحسني ت ٢١٩ [٦٣] ، ومحمد بن اسحق الزرقي ت ٣٦٦ [٦٤] .

وكان للانصار نقباء، ذكر الخطيب منهم محمد بن اسحق بن ابراهيم[٦٥].

---

(٥٦) كذلك ٣٤٨/٩ .
(٥٧) كذلك ١٩٢/١٢ .
(٥٨) كذلك ٢٠/٣ .
(٥٩) كذلك ١٢/٦ .
(٦٠) كذلك ٩٢/١٣ .
(٦١) ابن سعد ٧ ــ ٧٥/٢ الخطيب ٢٨٦/١٢ .
(٦٢) الخطيب ٦ ، ١٢ .
(٦٣) كذلك ١٦٢/٧ .
(٦٤) كذلك ٢٦٠/١ .
(٦٥) كذلك ٣٦٦/١ وانظر المنتظم ٨٥/٧ .

الفصل الخامس

الموالي

كان الموالي من الكتل العليا المرتبطة بالخلافة ، وقد وصفوا في كثير من النصوص مع البيت العباسي والقواد والصحابة والخاصة .

فلما تتابعت الأحداث على المنصور ابان ثورة محمد النفس الزكية «أمر باحضار القواد والموالي والصحابة وأهل بيته»[1] ؛ وفي كتاب خلع عيسى بن موسى عن ولاية العهد «أشهد عليه باعترافه بما في هذا الشرط أربعمائة وثلاثون من بني هاشم ومن الموالي والصحابة من قريش ، والوزراء والكتّاب[2] ، ولما جددت البيعة للمهدي « قرئت على بيت المنصور والقواد والموالي» ؛ وعندما ثار العلويون في فخ أيد القائد العباسي «من وافى في تلك السنة من شيعة ولد العباس ومواليهم وقوادهم »[4] .

وعندما ولي الأمين الخلافة كتب الى صالح بن الرشيد « خذ البيعة على من قبلك من ولد أمير المؤمنين وأهل بيته ومواليه وخاصته وعامته لمحمد الأمين »[5] .

---

(١) الطبري ٣/٤٣٠ .
(٢) كذلك ٣/٤٧٦ .
(٣) كذلك ٣/٤٨٨ .
(٤) كذلك ٣/٥٥٧ .
(٥) كذلك ٣/٧٦٨ .

ولما نقم أهل بغداد على المأمون اقامته بمرو «سألوا المأمون الخروج الى بغداد ، فان بني هاشم والموالي والقواد والجند لواؤك وعزتك »[٦] .

ذُكر الموالي في بعض النصوص مع بني العباس ، وفي بعضها مع الخاصة ، وفي بعضها مع القواد . فذكر الطبري أن المأمون «كتب الى بني العباس والموالي يعلمهم موت علي بن عيسى»[٧] ؛ ولما ورد على موسى الهادي خلع العلويين في فخ « خلا ليلة يكتب كتاباً بخطه ، فاغتم بخلوته مواليه وخاصته»[٨] ؛ ولما توفي المهدي اجتمع الموالي والقواد «الى ابنه هارون وقالوا ان علم الجند بوفاة المهدي لم نأمن الشغب»[٩] ، ولما عزم الهادي على خلع الرشيد «حمله عليه جماعة من مواليه وقواده»[١٠] .

ان الموالي وضعوا في عدد من هذه النصوص بعد البيت العباسي وقبل القواد [١١] ، غير انهم وضعوا في نصوص أخرى بعد القواد[١٢]، وذكر الجاحظ ان الموالي احد الاقسام الخمسة من جند الخلافة العباسية في زمنه [١٣] .

كان المنصور يستخدم الموالي في الخدمة في بيته وقال «ولكن لايدخل قصري عربي يخدم خدمي»[١٤] ، ويقول المسعودي ان المنصور «كان أول خليفة استعمل مواليه وغلمانه (في أعماله) وصرفهم في مهماته ، وقدمهم على العرب ، فامتثل ذلك الخلفاء من بعده من ولده»[١٥] ، ويقول الجاحظ «كان

---

(٦) كذلك ٣/١٠٢٧ .
(٧) الطبري ٣/١٠٣٠ .
(٨) كذلك ٣/٥٦٧ .
(٩) كذلك ٣/٥٤٦ .
(١٠) كذلك ٣/٥٧٥ .
(١١) كذلك ٣/٤٧٦ ، ٥٥٧ ، ٧٦٨ ، ١٠٢٧ ، ١٠٣٠ .
(١٢) كذلك ٣/٤٣٠ ، ٤٨٨ .
(١٣) مناقب الاتراك ٩ .
(١٤) الطبري ٣/٤٤٠ .
(١٥) مروج الذهب ٣/٣٢٣ .

المنصور ومحمد بن علي وعلي بن عبدالله يخصون مواليهم بالمواكله والبسط والايناس .. ويوصون بحفظهم أكابر أولادهم ، ويجعلون لكثير من موتاهم الصلاة على جنائزهم » (١٦) .

ازدادت مكانة الموالي رفعة في زمن محمد المهدي لدرجة أثارت بعض التذمر ، فيروى اسحق الموصلي «قال عبدالصمد بن علي : قلت للمهدي يا أمير المؤمنين انا اهل بيت قد شربت قلوبنا حب موالينا وتقديمهم ، وانك قد صنعت من ذلك ما فرطت فيه ، قد وليتهم أمورك كلها ، وخصصتهم في ليلك ونهارك ، ولابد من تغيير قلوب جندك وقوادك من أهل خراسان ، قال يا أبا محمد : ان الموالي يستحقون ذلك ، ليس احد يجتمع لي فيه أن اجلس للعامة فادعو بـه فارفعه حتى تحك ركبته ركبتي ، ثم يقوم من ذلك المجلس فاستكفيه سياسة دابتي فيكفيها لايرفع نفسه عن ذلك الا موالي هؤلاء »(١٧) .

وذكر الطبري «ان الموالي كانوا يشنعون على ابي عبيدالله (وزير المهدي) عند المهدي ويسعون عليه عنده .. الموالي تتخلى بالمهدي فيبلغونـه عن ابي عبيدالله ويحرضونه عليه . فلما رأى ابو عبيدالله غلبة الموالي على المهـدي وخلوتهم به ، نظر الى أربعة رجال من قبائل شتى من أهل الادب والعلم فضمهم الى المهدي ، فكانوا في صحابته ، فلم يكونوا يدعون الموالي يتخلون به»(١٨).

كان الموالي في صدر الاسلام صنفين رئيسين : هما موالي العتاقة وموالي الاسلام ؛ فاما موالي العتاقة فهم الارقاء المعتقون ، وأما موالي الاسلام فهم الأحرار الذين يعتنقون الاسلام ويرتبطون بعشيرة عربية يوالونها . فان لم يوالوا عشيرة ، يكون ولاؤهم للسلطان . والفرق بين الصنفين هو ان موالي الاسلام لهم ترك الولاء متى شاؤوا ، أما موالي العتاقة فليس لهم ذلك . وفي

---

(١٦) مناقب الاتراك ٢٣ .
(١٧) الطبري ٣/٥٣٢ .
(١٨) الطبري ٣/٤٨٧ .

كلا الصنفين يرتبط المولى بالعشيرة ، ويحمل اسمها مع كلمة «مولى» تمييزاً له عن الصليبة ، وأبرز مظهر لهذا الارتباط هو العاقلة والارث ، وكان هـذا النظام سائداً في الامصار الاسلامية حيث كانت للعشائر مكانة مثبتة ؛ ومع ان قوة الولاء ضعفت بنمو الحياة الحضرية والسوق ، الا أنها لم تزل تماما ، فيذكر الطبري أنه في سنة ١٣٤ وجه أبو العباس موسى بن كعب الى الهند لقتال منصور بن جمهور «وفرض لثلاثة آلاف رجل من العرب والموالي بالبصرة ، ولألف من بني تميم »[١٩] . غير أن هذا الولاء لم يكن واسعاً في بغداد التي لم يكن تنظيمها قائماً على أسس قبلية ، وكانت سلطة الدولة قوية ، فلم يكن موالي العتاقة أو موالي الاسلام حريصين على الارتباط بالقبيلة التي لم يعد لها كيان متميز [٢٠] .

وقد ذكرت في بغداد ثلاثة أصناف من الموالي :

١ ــ موالي مرتبطون بأفراد معينين :

فيروى ياقوت ان عيسى بن علي كان له في قصره «من حرم أمير المؤمنين ومواليه أربعة آلاف نفس »[٢١] .

ويذكر الطبري أنه في سنة ١٣٤ «ذكر أن خازم بن خزيمة شخص في في السبعمائة الذين ضمهم اليه ابو العباس ، وانتخب من أهل بيته وبني عمه ومواليه ورجال أهل مرو الروذ من قد عرفهم ووثق بهم»[٢٢] ؛ ولما توفي موسى الهادي تقدم خزيمة بن خازم «فأخذ جعفراً من فراشه ، وكان خزيمة في خمسة آلاف من مواليه معهم السلاح فقال والله لأضربن عنقك أو تخلعها »[٢٣] .

---

(١٩) الطبري ٨١/٣ .
(٢٠) انظر عن الولاء في الامصار العربية الاولى الفصل الذي كتبته عنهم في كتابي «التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة » .
(٢١) معجم البلدان ١١٨/٤ .
(٢٢) الطبري ٧٩/٣ .
(٢٣) كذلك ٩٠٣/٣ .

ويروي الطبري أن العباس بن عبدالله بن جعفر بن أبي جعفر هــرب له خادم ولجأ الى الأمين ، وحاول اثارة العباس ، فحصلت فتنة ، وأرســل الأمين الى داره جماعة وقفوا حيالها «وصف" العباس غلمانه ومواليه على سور داره ومعهم الترسة والسهام » (٢٤) .

ولعل آخرين من كبار الرجال كان لهم مثل هؤلاء الموالي الذين لم يكونوا خدماً ، وكان أكثرهم من المقاتلة يعيشون مع سادتهم .

٢ ــ موالي مرتبطون بالدولة :

فقد ذكر الطبري ان الفضل بن يحيى اتخذ بخراسان جنداً من العجــم سماهم العباسية وجعل ولاءهم لهم ، وان عدتهم بلغت خمسمائة ألف رجل ، وانه قدم منهم بغداد عشرون ألف رجل فسموا ببغــداد الكرنبية ، وخلــف الباقي منهم بخراسان على اسمائهم ودفاترهم (٢٥) ، وقد يكون عدد هــؤلاء مبالغاً فيه ، ولكنه يدل على وجود صــنف من الموالي مرتبط بالدولة ، ولكن يصعب تحديده في العراق الذي انشئت فيه بغداد .

٣ ــ موالي مرتبطون بالخليفة :

فقد ذكر الطبري بعض موالي الخلفاء فكان من موالى ابى جعفر المنصور واضح (٢٦) وسويد (٢٧) والريّان (٢٨) وادريس الشماخ اليمامي (٢٩) والعباس ابن الليث (٣٠) ، وذكر اليعقوبي ان ابا جعفر المنصور «عماله من مواليه عمارة

---

(٢٤) كذلك ٣/٩٥٤ .
(٢٥) كذلك ٣/٦٣٢ .
(٢٦) الطبري ٣/٤٠٦ .
(٢٧) كذلك ٣/٤٤١ .
(٢٨) كذلك ٣/٤٤١ .
(٢٩) كذلك ٣/٥٦٢ .
(٣٠) كذلك ٣/٨٠٢ .

ابن حمزة ، ومرزوق ابو الخصيب ، وواضح ، ومنارة ، والعلاء ، ورزين ، وغزوان ، وعطية ، وصاعد والربيع »[٣١] .

ووردت في النصوص اشارات الى مجموعة أفراد هم موالي للخليفة ، فذكر الطبري أن الجند لما شغبت ببغداد بعد مقتل علي بن عيسى قاتلهم عبدالله بن خازم «وسمع محمد (الامين) التكبير والضجيج فأرسل بعض مواليه أن يأتيه بالخبر ، فرجع اليه فأعلمه ان الجند قد اجتمعوا وشغبوا » [٣٢] .

ولعل من الموالي من ذكر الطبري أن الأمين «طلب الخصيان واتباعهم وغالى بهم وصيرهم لخلوته في ليله ونهاره وقوام طعامه وشرابه وأمره ونهيه وفرض لهم فرضاً سماهم الجرادية ، وفرضاً من الحبشان سماهم الغرابية [٣٣] .

ذكر الخطيب «درب الموالي» الذي كان يسكنه ابو الحسين احمد بن علي الانباري (ت ٤٤٣)[٣٤] ، وأخوه ابو طاهر محمد بن علي (ت ٤٤٨)[٣٥]، غير انه لم يعين موقع الدرب ، ولم اجد اشارة الى موقعه أو سبب تسميته او تاريخ بدء استيطانه .

وذكر اليعقوبي ان في الرحبة التي تجاه باب الكوفة كانت قطيعة المهاجر بن عمرو صاحب ديوان الصدقات وبازائه قطيعة ياسين صاحب النجائب وخان النجائب ، ودون خان النجائب اصطبل الموالي [٣٦] .

ولعل أبرز الموالي هم الشروية «وهم موالي محمد بن علي بن عبدالله بن العباس «وكانوا بوّابيه (ابو جعفر) رئيسهم حسن الشروي» وقد اقطع هؤلاء

---

(٣١) تاريخ اليعقوبي ١١٨/٣ .
(٣٢) الطبري ٨٢٧/٣ .
(٣٣) كذلك ٩٥١/٣ .
(٣٤) الخطيب ٣٢٥/٤ .
(٣٥) كذلك ١٠٥/٣ .
(٣٦) البلدان ٢٤٣ .

الشروية «دون سويقة عبدالوهاب مما يلي باب الكوفة»[٣٧] .

وذكر اليعقوبي اقطاعات خاصة بأفراد من الشروية ، منهـا قطيعة ايوب ابن عيسى الشروي بين باب الكوفة والقنطرة العتيقة [٣٨] ، وقطيعة أبى يزيد الشروي مولى محمد بن علي وأصحابه ، وهي بين باب الكوفة وباب الشام[٣٩] ولعلها هي التي ذكرها الخطيب وقال عنها «دار ابى يزيد الشروي مولى علي ابن عبدالله بن عباس »[٤٠] .

وذكر اليعقوبي اقطاعات خاصة بأفراد من الشروية ، منها قطيعة ايوب يزيد الشروي [٤١] ، ولم ينص اليعقوبي على أن بشراً شروي ، غير أن الطبري نص على « بشر بن ميمون الشروي » [٤٢] .

وذكر الخطيب أيضاً «قطيعة اسحاق الأزرق الشروي من ثقات المنصور وقال : انها تتصل بسويقة أبى الورد»[٤٣] ، وقال ياقوت انها «قرب الكرخ عن يمين سويقة أبى الورد»[٤٤] . أما اليعقوبي فلم يذكر اسحق الأزرق ، ولكنه ذكر «قطيعة اسحق بن عيسى بن علي وقصوره شارعة على الصراة العظمى من الجانب الشرقي ، والطريق الاعظم بين الدور والصراة »[٤٥] .

وذكر الخطيب «قصر وضّاح الشروي مولى المنصور »[٤٦] ، أمـا اليعقوبي فذكر « ربض وضّاح مولى أمير المؤمنين المعروف بقصر وضّـاح

---

(٣٧) البلدان ٢٤٣ .
(٣٨) كذلك ٢٤٥ .
(٣٩) كذلك ٢٤٧ .
(٤٠) الخطيب ٨٧/١ .
(٤١) البلدان ٢٤٦ .
(٤٢) الطبري ٢٧٤/٣ .
(٤٣) الخطيب ٨٧/١ .
(٤٤) معجم البلدان ١٠٩/٣ .
(٤٥) البلدان ٢٤٤ .
(٤٦) الخطيب ٨٩/١ ، وانظر ٨١/١ .

صاحب خزانة السلاح » [٤٧] .

ذكر اليعقوبي عدداً ممن أقطعهم المنصور ، وأشار الى أنهم كانوا مواليه :

١ ــ أبو العنبر مولى المنصور وقطيعته تتصل بقطيعة المسيب مما يلي القبلة ، وهي قرب باب الكوفة وبقربها قطيعة الصحابة [٤٨] .

٢ ــ قطيعة أبي السريّ الشامي مولى المنصور ، وهي بين قطيعة عيسى بن علي والطاق المعقود عليه باب المحوّل [٤٩] .

٣ ــ قطيعة سليم مولى أمير المؤمنين ، وهي تقع على الشارع الأعظم «قبل أن تصل الى القنطرة العتيقة وأنت مقبل من باب الكوفة» وهي متصلة بقطيعة أيوب بن عيسى الشروي [٥٠] .

٤ ــ قطيعة الربيع مولى أمير المؤمنين ، وهي عند مأخذ نهر الدجاج من كرخايا [٥١] .

٥ ــ ربض القس مولى المنصور ، وبستان القس المعروف به ، وهي بين باب الكوفة وباب الشام [٥٢] ، وذكر الخطيب نقلاً عن وكيع « بستان القس كان ثم عند بناء بغداد »[٥٣] .

٦ ــ قطيعة واضح مولى أمير المؤمنين وولده . وهي قرب شارع باب الانبار [٥٤] .

---

(٤٧) البلدان ٢٤٥ .
(٤٨) البلدان ٢٤٣ .
(٤٩) كذلك ٢٤٤ .
(٥٠) كذلك ٢٤٥ .
(٥١) كذلك ٢٤٦ .
(٥٢) كذلك ٢٤٧ .
(٥٣) الخطيب ١/٨٥ .
(٥٤) كذلك ١/٨٩ .

الفصل السادس

بغـداد العربيـة
العرب وسيادة الثقافة العربية

عندما وضع ابو جعفر المنصور تخطيط بغداد وبدأ بناءها أمر «أن يسموا كل درب باسم القائد النازل فيه أو الرجل النبيه الذي ينزله أو أهل البلد الذي يسكنونه »[1] ، وقد امتد هذا الى عدد من المناطق التي نمت بعد بناء بغداد ، فعندما نقلت الأسواق من المدينة المدورة الى الكرخ وأصبحت قطيعة الربيع من أهم مراكز الحركة التجارية كان «في ظهر قطيعة الربيع منازل التجار وأخلاط الناس من كل بلد ، يُعْرَف كل درب بأهله ، وكل سكة بمن ينزلها »[2] ، ويمكن القول بأن هذا المبدأ في تسمية الدروب سرى على القطائع والارباض ، فأسماؤها مؤشرٌ معتمد على سكانها الأولين .

ويتبين من دراسة أسماء المعالم الخططية ببغداد ، ان التنظيم السكاني لم يقم على أسس قبلية ، فلم يرد في بغداد الا ثلاثة دروب مسماة بأسماء العشائر العربية هي دربالأنصار، ودرب خزاعة، ودرب الأعراب ؛ فاما الانصار فقد تحدثنا عنهم في الفصل الذي خصصناه لهم وللصحابة .

وأما درب خزاعة فقد ذكره الخطيب عندما تحدث عن أحد سكنته ،

---

(١) البلدان ٢٤٤ .
(٢) كذلك .

وهو ابو بكر المطيري (ت ٣٣٥)[٣] ، ولم تشر المصادر الأخرى الى هذا الدرب أو موقعه ، علماً بأن خزاعة من العشائر التي أصلها في الحجاز واستوطن رجالها في الكوفة وخراسان وكان لكثير منهم مواقف معارضة للامويين ، ومنهم أيضا عدد من كبار رجال الدعوة العباسية في خراسان ، ولكن لم يذكر أحد منهم في بغداد بعد تأسيسها .

وذكر الخطيب درب الأعراب ، وممن سكنه محمد بن أحمد الحكيمي البلخي الأصل (ت٣٣٦)[٤] ، ومحمد بن عبدالنور الخزاز الكوفي (ت٢٧٢)[٥] وموسى بن نصر وابراهيم بن علي بن ابراهيم [٦] ، وذكر ممن نزله أيضا أحمد بن عيسى الرازي ، وقال انه نزل « بالجانب الشرقي في درب الأعراب ناحية قنطرة البردان »[٧] ، وبذلك لا يكون من دروب الجانب الغربي . غير أن اسمه يشير الى أن سكانه من عرب الجزيرة .

والواقع أن المؤلفات الاولى في الانساب وأهمها كتب ابن الكلبي، ومحمد ابن حبيب ، ومصعب الزبيري ، والبلاذري ، وابن دريد ، فيها تفاصيل واسعة ، ولكنها لم تذكر أية قبيلة أو عشيرة عربية استوطنت بمجموعها في بغداد ، أو اسم رقعة سكنية مسماة بهم ، علما بأن هؤلاء المؤلفين أقاموا في بغداد وكانت لهم معرفة واسعة بأحوالها ، وليس من المعقول أن يتعمدوا اغفال ذكرها لو وجدت في حين أنهم قدموا تفاصيل عن العشائر التي استوطنت الكوفة والبصرة والمدينة ومكة ، وعددا من المراكز الاخرى ، وأنهم كانوا معنيين بتدوين أخبار العرب . فضلا عن أن الخلفاء العباسيين الأوائل أظهروا تقديرا

---

(٣) الخطيب ١٤٦/٢ .
(٤) الخطيب ٣٦٨/١ .
(٥) كذلك ٣٩٣/٢ .
(٦) كذلك ٥٧/١٣ .
(٧) كذلك ٣٠٩/٤ .

للعرب وحضارتهم ، ولابد أنه كان يسرّهم تدوين ما يتصل باخبار العرب في بغداد ، علما بان هؤلاء النسابين ذكروا عددا غير قليل من رجالات العرب فيها ممن عملوا في الادارة أو كانت لهم مكانة مرموقة فيها .

وذكرت المصادر خططاً في الجانب الغربي منسوبة الى المدن العربية في العراق ، وهي واسط ، والبصرة ، والكوفة ، والأنبار ، ولم تذكر خططاً مسماة باسم غير هذه المدن من العراق أو شبه جزيرة العرب ، خلا دمشق، وصحار واليمامة .

فأما واسط فقد كان لأهلها مكان يمر به نهر كرخايا بعد الدرّابات وقبل أن يتفرع منه نهر البزّازين [٨] ؛ وذكر الخطيب أن هذا النهر يقع عليه درب أبى زيد الذي فيه مسجد أبى الحسن الكرخي (ت ٣٤٠)[٩] .

وكان للواسطيين مسجد ذكر الخطيب انه دفن فيه عبدالله بن صالح البخاري (ت ٣٠٥) [١٠] .

وفي محلة للواسطيين حدّث احمد بن عبدالرحمن السقطي(ت ٢٩٥)[١١].

اما البصريون فقد ذكر الخطيب ان لهم بدرب الزعفراني مسجداً كان يسكن حذاءه محمد بن الحسن بن محمد بن سعدون [١٢] .

اما الكوفة فان لاهلها درباً مسمى بهم على نهر كرخايا ذكر الخطيب ان فيه منزل احمد بن محمد بن الحسن الفقيه صاحب ابى ثور (ت ٢٨٥) [١٣] . وذكر اليعقوبي عند كلامه عن القطائع من شارع طريق الانبار « فأول

(٨) سهراب ١٣٣ الخطيب ١/١١٣ .
(٩) الخطيب ١٠/٣٥٥ وانظر محمد بن عبدالملك الهمداني : تكملة الطبري ٢٠٢
(١٠) الخطيب ٩/٤٨٢ .
(١١) كذلك ٤/٢٤٤ .
(١٢) كذلك ٢/٢٥٥ .
(١٣) كذلك ٤/٤٢٥ .

القطائع قطيعة واضح مولى أمير المؤمنين وولده ، ودرب ايوب بن المغيرة الفزاري بالكوفة ، والدرب يعرف بدرب الكوفيين »[١٤] .

ولم أجد في الكتب ذكرا لأيوب بن المغيرة الفزاري ، كما انه لاتوجد اشارة في الكتب الى هذا الدرب الذي يقع بعيدا عن موقع الدرب الذي ذكره الخطيب .

أما الأنباريون فقد خصهم المنصور برقعة من الارض تقع في الأطراف الجنوبية من المدينة المدورة ، بينها وبين الصراة ، وبالقرب من دور الصحابة واقطاعات العباسيين . وقد ذكر اليعقوبي اقطاع الأنباريين كتّاب الخراج ومسجدهم [١٥] ، وذكر الخطيب أن هذا المسجد كان عند بركة زلزل [١٦] ، وانه كانت عنده دار الشريف الرضي[١٧] . وقال أيضا أن «مسجد الانباريين ينسب اليهم لكثرة من سكنه منهم ، وأقدم من سكنه منهم زياد القندي .. وممن نزل مسجد الانباريين من كبرائهم أحمد بن أبي اسرائيل ، ومنزله في درب جميل ، ودُلَيْل بن يعقوب ومنزله في دور ابن نُهيك ، وهناك دار أبي الصقر اسماعيل بن بلبل »[١٨] .

ان الانبار هي المدينة التي أقام فيها أبو العباس السفاح في أواخر سني خلافته ، واتخذها عاصمة له ، وبنى عندها «هاشمية الانبار» ثم توفي ودفن فيها ، وأقام فيها أبو جعفر بعد تسنمه الخلافة ثم بدا له فعاد الى الكوفة . فصلتها بالعباسيين الأوائل وثيقة ، ولم يرد ذكر لاستيائهم من أهلها ، وهم عرب ، ويبدو ممن نسب اليها أن اكثرهم من تنوخ ؛ وأن اشارة اليعقوبي الى

---

(١٤) البلدان ٢٤٥ .
(١٤) البلدان ٢٤٥ .
(١٥) البلدان .
(١٦) الخطيب ٣٩٣/٤ .
(١٧) كذلك ٢٤٧/٤ .
(١٨) كذلك ٨٩/١ .

أنهم كتاب الخراج يعبر عن دورهم في الادارة ؛ والواقع أن كثيرا من الانباريين والتنوخيين استوطنوا ببغداد كانت لهم اسهامات كبيرة في الادب والكتابة . وذكر الخطيب في كتابه تراجم اثنين وسبعين رجلا نصّ على انهم انباريون ، ولابد ان عددا اخر منهم لم يذكر الخطيب نسبته ، سكن بغداد ايضا .

اما دمشق فان ابن الفقيه ذكر «درب الدمشقيين» وموقعه خارج قطيعة الربيع ، وبالقرب من دجلة ، وأرضه من ورثالا [١٩] .

ذكر اليعقوبي في كلامه عن الاقطاعات عند باب الانبار «ربض الخطاب ابن نافع الصُحاري» و «قطيعة عوف بن نزار اليمامي ، ودرب اليمامية النافذ الى دار سليمان بن مجالد» [٢٠] .

لم أجد في المصادر ذكرا للخطّاب بن نافع أو لعوف بن نزار اما صُحار فهي بلدة مشهورة في عمان اشتهرت باتتاجها منسوجات تسمى بها تصدر الى بعض أقاليم شبه جزيرة العرب ، ويروى ان الرسول (ص) كفن بثياب منها[٢٠أ] .وان تسمية ربض باسم الخطاب قد يدل على مكانته ، وعلى ان الذين استوطنوه ذوو صلة وثيقة بالخطاب وقد يكونون من الصحاريين ؛ ومن المعلوم أن الربض كان أوسع من الاقطاع والدرب .

أما اليمامية الذين نسب اليهم الدرب فلعلهم الذين ذكر ابن النديم أن صدقة بن عدي بن مرد انشاه من أهل فسا كانت اليه الجهبذة وابواب الاستخراج في أيام المنصور «وهو الذي أشار على المنصور وقد شكا لين صحابه : استخدم قوما وقاحا ، قال ومن هم ، قال اشتر قوما من اليمامة فانهم يربون الملاقيط ، فاشتراهم وجعل حجابه اليهم وضمهم الى الربيع الحاجب[٢١] ويروى ايضا ان احمد بن الحارث الخراز صاحب المدائني «من اسرى جده

(١٩) بغداد مدينة السلام ٤٣ .
(٢٠) البلدان ٢٤٦ .
(٢٠أ) انظر دراستنا « الانسجة العربية في القرن الاول » مجلة الابحاث ١٩٦٥ .
(٢١) الفهرست ٢٥٨ .

ويروى ايضا ان احمد بن الحارث الخراز صاحب المدائن «من اسرى جـده للمنصور ليجعل في البوابين ، وكان يقال له حسان ، من سبي اليمامة»[٢٢] . ولم يذكر الخطيب عالماً في بغداد نسب الى اليمامة .

وجدير بالذكر ان اليعقوبي ذكر « قطيعـة الفراشـين وتعـرف بدار الروميين » [٢٣] ، وان الشروية « كانوا بوابية رئيسهم حسن الشروي » وان قطيعتهم دون سويقة عبدالوهاب مما يلي باب الكوفة [٢٤] ، ويذكر أيضـاً « قطيعة عيسى بن نجيح المعروف بابن روضة وغلمـان الحجابـة » وهي في الاطراف الشمالية ، وكان عيسى بن روضة من حجاب المنصور [٢٥] ، ويمكن التوفيق بين هذه الروايات بالقول ان اليماميين اقدموا في اخر سني خـلافة المنصور واسكنوا في قطيعة عيسى بن نجيح .

ان المصادر الخططية القديمة لم تذكر في بغداد أية خطة سميت بمـدن الهضبة الايرانية او من نسب اليها سوى تسـتر التي هي البلد الوحيـد في الاهواز التي «بها خطط للقبائل» [٢٦] ، مما يدل على ان كثيرا من سـكانها كانوا عربا ، وقد يؤيد هذا انه ظهر فيها من علماء الفقه والحديث مالا يفوقه عددا الا اصفهان التي استوطنها العرب ايضا [٢٧] .

لم يرد ذكر لدرب او محلة التستريين في الكتب الخططية الاولى غـير أن الخطيب ذكر محلة «التستريين» وقال انه كان ينزلها محمد بن احمد الحشمي (الجشمي ؟) الذي كان حيا سنة ٣٧٤ ، وكان دكانه في باب الشعير [٢٨] ؛

---

(٢٢) الفهرست ١١٦ .
(٢٣) البلدان ٢٤٤ .
(٢٤) كذلك ٢٤٣ .
(٢٥) أنساب الاشراف ٣/٢١٢ .
(٢٦) تقويم البلدان لابي الفدا ٣١٥ نقلا عن كتاب العزيزي للمهلبي .
(٢٧) انظر كتابنا «الاهواز في العهود الاسلامية الاولى» ٩٢ ــ ٩٣ .
(٢٨) الخطيب ١/٣٢٨ .

وقد يدل هذا ان «التستريين» اتخذت اسمها في النصف الاول من القرن الرابع الهجري • غير ان التطورات السياسية والعمرانية لاتبرر ظهور هذه المحلة في تلك المدة التي تعرض فيها الجانب الغربي الى التدهور والضمور ، خاصة وان تستر كانت بعيدة عن مراكز قوة البويهيين الذين هيمنوا على بغداد منذ العقد الثالث للقرن الرابع•ومما تجدر الاشارةاليه ان تستر كانتمنمراكز انتاج المنسوجات في الاهواز ، غير انها البلد الوحيد في الاهواز التي « بها خطط للقبائل » كما ذكرنا اعلاه •

ذكر ياقوت : « التستريون محلة كانت ببغداد في الجانب الغربي بين دجلة وباب البصرة ، يسكنها أهل تستر وتعمل بها الثياب التسترية »[٢٩] ، وأضاف ياقوت انه ينسب اليها ابو القاسم هبةالله بن احمد (٤٣٥) وشجاع بن علي الملاح ، وعبدالرزاق بن احمد البقال (ت ٤٦٨) وبركة ابن نزار بن عبدالواحد ، وأخوه عبدالواحد [٣٠] •

وذكر ابن الدبيثي ان بركة بن نزار «كان يسكن محلة التستريين المجاورة لباب البصرة »[٣١] ، كما يذكر ان الشيخة أم عثمان (ت ٦٠٤) «ولدت بمحلة التستريين التي كانت مجاورة لباب البصرة ببغداد ، ثم درست ونشأت بها ، ثم سكنت باب البصرة»[٣٢] •

لم تذكر المصادر مكونات الجماعات التي سكنت في الدروب المسماة باسماء المدن او المناطق العربية ؛ ومن المعلوم أن الكوفة والبصرة ، وربما واسط أيضا كانت أمصارا عربية انشئت الاولى والثانية منهما عند دخول الجيوش العربية العراق ، وانشئت الثالثة في أواسط زمن الامويين ، وخطّت كل منهما

---

(٢٩) معجم البلدان ١/٨٥٠ ؛ وانظر مراصد الاطلاع ١/٢٧٣ •
(٣٠) معجم البلدان ١/٨٥١ •
(٣١) ذيل تاريخ بغداد • رقم ٨٤١ •
(٣٢) كذلك رقم ١٠٣٥ •

خططا ، لكل عشيرة خطة ، وكان هذا التنظيم هو السمة المميزة لكل منهما بالرغم من استيطان عدد غير قليل من الاعاجم في كل منهما • وبالرغم من التطورات الحضارية التي مرت بها كل منهما ، فانهما احتفظتا بالسمة العامة من التنظيم القبلي الذي كان ظاهرا عند قيام الدولة العباسية ، وظل واضحا لعدة قرون تالية •

غير ان المصادر الخططية نسبت الدروب التي استوطن فيها البصريون والكوفيون والواسطيون الى هذه المدن ، ولم تشر الى العشائر التي كان ينتمي اليها كل من أهل هذا الدرب ، ولا السمات الخاصة التي ميزتهم أو الحرف التي احترفوها • وان ذكر «درب ايوب بن المغيرة الفزاري الكوفي ، والدرب يعرف بالكوفيين »[٣٣] قد يدل على أن الذين استوطنوا هذا الدرب هم جماعة ايوب بن المغيرة ، وانهم كانوا من فزارة ، وانهم كانوا وحدة عسكرية • غير أن المصادر الاخرى لم تذكر أيوب بن المغيرة ، ولا أشارت الى دور متميز لعشيرة فزارة في الكوفة او في حوادث ثورة العباسيين وقيام دولتهم •

اما البصريون والواسطيون فقد ذكرت دروبهم عرضا ، ولم ترد اشارة الى زمن هجرتهم ، أو الى وجود رئيس لهم ، أو الى عشائرهم ، أو حرفهم •

اما الانباريون ، فان اشارة اليعقوبي واضحة الى انهم كانوا « كتّاب الخراج» • وتجدر الاشارة الى ان ابا العباس اتخذ في أواخر خلافته الأنبار مركزا له ، وان الانباريين ظهر منهم عدد غير قليل ممن عرف بالادب ، وكان أكثرهم من تنوخ •

ان الدروب المنسوبة الى المدن العربية ، والتي ذكرناها اعلاه ، رددت اكثرها المصادر الخططية المؤلفة في أوائل القرن الرابع الهجري ، مما يدل على قدمها ، ويلاحظ انها تقع في الجانب الغربي ، ومعظمها تقع في الاطراف الجنوبية

---

(٣٣) البلدان ٢٤٥ .

من المدينة المدورة وبالقرب من الكرخ التي عرفت بكثرة من سكنها من التجار والعلماء ، وبدأ اعمارها في أواخر حياة ابي جعفر المنصور ، أي انها لم تكن ضمن تخطيطه الاول للمدينة ، ووقوع هذه الدروب في الكرخ قد يدل على ان اهلها الاولين كانوا من تجار اهل الكوفة ، ولابد انهم كانوا من قبائل متعددة في الاصل ، اذ لو كانوا من عشيرة واحدة لكان من المحتمل ان يسمى الدرب باسم العشيرة ايضا . غير ان اقتصار الخطيب على ذكر عالم واحد ظهر في كل من هذه الدروب الثلاثة لايعني ضعف الصلة الثقافية بين بغداد وكل من هذه المدن الثلاثة ؛ اذ ان الخطيب ذكر اسماء علماء منهم ٦٨ منسوبون الى واسط ، و ١٣٢ منسوبون الى البصرة ، و ١٧٠ منسوبون الى الكوفة .

ويلاحظ انه لم تذكر في بغداد خطة أو درب او مسجد منسوب لاهل أي بلدة في العراق غير ماذكرنا ، غير ان الخطيب ذكر علماء من بغداد منسوبين الى بلدان في العراق وعددهم : المدائن ٨١ ، الانبار ٧٢ ، عكبرا ٤٢ ، الموصل ٣٦ ، النهروان ٢٤ ، الدور ١٨ ، كلواذى ١١ ، العاقول ١٠ ، دير العاقول ٨ ، الصلح ٦ ، فامية ٦ ، النرس ٦ سمرّة ٤ وذكر عالمين منسوبين الى كل من برة ، ودير قنى ، وجرجرايا ، والزندورد ، ومتوث ، وعالم واحد منسوب الى كل من أوانا ، والسيلحين ، وبادرايا ، والدسكرة ، وعبرتا ، وهمانية ، والسيب ، وشلاثا ، والطيب ، والمبارك ، ومطيراباد ، وصرصر ، وحلوان ، وباصيدا ، وسابس ، وباجسرا [٣٤] .

ان هذه القائمة لايدخل فيها عدد ممن ذكرهم الخطيب ولم يشر الى المدن التي ينسبون اليها ، ولعل فيهم غير قليل ممن اصله من البلدان التي ذكرناها ؛ علما بان عددا من هؤلاء لم يقم طويلا في بغداد ، وعلى أي حال فهم ممن عرفوا بفروع العلوم التي اهتم بها الخطيب ، فهو لايشمل كافة العلماء ، كما انه لايشمل التجار ورجال الاعمال والصناع والكسبة .

---

(٣٤) انظر الملحق .

وكانت لعدد غير قليل من العرب اقطاعات وأرباض .

ففي الأطراف الغربية قرب ربض القحاطبة كان اقطاع عامر بن اسماعيل المسلي [٣٥] ، الذي كان على مقدمة جيش صالح بن علي الذي طارد مروان ابن محمد آخر الخلفاء الامويين ، وهو الذي قتل مروان [٣٦] .

ولبني مسلية الذين ينتسب اليهم عامر بن اسماعيل دور كبير في الدعوة العباسية في زمن الامويين ؛ وهي من عشائر النخع [٣٧] ، وشاركت في معركة القادسية مع صداء وجنب ، وكان عدد الجميع ثلاثمائة [٣٨] ، ثم استوطنت الكوفة وكانت لها خطة فيها ؛ ومن رجالها بجير بن عبدالله ، وكان من مؤيدي محمد بن الحنفية وخرج مع المختار «وكان من أشد من كان معه في قتلة الحسين وآل محمد »[٣٩] ، وقاتل مع المختار ثم قتله مصعب بن الزبير [٤٠] .

وفي بني مسلية كان مركز الدعوة العباسية في الكوفة . وقد أوصى بهم محمد بن علي ابراهيم الامام وقال «ان هذا الحي من بني مسلية خاصتي وعيبتي ومستراحي وموضع سري ، وهم مني بمنزلة لحمتي ، منهم القائم بأمرنا ، ومنهم قاتل اللعين بن اللعين (مروان بن محمد) في اكناف مصر [٤١] ، وقد «تأثل أمر الدعوة في بني مسلية وتولوا أمرها من قبل ان تجبر .. وكان مجتمعهم من بني مسلية عند سالم واصحابه »[٤٢] ، وكان بكير « ينزل في

---

(٣٥) البلدان ٢٤٦ .
(٣٦) الطبري ٣/٥٠ ، انساب الاشراف ١٦٦/٣ .
(٣٧) الانساب لابن حزم ٤١٤ ، ٤٧٦ .
(٣٨) الطبري ٢٢١٩/١ .
(٣٩) اخبار بني العباس ١٨٠ .
(٤٠) اخبار بني العباس ١٨٠ الطبري ٦٣٨/٢ .
(٤١) اخبار بني العباس ٢٣٨ .
(٤٢) كذلك ١٩٣ .

بني مسلية »[٤٣] وكان سلمة بن بحير المسلي من أخص أصحاب ابى هاشم »[٤٤] .

قد يكون بعض رجال بني مسلية استوطنوا بغداد عند تأسيسها مع عامر بن اسماعيل وفي قطيعته أو بالقرب منها ، غير ان المصادر لم تذكر من رجالهم أحدا سكن بغداد .

وذكر اليعقوبي «قطيعة مرّار العجلي» التي تقع في الأطراف الشمالية من المدينة المدورة ، قرب قطيعة عبدالجبار الأزدي [٤٥] ؛ ولم يرد اسم مرّار العجلي في أخبار حوادث صدر الدولة العباسية ، ولكن كتاب «أخبار بني العباس» ذكر مرّار بن أنس الضبي ، وهو من الدعاة السبعين وكان أحد من وُجِّه الى مرو [٤٦] ، ولم يرد له ذكر في حوادث الثورة العباسية وقيام دولتها .

كانت لبني عجل صلة مؤيدة للدعوة العباسية [٤٧] ، وتذكر بعض الروايات أن أبا مسلم كان مولى لعيسى بن معقل العجلي [٤٨] ، وكان الأمويون قد اعتقلوا عيسى لاتهامه باختيان الاموال ، ثم أطلقوا سراحه ، وكان أبو مسلم يختلف الى عيسى في سجنه [٤٩] ، غير أن أحد بني عجل وهو الحجاج بن علاط كان في سرخس مؤيدا للامويين عندما تقدم جيشهم لقمع ثورة العباسيين[٥٠] ، ولم يكن لبني عجل دور في خراسان أو في الثورة العباسية فيها ، كما أنه لم يذكر منهم رجل بارز بعد قيام الدولة العباسية .

---

(٤٣) كذلك ١٩١ .
(٤٤) كذلك ١٨٠ .
(٤٥) البلدان ٢٤٩ .
(٤٦) أخبار بني العباس ٢١٨ ، ٢٢١ .
(٤٧) كذلك ٢٥٥ .
(٤٨) كذلك ٢٥٧ .
(٤٩) كذلك ٢٦٠ .
(٥٠) كذلك ٣٢٥ .

ذكرت المصادر العشائر العربية لعدد غير قليل من أصحاب الأرباض والقطائع والدروب ؛ كما ذكرت كتب الأخبار والتراجم دور كثير منهم في حوادث الثورة العباسية وقيام دولتها ؛ ولاريب في أن مكانتهم وأعمالهم قائمة على مؤهلاتهم الشخصية واعتماد الخلفاء عليهم ؛ غير أن ذكر المصادر للعشائر التي ينتمون اليها يدل على ان لهذا الانتماء مكانة وأثراً ؛ واذا صح القول بان الربض كان يقيم فيه عدد بجانب صاحبه الذي سمي الربض به ، فانه يصعب معرفة القطائع التي كانت للأفراد خاصة ، أو كانت للأفراد مع جماعاتهم ؛ وفي الحالة الاخيرة هل كانت هذه الجماعات من نفس عشيرة صاحب القطيعة أم هم أخلاط ؛ وعلى أي حال فلابد أن صاحب القطيعة كان يقيم فيها مع اسرته على الأقل ، ان لم يكن مع عدد كبير من أفراد عشيرته •

ان عددا غير قليل من أصحاب الأرباض والاقطاعات كانوا من عرب خراسان وممن كان لهم دور بارز في الدعوة العباسية وثورتها هناك ؛ ويظهر من دراسة قوائم أسماء النقباء والدعاة والقادة التي أوردها كتاب «أخبار بني العباس» وهي أوسع قائمة وصلتنا وعني مؤلفها بذكر العشائر والمدن التي ينتسب اليها كثير منهم ، أنه كانت في الاطراف الغربية والشمالية من المدينة المدورة أرباض وقطائع لثلاثة من نقباء الدعوة العباسية ، وهم موسى بن كعب التميمي ، ومالك بن الهيثم الخزاعي ، وأبو النجم عمران بن اسماعيل مولى آل أبي معيط [(٥١)] •

وكذلك لسبعة من الدعاة وهم حميد والحسن ابنا قحطبة الطائي ، والفضل بن سليمان الطائي ، وعبدالجبار الأزدي ، والهيثم بن معاوية العكي ، وعثمان بن نهيك العكي ، وواضح أبو الوضاح ، كما كان فيهم من دعاة الدعاة عبدالله الراوندي ، وأبو قرة هلال بن عبد ، ومن نظراء الدعاة خازم بن خزيمة، التميمي ، وأبو الجهم ، والمسيب بن مالك •

---

(٥١) اخبار بني العباس ٢١٦ .

وتجدر الاشارة الى ان المنصور قرّب أهل اليمن وكان منهم ولاته على أفريقية ، وأرمينية ، ومصر ، وفارس ، والسند ، وخراسان ، والجبل ، والبحرين واليمامة [٥٢] ، وقد عدد اليعقوبي ولاة ابي جعفر ومنهم ثلاثة عشر من أهل بيته ، وخمسة عشر من العرب وأحد عشر من الموالي [٥٣] .

كانت المقاتلة العرب في خراسان مقسمة منذ أول زمن الخلافة الاموية أخماسا على العشائر ، وهي تميم ، وبكر ، والأزد ، وأهل العالية ، وعبدالقيس، وفي زمن قتيبة كون اهل الكوفة فيها وحدة تضم عشائر متعددة لم تدرس بالتفصيل ، ولابد أن أهل الشام الذين أرسلوا في زمن هشام كونوا وحدة أيضا ؛ وقد روعى الانتماء القبلي بدليل ذكره مع الأشخاص في خراسان . وقد أوجد طول اقامتهم في خراسان سمة مميزة لهم عن اخوانهم في البصرة والكوفة، ويبدو أن سكناهم توزع في عدد من مدن خراسان وقراها، فأصبح كثير منهم ينسب الى المدينة التي يقيم فيها ، ومن هنا كانت تسمية كثير منهم بأسماء المدن الخراسانية وبأسماء عشائرهم [٥٤] ؛ ويبدو من قائمة أسماء المسهمين في الحركة العباسية في خراسان أن أصحاب الدعوة عنوا بنشرها في مراحلها الاولى بين العرب ، فكان اكثر النقباء والدعاة من العرب . ويتجلى مما ذكره كتاب «أخبار بني العباس» الذي ذكر عشائر معظم هؤلاء الرجال أنها اعتمدت بصورة خاصة على خزاعة حيث كان منهم ثلاثة من النقباء ومولى لهم وتسعة من الدعاة ، ويتلو ذلك تميم التي كان منها ثلاثة نقباء (من بني أمرىء القيس) وستة من الدعاة ؛ ثم طي وكان منها ستة ، وأربعة من ضبّة ، ثم اعداد منفردة من الطفاوة ، وعك ، وسليم ، وحنيفة ، وذهل ، والازد [٥٥]

---

(٥٢) تاريخ الموصل للازدي ٢١٨ .

(٥٣) تاريخ اليعقوبي ١١٧/٣ – ١١٨ .

(٥٤) انظر مقالنا «استيطان العرب في خراسان» المنشور في مجلة كلية الاداب ١٩٥٦ .

(٥٥) اخبار بني العباس ٢١٦ – ٢٢١ .

ومن هؤلاء كان من رجال تميم ، وضبة ، وطيى ، وعك والازد عدد من أصحاب الارباض والقطائع في بغداد ، ولم تذكر قطائع لرجال من خزاعة وسليم وحنيفة وبكر ، ما عدا مرّار العجلي •

لابد أن هؤلاء العرب من أهل خراسان الذين كان لكثير منهم دور متميز في الادارة والقيادة في بغداد ، قد أوطنوا في أرباضهم وقطائعهم عددا من أفراد أسرهم ، وربما من رجال عشيرتهم أيضا ؛ وهذا يشير الى العدد الكبير من العرب المقاتلة الذين استوطنوا بغداد عند تأسيسها •

ذكرنا أن المقاتلة العرب في خراسان نظمت أخماسا على اسس قبلية ، وأن رجالها ظلوا متمسكين بالقبلية وينتسبون الى عشائرهم ، غير أن المتطلبات الادارية قضت بتوزيعهم على عدة أماكن ، وباسكانهم عدة قرى في كل من هذه الاماكن • وذكر مؤلف أخبار بني العباس المدن التي توزع فيها الدعاة العباسيون ، وهي مرو (٤٠ من عشائر متعددة) وابيورد (٧ من عك والازد وواحد من طي) ونسا (٦ من خزاعة وعك وواحد من عبدالقيس) ثم بلخ ، ومروالروذ وخوارزم وآمل (واحد من كل منها) • ولاريب في أن توزيعهم على هذه المدن يدل على كثرة من فيها من المقاتلة العرب ؛ والواقع أن هذه المدن هي التي يتردد ذكر رجالها المسهمين في الثورة العباسية •

غير أن استيطان العرب في خراسان لم يقتصر على هذه المدن ، فان الاخبار تشير الى استيطانهم أيضا في طوس ، ونيسابور ، كما أن جرجان كان فيها عدد كبير من المقاتلة العرب من عشائر متعددة [٥٦] ؛ وقد اشتهر عدد غير قليل من رجال العرب بنسبتهم الى هذه المدن ، ومن أبرز الامثلة على ذلك قحطبة بن شبيب ، والفضل بن سليمان الطوسيان (وهما من طي) ؛ وأبو عون الجرجاني (وهو من عك) •

---

(٥٦) انظر حمزة السهمي : تاريخ جرجان ٢١ •

وهذه الأسماء المشهورة يمكن أن يضاف اليها أعـداد أخرى ؛ وهي تحملنا على القول بأن كثيرا من الاقطاعات التي سميت بأسماء مدن خراسان كانت لرجال من العرب ، وان المقيمين فيها كانوا من العرب ، وليسوا من العجم •

يتبين مما تقدم أن دراسة أصحاب الأرباض والاقطاعات تظهر أن معظم الرجال البارزين في الجيش والشرطة ببغداد عند تأسيسها كانوا في الاصـل من عرب خراسان ، والراجح أن معظم الذين اسـتوطنوا فيها كانوا من عرب خراسان أيضا ؛ والواقع أن خراسان كان الاقليم الذي تأثلت فيـه الدعـوة العباسية ، وعلى سواعد أهلها قامت الثورة ، وقد وصفهم ابراهيم الامـام بقوله «هناك العدد الكثير والجلد الظاهر ، وهناك صدور سليمة ، وقلـوب فارغة ، لم تتقسمها الاهواء ولم يتوزعها الدغل ، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحي وشوارب ، وأصوات هائلة ولغات فخمة ، تخرج من أجواف منكرة » (٥٧) •

وكان تنظيم المقاتلة العرب في خراسان قائمـا على الأسس القبليـة ، غير أنه لاتوجد معلومات عن تفاصيل تقسيم كل من الأخماس أو مجموعة أهل الكوفة في خراسان ؛ ولا عن العرافات فيها • ولابد أن استقرارهم في خراسان وثـّق ترابطهم مع بعضهم وأضعف صلتهم بالبصرة والكوفة اللتين نقلوا منهما ؛ كما أن المتطلبات الادارية قضت بتوزيع مساكنهم على عدد من المدن والقرى في خراسان ، وقاد هذا الى توثيق صلاتهم مع اهلهـا • ولابـد ان الحملات العسكرية التي شاركوا فيها والفتوحات التي قاموا بها تطلبت تنظيمات تراعى المتطلبات القتالية والعسكرية ؛ ومع اننا لانعلم تفاصيلها ، الا أنه يمكن القول بأن من أبرزها تزايد استخدام الأعاجم في الجيش للقتال مع العرب •

بدأ استخدام الأعاجم في الجيش منذ زمن الخليفة عمر بن الخطاب الذي

---

(٥٧) مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه ٣١٥ •

استخدم الاساورة والسيابجة في البصرة (٥٨) ، والديلم في الكوفة (٥٩) ، وفرض لهم العطاء اسوة بالعرب ؛ ثم استمر استخدامهم في الجيش وخاصة في خراسان • وكان قتيبة بن مسلم قد فرض على كل بلد يفتحه أن يقدم أهله رجالا يقاتلون مع المسلمين في الجيش ، وعندما ولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة كان في خراسان «عشرون ألف من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق» وكان هذا من أسباب تذمرهم ، فأدخلهم عمر في العطاء (٦٠) ؛ الا أنه « جعل العرب والموالي في الرزق والكسوة والمعونة والعطاء سواء ، كما أنه جعل فريضة المولى المعتق خمسة وعشرين دينارا (٦١) ؛ وقد ازداد عدد الأعاجم المستخدمين في الجيش ، واعطيت لبعضهم قيادات ؛ ولعل عددهم ازداد في أواخر زمن الخلافة الاموية حيث نمت الحياة الاقتصادية ، وأصبح السوق مصدر دخل وافر ، وفضله كثير منهم على خدمة الجيش والاعتماد في المعيشة على الديوان •

زعم عدد من القدماء والمحدثين أن مجيء العباسيين الى الحكم يعبر عن انقلاب أساسي في اتجاه الدولة ، حيث أصبح اعجميا بعد ان كان عربيا ؛ ويكفي أن نذكر من هؤلاء الجاحظ الذي يقول «دولة بني العباس أعجمية خراسانية ، ودولة بني مروان اموية عربية » (٦٢) ، وسمّى ولهاوزن كتابه عن الدولة الأموية «الدولة العربية وسقوطها» •

لاريب في أن العرب كانوا عماد الدولة الاسلامية عند قيامها وتوسعها ، فكان منهم الخلفاء والقواد والمقاتلة وولاة الأمصار والأقاليم وكثير من الأقسام الادارية الصغرى • وقد راعى الخلفاء العشائر العربية وتنظيماتها

---

(٥٨) انظر : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة .
(٥٩) فتوح البلدان ٢٧٩ .
(٦٠) الطبري ١٣٥٤/٢ .
(٦١) الطبقات لابن سعد ٢٧٧/٥ .
(٦٢) البيان والتبيين ٢٠٦/٣ .

في تخطيط وتنظيم الأمصار التي اسسوها ؛ وكانت المثل العربيـة البدويـة قوية ظاهرة في العادات والأخلاق واللغة والشعر والأدب •

غير أنه بجانب ذلك ترك أهل البلاد المفتوحة يتصرفون في حيـاتهم على الأنماط الخاصة التي ألفوها ، وكانت لهم حرية في العقيدة واتباع الدين الذي يختارونه ، وممارسة طقوسه وفرائضه ، وفي ادارة مدنهم غير العربية ، والتقاضي أمام محاكمهم الخاصة •

وقد استخدم الاعاجم في كثير من أعمال الادارة ، وخـاصة في سك النقود ، وجباية الخراج ؛ ويدل تعريب الدواوين في زمن خلافة عبدالملك على أن دواوين الخراج كانت حتى تم التعريب تستعمل اللغات الاعجمية ، غير أن تعريب الدواوين والنقود اقتصر على استعمال اللغة العربية في المعـاملات ، ولم يمتد الى اقصاء الاعاجم المستخدمين فيها •

فاستخدام العباسيين للأعاجم في الجيش والادارة لم يكن بدعة ، وانما هو متابعة لممارسة قديمة ، ولكنها اتخذت سمة جديدة بزيادة عدد المستخدمين منهم ، وخاصة في الوظائف الكبرى ، وبتنظيم الجيش على أسس تختلف عن الأسس القبلية ؛ ولعل أصدق تعبير عن تبدل الوضع في القيادات العليا قـول المسعودي ان المنصور كان «أول خليفة استعمل مواليه وغلمانه وصرفهم في مهماته ، وقدمهم على العرب ، فامتثلت لذلك الخلفاء من بعده»[٦٣] ؛ وتقديم الموالي والغلمان لم يرافقه التوقف عن استخدام العرب •

حرص ابو جعفر المنصور عندما وضع تخطيط بغداد وبناها ، عـلى ان تكون للمرتبطين به من أهل بيته ومواليه واتباعه ، وحرسه وجنده والعاملين في الدواوين • وكان اختياره لهم قائما على خطة مرسومة لايطان من يثق بهم ويرتبطون به برابطة المصلحة والاقرار بخلافته بصرف النظر عن عمق عقائدهم

(٦٣) مروج الذهب ٤/٢٢٣ •

السياسية في الخلافة العباسية • وهو لم ينظم بغداد على أساس قبلي ، وانما أقام تنظيمه على أساس الأفراد أو المدن التي جاءت من الجماعات التي أوطنها فيها ؛ فالكوفة والبصرة مثلا كانت مقسمة خططا للعشائر حيث يقيم أفراد كل عشيرة معا في « خطة » تسمى باسمهم ويشرف عليهم عريف منهم ؛ أما بغداد فانها مقسمة الى ارباض وقطائع ودروب حسب الأشخاص البارزين ، والمدن التي جاء منها المتوطنون ، او الاشخاص المتنفذون الذين مع أهل هذه المدن ، غير انه يجب ان نشير الى ان المدن والامصار العربية الاولى كانت قد استقرت خلال القرن الاول ، واكتسب كل منها شخصية متميزة ، وقويت الروابط العامة بين أهلها ، وبدات «المفاخرات والمفاضلات» بين المدن العربية ، وخاصة الكوفة والبصرة ، وازدادت الاهتمام بالانتساب الى المدن بصرف النظر عن اصولهم القبلية ، ومن هذا اشتهر كثير من العرب بنسبتهم الى مدن خراسان مع ان اصولهم عربية ؛ فتنظيم المنصور خطط سكان بغداد على الافراد او المدن هو تعبير عن ماوصل اليه التطور في آخر العصر الاموي من ضعف الروابط القبلية ، وازدياد مكانة الافراد ، وبروز أهمية الروابط «المدنية» •

وقد احتفظت بغداد بأسماء المعالم الخططية الاولى مدة غير قصيرة ، بل ان بعض هذه الأسماء ظل باقيا الى آخر زمن الخلافة العباسية ، بالرغم مما أضيف اليها فيما بعد من أسماء جديدة •

غير أن بقاء أسماء المعالم الخططية لايعني استمرار اقتصارها على سكانها الاولين ، فقد حدثت على مر الزمان تبدلات في السكان واختلاط فيهم ، فقد تجد بصريا يسكن قطيعة الرازيين ، أو مرويا يسكن قطيعة البغيين مثلا ؛ وقد نص اليعقوبي على هذا التطور حيث قال «وفي هذه الارباض والقطائع ما لم نذكره ، لان كافة الناس بنوا القطائع وغير القطائع وتوارثوا »(٦٤) •

---

(٦٤) البلدان ٢٥٠ •

ان هذا التطور السكاني لم يكن بدعا محصورا ببغداد ، وانما كان قبل ذلك في الأمصار العربية الاولى ، حيث جرى اختلاط في السكن ، فسكن أناس من غير عشيرة أهل الخطة المسماة باسمهم ، كما أن السوق كان يجمع اناسا تجمعهم الحرفة دون الانتماء القبلي .

والواقع أن بغداد سرعان ما نمت وخرجت عما رسمه لها المنصور ؛ فان كثيرا من الفعلة والصناع الذين كان قد جلبهم للعمل في بنائها ، وهو غرض محدد موقت ، لابد أنهم استوطنوها واستقروا فيها للافادة من فرص العمل المتوفرة فيها ، كما ان النشاط الاقتصادي الذي ازدهر اثر بنائها جلب كثيرا من رجال الاعمال والتجار الذين لم يفرض المنصور عندما بنى بغداد قيودا على هجرتهم او يضع تنظيمات لها ؛ ومع أن قوة سلطان الخليفة وتوفر مجالات العمل كان من شأنه أن يؤمن الاستقرار والهدوء ، الا أن تنوع هؤلاء « المهاجرين » واختلاف اتجاهاتهم ، وعدم اعتمادهم في معيشتهم على ما تدفعه الدولة لهم ، يسر الفرص لحركة قام بها يحيى بن زكريا حيث استغوى كثيرا من هذه العناصر وأثار اضطرابا استطاع المنصور ان يقضي عليه ، ولكنه أدرك خطره واحتمال تجدده ، فأمر باخراج أهل السوق من المدينة المدورة ، وأمر أن تنقل الاسواق الى الأطراف الجنوبية خارجها ، بين باب المحول وباب الشعير والكرخ «وأمر ببنائها من ماله»(٦٥) ، وقد أمر «أن يبني لاهل الاسواق مسجد يجتمعون فيه يوم الجمعة ، لايدخلون المدينة ، ويفرد ذلك لهم»(٦٦) ؛ والواقع ان هذه المنطقة سرعان ما اكتظت بالسكان من جماعات مختلفة ، وانتشرت فيها بعض الاراء المعارضة (٦٧) .

ان هذا التطور لم يقتصر على الكرخ ، وانما امتد الى المناطق الاخرى وان كان ربما بمقياس أقل .

---

(٦٥) الخطيب ٧٩/١ .   (٦٦) كذلك ٨٠/١ .   (٦٧) كذلك ٨١/١ .

ان قلة المعالم الخططية من أرباض وقطائع ودروب مسماة بأسماء العشائر العربية لايعني قلة عدد العرب في بغداد ، فان كتب التاريخ والأدب والأنساب مشحونة بذكر الأشخاص الكثيرين من العرب الذين استوطنوا بغداد منذ تأسيسها • غير أن طبيعة عمل معظمهم قضت عليهم بالدخول في روابط جديدة غير الروابط القبلية ، مما زاد في ضعف المظهر القبلي الذي لم تحاول الدولة فرضه على تنظيم بغداد ، خاصة وأن مبررات وجوده في بغداد أصبحت ضعيفة بسبب ازدهار الحياة الاقتصادية والفكرية بالاضافة الى قوة سلطان الدولة • ولاريب في أن المركز المتميز للخليفة والاسرة العباسية والصحابة والأنصار ومن كان من العرب من القواد ورجال الادارة من شأنه أن يثبت للعرب مركزا مرموقا ويقوي من مكانتهم ، ويدفع عنهم كثيرا من الطعن والتهجم الذي يمس توجيهه الخليفة والخاصة ورجال الحكم بالاضافة الى آثاره في الاسلام الذي ظهر في بدئه بين العرب ، وتكونت وتوسعت دولته على سواعدهم •

أدرك الخلفاء العباسيون الأوائل صلتهم الوثيقة بالعروبة وأهمية تقويتها ، فالرسول (ص) عربي ، والصحابة الأولون ومعظم التابعين عرب ، والقرآن الكريم ، وهو أساس الاسلام وينبوعه ، «نزل بلسان عربي مبين » ، والعادات والتقاليد العربية متداخلة مع الاسلام ، وهي القوام الاكبر للسنّة التي هي المصدر الثاني للتشريع في الاسلام ، فالتفريط بالعربية تفريط بالاسلام ، وفي هذا مبرر لمنع العباسيين ترجمة القرآن الكريم الى اللغات الاعجمية للحفاظ عليه عربيا كما نزل •

وكانت اللغة العربية ، وهي لغة القرآن الكريم والفرائض الاسلامية ، ولغة الرسول(ص) والصحابة والتابعين ، كما انها لغة رجال الحكم والادارة والمقاتلة ، ثم امتدت بعد تعريب الدواوين لتكون لغة المكاتبات والحسابات في الدواوين وأهّلها انتشارها مع امتداد العرب ، وغناها بالمفردات وخصائصها

في قابلية النمو والتوسع أن تصبح اللغة العامة في الدولـة ، لتسـتعمل في المعاملات والتجارة والعلم والفكر ، وبذلك انتشرت وتثبتت «لغـة عالمية» وطغت على اللغات الاخرى التي اخذ استعمالها ينحصر في نطاقات ضيقـة خاصة وان كثيراً منها مرتبطة بأديان ضيقة الانتشـار وقد اصبحـت اللغـة الشعبية العامة في العراق والاقاليم التي كان أهلها يتكلمون «لغات» متصلة بالعربية كالسريانية والارامية • ولم يتم هذا الانتشار تنفيذا لخطة قسريـة تجبر الناس على استعمال العربية ، اذ ظلت اللغات الاخرى مستعملة في نطاقها الضيق ، وانما انتشرت لميزاتها وقدرتها على سد حاجات العدد الاكبر من الناس •

وقد عنى الخلفاء العباسيون الاولون باللغة العربية ودراستها ، ففتحوا أبوابهم للشعراء العرب ، وأظهروا تفهمهم لهذا الشعر وتذوقهم لما في نظمـه من موسيقى ، وما في صوره من جمال ، وشجعوا جمع شعر أهل الجاهليـة والصحراء ، واعداد المختارات والمفضليات والدواوين ، واختاروا لاولادهـم مؤدبين من المعروفين بالتبحر في الشعر والثقافة العربية الاصيلة ؛ وأكرموا الأعراب الذين يفدون الى بغداد لعرض معارفهم باللغة والشعر •

وكان من سمّار ابى جعفر هشام بن عمرو التغلبي ، وعبدالله بن الربيع الحارثي ، واسحاق بن مسلم العقيلي ، والحارث بن عبدالرحمن الحرشي(٦٨)، وكلهم عرب •

ولم يقتصر اهتمامهم على اللغة والشعر والادب ، وانما امتد الى دراسـة التاريخ واخبار الماضين ، وكذلك القرآن الكريم والسنن والفقه •

وشجع ابو جعفر علماء أهل المدينة على المجيء الى بغداد ، وكان ممن قدمها منهم ابن اسحاق مؤلف كتاب «سيرة الرسول»(ص) الذي لايزال المعتمد

---

(٦٨) تاريخ اليعقوبي ١٢٣/٣ •

الاكبر في دراسة حياة الرسول (ص) ، ولا يخفى ان الواقدي ، وهو المؤلف الثاني للمغازي ، هو حجازي ايضا ، كما ان ابن سعد تلميذه وناقل علمه ومؤلف أوسع كتاب قديم في الطبقات ، كان ممن عاش في بغداد ، وكان معظم قضاة بغداد خلال قرن من تأسيسها ، من علماء الحجاز (٦٩) •

وقد اثبت المنصور لابنه ستمائة من الانصار من أهل المدينة ليقيموا في بغداد ، ويكونوا صحابة له ، كما اسلفنا القول •

ولعل من دوافع اهتمام المنصور والخلفاء العباسيين الأوائل بعلماء الحجاز هو ما لهذا الاقليم من مكانة مرموقة ، اذ ظهرت فيه دعوة الاسلام ، وبدأت فيه دولته ، وكان من أهله الرسول (ص) والصحابة الأولون ومعظم التابعين ، وقد أقر الرسول مالايعارض روح الاسلام ومبادئه من ممارساتهم ، فكانت هذه الممارسات عنصراً أساسيا من السنّة التي هي المصدر الثاني بعد القرآن للتشريع في الاسلام باعتبار ان من مكوناتها «ما رآه الرسول فأقره أو لم ينكره» • ولا يخفى أن المدينة بعد أن انتقل منها مقام الخلافة ، ظلت المركز المرموق الذي يتوجه اليه كافة المسلمين باعتباره بعيدا عن الخضوع لسلطان الخليفة ورغباته ؛ فمكانتهم مرموقة ، ونظرتهم واسعة ، والمشاكل التي يعالجونها متعددة ، وأحكامهم عالمية ؛ وكل هذا يجعل نظرتهم أكثر ملاءمة للمدينة الجديدة التي شيدها المنصور ، والتي أراد لها أن تكون مركز الدولة ، وأن يكون افق نظرها واسعا بسعة الدولة •

ومما ثبت مكانة اللغة العربية ورفع من مقامها ببغداد ازدهار الحركة الفكرية ، وانتاج الكتب تأليفا وترجمة منذ زمن ابى جعفر ؛ وقد وصف الذهبي الحقبة التي كانت في السنين الاولى من تأسيس بغداد بقوله «وشرع الكبار

---

(٦٩) انظر مقالنا «قضاة بغداد في العصر العباسي» المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي م ١٨ سنة ١٩٦٩ •

في تدوين السنن ، وتأليف الفروع ، وتصنيف العربية ، ثم كثر ذلك في أيام الرشيد ، وكثرت التصانيف ، وألفوا في اللغات ، واخذ حفظ العلماء ينقص ، ودونت الكتب ، واتكلوا عليها »[٧٠] ويقول أيضا «وخلفاء هذا الزمان ابو جعفر المنصور ، وأين مثل ابى جعفر ، على ظلم فيه ، في شجاعته وحزمه وكمال عقله وفهمه وعلمه ومشاركته في الأدب ووفور هيبته ، ثم ابنه المهدي في سخائه وكثرة محاسنه وتتبعه لاستئصال الزندقة ، وولده الرشيد هارون في جهاده وحجّه وعظمة سلطانه ، على لهوه ولعبه ، ولكن كان معظّما لحرمات الدين ، قوي المشاركة في العلم ، نبيل الرأي محبا للحسنى .. وكان في وقته من الصالحين .. وانما اقتصرت على ايراد هؤلاء النيف والسبعين اماما طلبا للتخفيف »[٧١] .

ونقل المسعودي قول محمد بن علي الاخباري ان المنصور «كان أول خليفة قرب المنجمين وعمل باحكام النجوم ، وكان معه نوبخت المجوسي المنجم ، واسلم على يده ، وهو ابو هؤلاء النوبختية ، وابراهيم الفزاري صاحب القصيدة في النجوم ، وغير ذلك من علم النجوم وهيئة الفلك ، وعلي بن عيسى الاصطرلابي .

وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية الى العربية : منها كتاب كليلة ودمنة ، وكتاب السند هند ، وترجمت له كتب ارسطاطاليس من المنطقيات وغيرها ، وترجم له كتاب المجسطى لبطليموس ، وكتاب الارثماطيقي ، وكتاب اقليدس ، وسائر الكتب القديمة من اليونانية والرومية والفهلوية والفارسية والسريانية . واخرجت الى الناس فنظروا فيها وتعلقوا الى علمها .

---

(٧٠) الذهبي : تذكرة الحفاظ ١/١٦٠ .
(٧١) كذلك ١/٢٤٤ .

وفي أيامه وضع محمد بن اسحاق كتاب المغازي والسير واخبار المبتدأ ، ولم تكن قبل ذلك مجموعة ولا معروفة ولا مصنفة .

وافضت الخلافة اليه وقد نظر في العلم وقرأ المذاهب وارتاض في الاراء، ووقف على النحل ، وكتب الحديث ، فكثرت في أيامه روايات الناس واتسعت عليهم العلوم »(٧٢) .

ولم تقتصر العناية بالنشاط الفكري المعبر عنه باللغة العربية على أبى جعفر المنصور وحده ، وانما تابعه في ذلك عدد غير قليل من الخلفاء ، وخاصة هارون الرشيد الذي أسس بيت الحكمة وجمع فيها الكتب وأوكل ادارتها الى من يعنى بالثقافة ، وشجع على التأليف والترجمة ، ثم المأمون والمتوكل اللذان اظهرا اهتماما ملحوظا في العناية بالفكر والتأليف .

وامتد التشجيع الى عدد من الوزراء والولاة وأصحاب المكانة ، فرعى كثير منهم العلماء ، وشجعوا على الانتاج باللغة العربية ، واغدقوا العطايا والهبات على القائمين فيها لدوافع وأسباب متعددة .

وكانت الحركة الفكرية عند تأسيس بغداد قد استقرت في الامصار العربية الاولى وخاصة في المدينة والكوفة والبصرة ؛ وظهرت فيها تيارات فكرية متعددة بدأت تتميز لتكون مدارس فكرية متمايزة ، وخاصة في الفقه والنحو واللغة ، وفي قراءات القرآن الكريم وتفسيره ، بالاضافة الى الافكار السياسية وما يتصل بها من مذاهب وعقائد .

وعندما أنشئت بغداد لم يرافق انشاءها تثبيت رسمي لمدرسة فكرية معينة ، ولم تقرر السلطات فيها اتجاهات فكرية يلزم المفكرون على السير في خطوطها ، وانما أتاحت حرية واسعة لمختلف الاتجاهات الفكرية ، فكانت السوق الذي يأتيه العلماء لعرض معارفهم بعد اكتمال نضجهم ؛ ولم يكن

---

(٧٢) مروج الذهب ٤/٢٢٣ .

فيها مركز رسمي للعلم ، وانما كان العلم ينشر حيثما يقيم العلماء الذين توزع سكناهم في أماكن متعددة من المدينة ، ومع أن الجوامع والمساجد كانت مراكز مفضلة للعلم ، الا أنه لم يكن مقصورا عليها فقط ، علما بان بغداد كان فيها ثلاثة جوامع كبيرة وعدد كبير من المساجد . وقد نشطت هذه الحركة الفكرية باتفتاحها لكل الناس من مختلف المشارب ، وعرضت في كل ميدان من ميادين المعرفة تيارات متعددة ، الى أن استقرت لبغداد سمات فكرية خاصة في تلك الميـادين (٧٣) .

يسرت هذه الحرية نمو الثقافة بمختلف ميادينها واتجاهاتها ؛ وكـان هذا التنوع في بغداد أوسع مما في المدن الاخرى ، فقد اجتمعت في اصوله الافكار التي كانت قد نمت في المدينة ومكة ، وفي الكوفة والبصرة ، وفي أقاليم المشرق ؛ وانضاف اليها ما قدمه « أهل اللغة » من معارف أهل الصحراء في الجزيرة ، وما قدمه المترجمون من ثقافات الامم الاخرى ، وخاصة الاغريق ومن كتب بالاغريقية ، والهنود وما الفوه ، وبذلك اتسمت الثقافة بالسـمة العالمية الشاملة دون الاقليمية الضيقة ؛ وأعـان هذا التنـوع على الانسجام والاستقرار ، وقلل من الحاجة الى تدخل السلطة في الحركة الفكرية ، حيـث كان كل زيـغ أو تطرف يرد عليه معارضوه من المفكرين ، وفي ذلك يقـول ابن الفقيه الهمذاني « من جميل أمر بغداد ان السلطان آمن من ان يغلب عليها رئيس لبعض الاراء ، كغلبة الطالبيين كثيرا بالشيعة على أهل الكوفة ، وذلك ان ببغداد من مخالفي الشيعة من يقرن بالشيعة ، وبها من مخالفي المعتزلة مـن يقرن بالمعتزلة ، وبها من مخالفي الخوارج من يقرن بالخوارج ، فكل فريـق يقاوم ضده ويدفعه عن أن يرأسه ، فقد تركوا الرياسة للسلطان ورمحوا تسليط

---

(٧٣) انظر مقالنا «مراكز الحركة الفكرية في صدر الاسلام» المنشور في مجـلة المجمع العلمي العراقي ج ٣ م ٣١ سنة ١٩٨٠ .

القنا والتفاني بالحروب »[٧٤] .

غير أن هذا التنوع ينتظم ضمن رابطة عامة استندت الى الاستقرار وتقارب السكن وتعدد العلاقات وكثرة الارتباطات ، مما يكسبها سمة مميزة تجلت في عدد من الحوادث ، وخاصة ابان حصار طاهر بن الحسين ، حيث هب" أهلها يدافعون عن مدينتهم مدة تزيد على أربعة عشر شهرا أظهروا فيها من التماسك والتعاون في الدفاع عن مدينتهم ، وصدوا جيوش طاهر بن الحسين المدربة على القتال ، وكسروها في عدة معارك ، ومنعوه من دخول المدينة بالقوة ، ولم يفلح بالانتصار الا بعد حصار صارم وأساليب خفية عملت على عزل بعض العناصر فيها . وقد أشار ابن الفقيه الى تماسك أهل بغداد في صد ما يهدد المجتمع من أخطار فقال «ولكن ربما عرضت الافات وهجمتهم ، وذلك أنه اذا اتصلت المكاره عليهم ودام فيهم جور الولاة ، وعوملوا من التعنت وطلب الرشى وما لا يحتمله الا الذليل وذو المعرة القليل ، تهاجوا وفزعوا الى التطوع ، فحدث منهم مثل الذي حدث عند خروجهم مع سهل بن سلامة في أرباض الحربية ، فانه اجتمع ، لما تطوع ودعا الى انكار المنكر ، زهاء خمس مائة ألف انسان . ولما هاجوا عند تأذيهم بمحمد بن أوس وصعاليكه القادمين مع سليمان بن عبدالله ، فان الصعاليك لما اسرفوا في الفسق والفجور تهاجوا من جانبي مدينة السلام قاصدين منزل محمد بن أوس ..»[٧٥] .

ان امتداد اللغة العربية الى ميادين العلوم زاد من اتساع امتدادها ، وجعلها تحل محل اللغات الاخرى التي كانت قائمة في المنطقة ، وخاصة الآرامية والبهلوية ، فأصبح استعمال هذه اللغات محصورا بجماعات

---

(٧٤) بغداد مدينة السلام ٨٠ .

(٧٥) بغداد مدينة السلام ٨٠ ، وانظر عن حركة سهل بن سلامة الطبري ١٠٠٩/٣ ، ١٠٢٣ ، ١٠٣٤ — ٥ وعن محمد بن أوس الطبري ١٥٢٤/٣ — ٣٠ ، ١٧٢٦ — ٣٥ ، ١٨٨٩ ، ١٩١٢ .

محدودة العدد ، وفي ميادين فكرية ضيقة ، وخاصة ما يتعلق بالاديان غير الاسلامية التي يدين بها المتكلمون بهذه اللغات • وكل هذا قوى من مكانة العربية في بغـداد •

ان السمة الاسلامية والعالمية التي اتسمت بها بغداد منذ تأسيسها ، تمت في ظلال اللغة العربية ، وتوجهت وجهة عالمية رحبة دون ان تنحدر الى اقليمية ضيقة ، فعلوم اللغة عنيت بالعربية عموما واستمدت مادتها وثبتت نطاقها في ما يستعمله العرب دون التقيد بما كان في بغداد ، وعلوم الدين التي تشمل دراسة القرآن الكريم والحديث والعقائد عالجت المشاكل العامة التي تهم العالم الاسلامي دون الانحصار بما هو في بغداد ، بـل حتى كتب التـاريخ عنيت بالتاريخ العام دون الاقتصار على تاريخ بغداد ؛ واذا كان كل هذا انمى السمة العالمية للفكر العربي ، فانه أغفل الاشارة الى دور بغداد وأحوالها ، مما قوى الصعوبات في دراسة تفاصيل أحوال بغداد ، وفي التمييز بين ما تم في بغـداد وما تم في غيرها • والواقع ان النزعات الاقليمية والتعصب لبغداد لم يظهر الا منذ القرن الرابع الهجري ، ولم يكن قويا بالمقارنـة مع ما ظهر في الاقـاليم الاخرى •



الفصل السابع

الجيش العباسي في بغداد

كان الجيش هو الأداة الرئيسة التي مكنت العباسيين من تثبيت ثورتهم في خراسان ثم تقدمهم الى العراق حيث أعلنوا في الكوفة قيام خلافتهم ، وتابعوا جهودهم للقضاء على الخلافة الاموية ، فحاصروا في واسط الوالي الأموي يزيد بن عمر بن هبيرة الى أن أجبروه على الاستسلام مع كافة القوات التي كانت معه ؛ كما تقدم جيشهم وانتصر على مروان بن محمد وجيشه في معركة الزاب ، وتابعوا مطاردته الى ان تم لهم قتله في مصر ، وبذلك انهوا حكم الخلافة الاموية ، واصبحوا بحكم تبوّئهم منصب الخلافة مهيمنين على الجيوش الاسلامية التي كانت موزعة في مناطق متعددة ، وكثير منها في الأطراف الشمالية القريبة من حدود الروم . غير أن العباسيين فقدوا ، منذ قيام خلافتهم ، السيطرة على الجيوش التي في الاندلس ، كما ضعفت سيطرتهم على الجيوش التي في المغرب . ولابد أن العباسيين لم يظهروا في السنين الاولى من توليهم الخلافة ثقة كبيرة بجيش اهل الشام ، ولم يعتمدوا عليه ، خاصة وانه كان المستند الذي اعتمد عليه الثوار الامويون وكذلك عبدالله بن علي في ثورته على الخليفة العباس ابو جعفر المنصور . وقد اشار ابن المقفع في رسالة الصحابة الى اهمال جيش الشام ونصح الخليفة باستجلابهم واقترح سبلا لتحقيق ذلك ، فقال « ومما يذكر به أمير المؤمنين أهل الشام ، فانهم أشد الناس مؤونة وأخوفهم في عداوة وبائقة ، وليس يؤاخذهم أمير المؤمنين بالعداوة ولا يطمح منهم خاصة ممن يرجو عنده صلاحاً أو يعرف منه نصيحة أو وفاءاً ، فان

أولئك لا يلبثون أن ينفصلوا عن اصحابهم في الرأي والهوى ويدخلوا فيما حملوا عليه من امرهم »[1] ، ويبدو ان الخليفة نفذ سياسة جلب جيش اهل الشام الى جانبه ، اذ تردد في الاخبار تقريبه عدداً من قوادهم ، واستخدامه لهم في الجبهات المواجهة لبلاد الروم ؛ ولكن لم ترد اخبار عن جلب قوة منهم وتوطينها في بغداد .

عدد المقاتلة :

وكان المقاتلة الذين انضموا الى الثورة العباسية عند اعلانها في خراسان عددهم قليل ، ولكن سرعان ما ازداد عددهم بمن انضم اليهم في خراسان من المقاتلة العرب وغير العرب ، وضمن لهم هذا الازدياد التغلب على القوات التي ظلت موالية للوالي الأموي نصر بن سيّار ، وكذلك التقدم الى العراق والتغلب على الجيوش التي أرسلها الأمويون للقضاء على الثورة العباسية .

ذكر مؤلف كتاب «أخبار بني العباس» عدد رجال بعض الحملات الفرعية والامدادات لجيش قحطبة الذي تقدم من خراسان الى الكوفة ، فمما ذكر أن قحطبة وجه العكي الى نيسابور في ألفي رجل ، ووجه أبا كامل في ألفي رجل الى بيهق وجعله مسلحة بها [2] ؛ وذكر انه عندما تقدم قحطبة الى همدان سرّب اليه أبو مسلم احد عشر قائدا في نحو من عشرة الاف رجل [3] ، ثم انه بعد دخوله اصبهان سرّب اليه ثمانية عشر قائدا في نحو خمسة عشر ألفا [4] وقد يدل هذان النصان على ان القائد كان في المعدل على ألف رجل .

وقد أمدّ ابو مسلم قحطبة بعد ذلك بأبى الجهم بن عطية في سبعمائة

---

(1) رسائل البلغاء ١٢٧ .
(2) اخبار بنى العباس ٣٢٧ .
(3) كذلك ٣٣٧ .
(4) كذلك ٣٥١ .

ويقال في ألف وسبعمائة [٥] .

وكان المجموع الكلي لجيش قحطبة عند دخوله العراق يبلغ اثني عشر ألفا [٦] .

اما القوات التي انضمت الى جيش العباسيين المتقدم الى الكوفة فان مؤلف « أخبار بني العباس » يقول : « ولما رأى أبو سلمة اختلاط الأمور على ابن هبيرة بعث رسله ودعاته الى البوادي المطلة على أهل الكوفة والبصرة من الأعراب ، وبعث الى الموصل ، فدبّوا فيهم ودعوهم الى النهوض ، فألفوهم سراعا الى ذلك طمعا في النهب والغنائم .

فخرج موسى بن السرى الأحول الهمداني بحلوان فأخذها ونفى عاملها وسوّد ودعا الى آل الرسول (ص) ، ووضع مسالحه بخانقين ، وكتب الى قحطبة بطاعته .

وخرج في سواد الكوفة وسواد البصرة عدة من ربيعة : أبو الخفّاف ، والفرافصة ، والحجاج بن علاط العجلي ، فأخذوا أسافل الفرات كله وهم متنابذون ، كل واحد على حياله على غير نيات صحيحة ، وسوّدوا وشهروا ذلك ، وكاتبوا قحطبة ، وأتته رسلهم بخروجهم ، وكتبوا أنه لم تبق في يد ابن هبيرة الا الأمصار ..

وخرج أبو امية التغلبي بتكريت وما والاها ، وتجمعت اليه جماعة من قومه ، وكتب الى قحطبة يخبره بذلك .

وبعث قحطبة بكتابه الى سفيان وروح مع رجل من اصحاب يزيد بن

---

(٥) كذلك ٣/١٣٧ .
(٦) كذلك ٣/١٣٧ .

حاتم ، فسوّدا وخرجا بالبصرة [٧] .

ويذكر أيضا أنه لما عبر قحطبة الفرات متقدما نحو الكوفة ، حرّض أبو سلمة محمد بن خالد القسرى على الانضمام الى العباسيين ، فبعث محمد بن خالد الى مواليه وقومه وجيرته وصنائع أبيه ، فاجتمع اليه منهم نحو من ألف رجل ، فأخبرهم برأيه وما أجمع عليه ، وأمرهم ألا يبيتوا حتى يفرغوا من سوادهم .

وبعث أبو سلمة بمثل ذلك الى طلحة بن اسحاق بن محمد بن الاشعث الكندي فتأهب ، وبدره محمد بن خالد فخرج من منزله في جماعة كثيرة ، ودسّ له أبو سلمة أصحابه ، وكان من جيرته ، فيمن يليهم ، وأرغبوهم في الخروج للحوق بمحمد بن خالد ففعلوا [٨] ؛ ويذكر البلاذري ان محمد بن خالد بن عبدالله القسري سوّد بالكوفة وخرج في احد عشر ألفا[٩] ؛ ولعل في هذا الرقم مبالغة .

يتبين من هذين النصين أن عدد من انضم من أهل الكوفة الى جيش العباسيين لم يكن كبيرا ، وأنهم كانوا مدفوعين بالروابط الشخصية ، ولا ريب في أنهم مدربون على القتال ، ولكن لايوجد دليل على أنهم من المقاتلة المسجلين في الديوان ، كما لا توجد اشارة الى أن مقاتلة الكوفة انضمت الى ابن هبيرة .

واجهت الخلافة العباسية على أثر قيامها عدة ثورات في ارجاء متعددة ، في بلاد الشام والجزيرة ، وفي بلاد المغرب ، وفي خراسان وما وراء النهر . وتطلب القضاء على هذه الثورات استخدام القوات المعتمَدة في ولائها للعباسيين ، وهي القوات الخراسانية بالدرجة الاولى ، وتطلب هذا تنقل

---

(٧) اخبار بنى العباس ٣٥٥ — ٣٥٦ .
(٨) أخبار بني العباس ٣٦٧ — ٨ .
(٩) أنساب الاشراف ٣/١٣٨ .

الجيوش الى المناطق المهددة ، ثم عودتها بعد استقرار النظام .

والمفروض ان القوة المعتمدة الرئيسة كان مقامها الدائم في أوقات السلم بالقرب من الخليفة ؛ وقد ذكرت المصادر عدد القوات التي ارسلت في بعض الحملات .

فالجيش الذي قاده أبو جعفر في حصار الوالي الأموي يزيد بن عمر بن هبيرة في واسط ، كان يبلغ عشرة آلاف [١٠] ؛ ولعل العدد الكلي للجيش كان يزيد على ذلك بقليل .

والجيش الذي قاده عبدالله بن علي لمقاتلة مروان بن محمد في معركة الزاب ، كان عدده في أحدى الروايات عشرين ألفا ، وفي رواية أخرى عشرة الآف [١١] ، وا تقدم هذا الجيش الى بلاد الشام لتثبيت حكم الخلافة العباسية والقضاء على الثورات التي حدثت في تلك البلاد ، أمده الخليفة بقوة تبلغ ثمانية الاف [١٢] .

ووجه عبدالله بن علي أخاه عبدالصمد مع قوة تبلغ عشرة آلاف للقضاء على ثورة أهل قنسرين [١٣] .

ولما ثار عبدالله بن علي على أبي جعفر كان في جيشه سبعة عشر ألفا من أهل خراسان [١٤] .

وأرسل المنصور خازم بن خزيمة لقتال الملبد مع نحو ثمانية آلاف [١٥].

أما في جبهة السند فان السفاح أرسل خازم بن خزيمة مع سبعمائة ،

---

(١٠) الطبري ٦٨/٣ .
(١١) الطبري ٤٦/٣ — ٤٧ .
(١٢) الطبري ٤٨/٣ .
(١٣) الطبري ٥٣/٣ — ٥٤ .
(١٤) الطبري ٩٥/٣ ، ١٠٢ .
(١٥) الطبري ١٢٤/٣ .

اضيف اليهم عدد من أهل بيت خازم ومواليه ومن أهل مروالروذ وعدد من بني تميم [16] .

ثم «وجه أبو العباس موسى بن كعب الى الهند لقتل منصور بن جمهور وفرض لثلاثة آلاف رجل من العرب والموالي بالبصرة ، ولالف من بني تميم خاصة »[17] ، أي انه فرض لأربعة الاف ، ويذكر اليعقوبي ان جيش موسى بن كعب كان عشرين ألف مقاتل [18] .

وفي الحملة على محمد النفس الزكية ارسل ابو جعفر مجالد بن يزيد الضبعي في ألف وخمسمائة فارس وخمسمائة رجل [19] ، ثم وجه عيسى بن موسى في خمسة عشر ألفا وجعل على مقدمته حُميد بن قحطبة على ثلاثة الاف [20] ، ويروى المسعودي ان ابا جعفر ارسل على محمد النفس الزكية أربعة الاف فارس ، والفي راجل ، ومحمد بن قحطبة في جيش كثيف [21] .

اما عن ابراهيم بن الحسن فقد وجه المنصور «الى واسط لحرب هارون ابن سعد عامر بن اسماعيل المسلى في خمسة الاف في قول بعضهم وقال بعضهم في عشرين ألفا »[22] .

ووجه ابو جعفر الى افريقية يزيد بن حاتم « في خمسين ألفا [23] ، وفي رواية أخرى أربعين ألفا » [24] .

---

(١٦) الطبري ٧٨/٣ .
(١٧) الطبري ٨١/٣ .
(١٨) الطبري ٩٤/٣ .
(١٩) الطبري ٢٩٤/٣ .
(٢٠) الطبري ٣١٠/٣ .
(٢١) مروج الذهب ٣٠٧/٣ .
(٢٢) الطبري ٣٠٣/٣ .
(٢٣) الطبري ٣٧٢/٣ .
(٢٤) الطبري ٣٠٥/٣ ؛ وانظر سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ٣١١ .

وكان مع المهدي عندما وجهه المنصور الى الري ثلاثون ألفا [٢٥] .

وبلغ الجيش الذي أرسله لقتال استاذسيس عشرين ألفا ، وفي روايات اخرى انه ثمانية عشر ألفا [٢٦] .

اما المهدي فانه في السنة الثانية من توليه الخلافة وجّه عبدالملك بن شهاب المسمعي الى بلاد الهند وفرض معه لالفين من أهل البصرة .. وألف وخمسمائة رجل من المطوّعة و ٧٠٠ من أهل الشام ، ومن مطوّعة أهل البصرة ألف رجل، ومن الأسواريين والسياد أربعة الاف [٢٧] .

واغزا الحسن بن قحطبة الصائفة «في ثلاثين ألف مرتزق سوى المطوعة»[٢٨] ، كما وجه سنة ١٦٨ سعيد الحرشي الى طبرستان في أربعين ألف رجل [٢٩] .

أما هارون الرشيد فانه لما ظهر يحيى طالب الحق «ندب اليه الفضل بن يحيى في خمسين ألف رجل »[٣٠] .

وفي الحملة التي قام بها الرشيد سنة ١٩٠ وفتح فيها هرقلة كان معه «فيما قيل ١٣٥ ألف مرتزق سوى الاتباع وسوى المطوعة وسوى من لاديوان له »[٣١] .

وفي السنة التالية «ولّى الرشيد غزو الصائفة هرثمة بن اعين وضم اليه ثلاثين ألفا من جند خراسان »[٣٢] .

---

(٢٥) الطبري ٣/٣٠٥ .
(٢٦) الطبري ٣/٣٤٧ .
(٢٧) الطبري ٣/٤٦١ .
(٢٨) الطبري ٣/٤٩٤ .
(٢٩) الطبري ٣/٥٢٢ .
(٣٠) الطبري ٣/٦١٤ .
(٣١) الطبري ٣/٧١٠ .
(٣٢) الطبري ٣/٧١٣ .

ولما تحركت الخرّمية سنة ١٩٢ بناحية أذربيجان وجه اليهم الرشيد عبدالله بن مالك في عشرة الاف فارس [٣٣] .

وفي الحرب بين الأمين والمأمون ، وجه الأمين ضد المأمون سنة ١٩٥ علي بن عيسى «في زهاء ٤٠ ألفا »[٣٤] ، وفي رواية اخرى انه « عقد له على خمسين ألف فارس وراجل من أهل بغداد »[٣٥] .

ثم «وجه عبدالرحمن الابناوي في عشرين ألف رجل من الأبناء»[٣٦] .

ثم «وجه احمد بن مزيد في عشرين ألف رجل من الاعراب ، وعبدالله ابن حميد بن قحطبة في عشرين ألف رجل من الأبناء ، وأمرهما ان ينزلا حلوان »[٣٧] .

اما الحاميات فقد ذكر الطبري أنه لما ثار أهل الجزيرة في زمن ابى العباس السفاح كان « بحرّان يومئذ موسى بن كعب في ثلاثة آلاف من الجند »[٣٨] .

ولما قدم ابو مسلم على ابى العباس السفاح «شخص في ثمانية الاف فرّقهم بين نيسابور والري .. وشخص منها بألف [٣٩] .

وكانت «روابط الجزيرة وهم فيما قيل ألف مقاتل»[٤٠] .

وعند ثورة ابراهيم بن الحسن «كان عامل الأهواز يومئذ من قبل ابى جعفر محمد بن الحصين ومعه اربعة الاف »[٤١] .

---

(٣٣) الطبري ٣/٧٣٣ .
(٣٤) الطبري ٣/٧٩٩ .
(٣٥) الطبري ٣/٨١٨ .
(٣٦) الطبري ٣/٨٢٨ .
(٣٧) الطبري ٣/٨٤٠ .
(٣٨) الطبري ٣/٥٦ .
(٣٩) الطبري ٣/٨٨ .
(٤٠) الطبري ٣/١٢١ .
(٤١) الطبري ٣/٣٠١ .

وقدم من الكرنبية الى بغداد عشرة آلاف رجل [٤٢] .

يذكر الطبري انه لما ثار ابراهيم بن الحسن قال ابو جعفر « والله ما أدري كيف أصنع ، والله ما في عسكري الا ألفا رجل ، فرّقت جندي ، فمع المهدي بالري ثلاثون ألفا ، ومع محمد بن الاشعث بافريقية أربعون ألفا ، والباقون مع عيسى بن موسى ، والله لئن سلمت من هذه لايفارق عسكري ثلاثون ألفا ؛ وقال عبدالله بن راشد ماكان في عسكر ابي جعفر كثير احد ، ما هم الا سودان وناس يسير»[٤٣] ، ويروي ايضا ان المنصور عندما ثار ابراهيم ابن الحسن «كان جميع جنده الذين في عسكره نحو من ألف وخمسمائة»[٤٤].

ويتبين من هذا انه عندما ثار ابراهيم بن الحسن بُعيد المباشرة ببناء بغداد ، كانت مع المنصور قوة تبلغ ألفاً وخمسمائة أو ألفين ، وهذا العدد يجعلها أقرب الى الحرس الخاص ، وهي لاتكفي لقمع الثورات الكبيرة التي قد تقوم عليه ؛ ولاريب في ان هذه القوة انخفضت الى هذا العدد في ظروف استثنائية ناجمة عن نشوب عدة ثورات في أماكن مختلفة وفي أوقات متقاربة، وانه اعتمد في قمعها على القوات التي ارسلها من مقامه في العراق .

ان الارقام التي ذكرناها عن عدد القوات التي أرسلها لاخماد الثورات قبل تأسيس بغداد، ترجح انالقوات التيكانتمعالمنصور فيالاحوال الاعتيادية يبلغ عددها حوالي خمسينألفا ؛ وان تصريحه بابقاء ثلاثينألفا معه يعنيان تكونهذه القوة معه دائما ، وان يرسل لقمع الثورات قوات أخرى غيرها ، أي انه أعدّ لبغداد ان يقيم فيها ثلاثون ألفا اقامة دائمة ، مع قوات اضافية ترسل عند الطوارىء ، لعل عددها حوالي عشرين ألفا ، أي انه قدّر ان يقيم في مدينته خمسون ألفا من الجند .

---

(٤٢) الطبري ٣/٦٣٢ .
(٤٣) الطبري ٣/٣٠٥ .
(٤٤) الطبري ٣/٢٩٤ .

يذكر الطبري ان الأمين عندما ارسل علي بن عيسى بن ماهان لاخضاع المأمون عقد له على خمسين ألف فارس وراجل من أهل بغداد ، ودفع اليه دفاتر الجند ، وأمره ان ينتقي [٤٥] .

ويذكر الطبري أيضا ان الأمين عقد في سنة ١٩٦ نحوا من اربعمائة لواء لقواد شتى ، وأمر على جميعهم محمد بن عيسى بن نهيك وارسلهم لمقاتلة هرثمة [٤٦] ؛ ولم يذكر الطبري عدد الجند .

ان حصيلة المعلومات المتوفرة عن عدد رجال الحملات التي انفذت من بغداد ، والأرقام القليلة التي ذكرتها المصادر عن العدد الاجمالي للجيش في بغداد ، تدل على ان عدده كان حوالي خمسين ألف مقاتل ، وهو يقارب عدد المقاتلة في خراسان ، وعددها في البصرة والكوفة ابان زمن الخلفاء الراشدين ، ولا يدخل في هذا عدد عيالاتهم [٤٧] .

عناصر الجيش

كانت خراسان الاقليم الذي نشطت فيه الدعوة العباسية ، وعلى رجالها اعتمد العباسيون في نجاح ثورتهم والقضاء على الخلافة الأموية وتثبيت خلافتهم ، ومن المحتمل انها امدت الخلفاء العباسيين ابان السنوات الاولى من

---

(٤٥) الطبري ٣/٨١٨ .

(٤٦) كذلك ٣/٨٦٥ .

(٤٧) كان عدد المقاتلة في الكوفة في أول خلافة علي بن ابي طالب سبعة وخمسين الفا ومواليهم ثمانية الاف (الطبري ١/٣٣٧٢) ، ثم ارتفع عدد المقاتلة فيها في زمن معاوية الى ستين ألفا ، وعيالاتهم ثمانون الفا (فتوح البلدان ٣٥٢) . أما البصرة فكان مقاتلتها في زمن خلافة علي عددهم ستين ألفا (الطبري ١/٣٣٧٠) وزاد عددهم في زمن ولاية زياد الى سبعين ألفا ، وعيالاتهم ثمانون ألفا (الطبري ٢/٢٣٣) ؛ فتوح البلدان ٣٧٠ ، البيان والتبيين للجاحظ ٢/١٣٥) ، وارتفع عددهم في زمن ولاية عبيدالله بن زياد الى ٩٠ ألفا وعيالاتهم الى ١٤٠ ألفا (الطبري ٢ / ٤٣٣ ، انساب الاشراف ٤ — ٢/١١٦) .

قيام الخلافة العباسية بامدادات من الرجال ايضا .

ولكن حدثت في خراسان منذ أوائل قيام الخلافة العباسية عدة ثورات على العباسيين ، قام بكثير منها رجال ممن كانوا يساندونها قبل ذلك ، بالاضافة الى ثورات قام بها بعض الأعاجم [1] . ولابد أن هؤلاء الثائرين اعتمدوا على مقاتلة خراسان مما أدى الى ان يفقد العباسيون بعض مقاتلة خراسان اما لانضمامهم الى الثائرين أو لمقتلهم خلال اخماد الثورات ، ولابد ان قتل ابى مسلم الخراساني زاد من ضعف اعتماد الخلفاء العباسيين على خراسان ، اذ أصبح مؤيدو أبى مسلم غير معتَمدين ، كما أن الاضطرابات في خراسان تطلبت أن تبقى فيها قوات كافية لضبط الأمن .

وكان عماد المقاتلة في خراسان هم العرب ، ويبلغ عددهم في أوائل زمن الأمويين خمسين ألفاً مقسمين الى خمسة أقسام رئيسة تبعا للعشائر العربية ؛ هي تميم ، والأزد ، وبكر ، وأهل العالية (عشائر الحجاز) وعبدالقيس ، ويبلغ عدد مقاتلة كل خمس عشرة الاف ، غير ان عبدالقيس مقاتلتها أربعة الاف ؛ وكوّن أهل الكوفة وحدة قوامها سبعة الاف ؛ أما الموالي من الاعاجم فكان عددهم سبعة الاف [2] . ولابد ان هذا العدد تناقص بسبب من قتل في المعارك ؛ وقد أمدّهم الخليفة هشام بن عبدالملك بعشرين ألفا : عشرة الاف من أهل البصرة ، وعشرة الاف من أهل الكوفة ، وخوّل والي خراسان ان يفرض اضافة الى ذلك لخمسة عشر ألفا ؛ وبذلك ازداد عدد المقاتلة العرب فيها[3] .

---

(١) انظر في ذلك : العباسيون الاوائل للدكتور فاروق عمر : الجزء الاول ، الفصل الثالث .
الفصل الثالث . وانظر ايضا :
Sadighi : Les Mouvements Religioux Iranien
E. Daniel. Khurasan Under Abbaside Rule 747 — 820.

(٢) الطبري ١٢٩١/٢ ؛ فتوح البلدان ٤٢٣ .

(٣) الطبري ١٢٩١/٢ .

أما الموالي وغير العرب فلابد ان عددهم ازداد ايضا ، ولكنه لم يتجاوز عشرين ألفا[٤]، أي حوالي ربع المقاتلة العرب ؛ وعندما تسميهم المصادر «الخراسانيون» أو «مقاتلة خراسان» فانها تقصد المقيمين منهم في خراسان ، علماً بان غالبيتهم المطلقة من العرب •

وكانت خراسان مقسمة الى أربعة أقسام ادارية هي :

١ ــ مرو الشاهجان ، وسرخس ، ونسا ، وأبيورد ، ومرو الروذ ، وخوارزم، وآمل ، وبلخ •

٢ ــ ايرانشهر وهي نيسابور ، وقهستان ، والطبسين ، وهراة ، وبادغيس ، وطوس •

٣ ــ الفارياب ، والجوزجان ، والطالقان ، والختّل •

٤ ــ ما وراء النهر وتشمل بخاري ، والشاش ، والطرابند ، والصغد ، والروبستان ، وأشروسنة ، وسنام ، وفرغانة ، والبتّم ، وسمرقند ، وابانكث وبناكث [٥] •

وكانت مرو هي القاعدة الرئيسة ومقام الوالي في خراسان ، ولعله كان يقيم عندها عدد كبير من المقاتلة العرب ، غير أن المتطلبات الادارية قضت بتوزيع اقامتهم في اوقات السلم على عدة اماكن • وفي اخبار الدعوة العباسية دلائل على بعض الاماكن التي توزع العرب فيها ؛ فكان النقباء كلهم من مرو[٦] اما الدعاة فتوزعوا في مرو (٤٠) وابيورد (٧) ونسا (٦) وبلخ (٢)

---

(٤) الطبري ٢/١٦٩٠ •
وانظر مقالنا «استيطان العرب في خراسان» المنشور في مجلة كلية الاداب ص ٦٧ ــ ٦٨ •

(٥) مختصر كتاب البلدان الفقيه ٣٢١ (نقلا عن البلاذري ؛ ياقوت ٢/٢٧٩ وانظر تفاصيل أوفى في بحثنا «تقسيمات خراسان الادارية في العهود الاسلامية الاولى» المنشور في مجلة كلية الاداب م ١٤ سنة ١٩٧١ ص ٧٧٢ ــ ٨٢٦ •

(٦) أخبار بني العباس ٢١٥ ، ٢١٦ •

ومروالروذ (١) وخوارزم (١) وآمل (١)[٧]. ولابد أن هذه الاماكن ، وكلها من ربع مرو ، كانت مراكز اقامة العرب ، والواقع ان مقاتلة هذه الأماكن هم أكثر من يتردد ذكرهم في أخبار الثورة العباسية ؛ ومن الواضح أن ذكر هذه المدن لايعني أن المقاتلة العرب سكنت داخلها، وانما سكن معظمهم حولها، وقد ذكرت المصادر عدداً من القرى في خراسان ومن استوطنها من العرب [٨] .

أشار مؤلف « أخبار بني العباس » الى اسهام أهل المدن الخراسانية في الثورة العباسية فذكر أن نصر بن سيار قال « قد أطبقت علينا الطالقان ومرو الروذ وبلخ وما على شط النهر وأبيورد ، وهذه مرو قد بلغ فيها ما بلغ ، ثم يأتيهم أهل جرجان»[٩] وذكر «ظهور أهل نسا والطالقان ومروالروذ وآمل ونواحيها قريبة بعضها من بعض » [١٠] وأشار الى المشكلة التي احدثها انضمام العبيد من أرقاء أهل نسا والطالقان ومروالروذ وآمل [١١] .

يتردد في الحوادث الأولى للثورة ذكر اسهام أهل نسا وأبيورد وجرجان ومروالروذ ، فيذكر « كان أول جند أمدّ به أهل أبيورد ونسا[١٢] ومن كان مع قحطبة [١٣] أهل نسا وأبيورد وجرجان ومروالروذ » [١٤] علما بأنه أشار الى اسهام أهل نسا وأبيورد في مطلع الثورة [١٥] .

أما جرجان فقد أشار نصر بن سيار الى اسهام أهلها [١٦] وذكر مؤلف

---

(٧) كذلك ٢١٧ — ٢١٩ .
(٨) انظر مقالنا «استيطان العرب في خراسان» المنشور في مجلة كلية الاداب ٦٧ — ٦٨ .
(٩) اخبار بني العباس ٢٩٣ .
(١٠) أخبار بني العباس ٢٧٨ .
(١١) أخبار بني العباس ٢٨٤ ، ٢٨٩ .
(١٢) أخبار بني العباس ٢٨١ .
(١٣) أخبار بني العباس ٣٣٩ .
(١٤) أخبار بني العباس ٢٦٨ .
(١٥) أخبار بني العباس ٢٩٣ .
(١٦) أخبار بني العباس ٢٢٤ .

أخبار ابي العباس خمس الازد في جرجان ، وان من رجالهم أبا عون والحسن ابن زيارة وأبا نصير الجرجاني [١٧] ، كما ذكر انهم انضموا الى قحطبة ، وانه فرض لخمسمائة رجل منهم ، وانهم شاركوا في فتح ابهر [١٨] .

وكان لأهل مروالروذ دور متميز في الثورة العباسية ، فهي «متوسطة بين مرو وبلخ ، بها خلق كثير من اخواننا ، وبهـا السلطان قد وهن » وكان مـن رجالها خازم بن خزيمة ، وخفاف [١٩] ، والأخيم بن عبدالعزيز ، وهو نقيب[٢٠] ، والأغلب بن سالم ، وهو من الدعاة [٢١] ، وقد شاركوا في الاحداث الاولى للثورة ، فعندما اعلنت الثورة أقبل عبدالله بن شـعبة من مروالروذ في ألف رجل ومعه دواب ومواشي من غنائم مروالروذ[٢٣] ، وعندما خندق أبو مسلم على نفسه وأصحـابه «كتب الى طخارسـتان ومروالروذ يسـتنجد بقيـة أصحابه » [٢٣] .

وممن شارك في الثورة العباسية أهل الطالقان [٢٤] ، وقد قدم على أبى مسلم عمرو بن أيمن في أهل الطالقان ، فكثرت جماعته فزاد في حرسه وصيَّر منهم أهل النجدة والقوة وأهل البصـائر حتى كان من أمره ماكان[٢٥] ، ثم «أقبل عمرو بن أيمن في ألف وخمسمائة رجل من الطالقان» .

---

(١٧) أخبار بني العباس ٣٣٠ ، وانظر عن العشائر العربية التي سكنت جرجان تاريخ جرجان للسهمي ١٨ ــ ١٩ .
(١٨) أخبار بني العباس ٢٧٣ .
(١٩) أخبار بني العباس ٣٣٥ .
(٢٠) أخبار بني العباس ٢١٩ .
(٢١) أخبار بني العباس ٢٢١ وانظر ٣٣٥ .
(٢٢) أخبار بني العباس ٢٩٧ .
(٢٣) أخبار بني العباس ٢٢٩ .
(٢٤) أخبار بني العباس ٢٧٨ .
(٢٥) أخبار بني العباس ٢٨٠ .
(٢٦) أخبار بني العباس ٢٩٥ .

وكان أهل طخارستان عندما استنجد بهم أبو مسلم [٢٦] من أوائل من قدم عليه [٢٧] .

وممن أسهم في الثورة «أهل خوارزم ، وآمل ، وبخاري والسغد» [٢٨].

وكان « أهل سرخس يداً واحدة على الهاشمية » [٢٩] كما أن نيسابور وطوس لم تكن مع الثورة العباسية [٣٠] ، ولعل هذا يفسر قلة من سكن منهم بغداد عند تأسيسها ، رغم أن قحطبة القائد البارز في الثورة العباسية ، كان من أهل طوس .

يتبين مما تقدم أن الدعوة العباسية وثورتها في خراسان قامت بالدرجة الاولى على العرب ، اذ كان منهم النقباء والدعاة وأبرز القواد ، غير أنهم لم ينحصروا في قبيلة واحدة ، وانما في قبائل متعددة ، علما بأن الدعوة العباسية قامت على أسس عقائدية، وليس على أساس القبلية التي كانت في مرحلة الضعف.

في الكتب اشارات كثيرة الى تقدير العباسيين الأوائل ، وخاصة ابى جعفر المنصور لدور الخراسانيين ومكانتهم ، فقد اشار في احدى خطبه الى اسنادهم للدولة العباسية [٣١] وأوصى ابنه المهدي برعايتهم [٣٢] ، وكانوا ممن اعتمد المهدي على اسنادهم عندما عزم على خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد [٣٣] .

والواقع ان مقاتلة خراسان كانوا عماد الجيش العباسي في معركة الزاب [٣٤] ، وفي محاصرة ابن هبيرة في واسط [٣٥] ، وفي السيطرة على بلاد

---

(٢٧) أخبار بني العباس ٢٧٧ .
(٢٨) أخبار بني العباس ٢٧٨ .
(٢٩) أخبار بني العباس ٣٢٢ .
(٣٠) أخبار بني العباس ٣٢٤ .
(٣١) الطبري ٣ ـ ٤٣١ ـ ٢ ، مروج الذهب ٣/٣١١ .
(٣٢) الطبري ٣/٤٤٥ ، وانظر ٣/٤٥٤ .
(٣٣) الطبري ٣/٤٧٣ ، ٤٧٥ .
(٣٤) الطبري ٣/٦٨ .
(٣٥) الطبري ٣/٦٨ .

الشام [٣٦] ، وفي القضاء على ثورة الموصل [٣٧] ، وثورة محمد النفس الزكية في المدينة [٣٨] .

واستخدموا ايضا في الدفاع عن الحدود الشمالية التي كانت معرضة لتهديدات الروم ، فشاركوا في القوات التي ارسلتها الخلافة العباسية الى تلك المناطق في سنة ١٤٠ [٣٩] ، وسنة ١٥٩ [٤٠] ، وسنة ١٦٢ [٤١] وسنة ١٦٣ [٤٢] ، وسنة ١٩١ [٤٣] .

وعندما قام الخلفاء العباسيون ببناء الثغور وتحصينها ، رتب المقاتلة الخراسانيون في كثير منها ، ومن ذلك اذنه عندما بنيت في سنة ١٤١ وجدد بناؤها في سنة ١٩٤ [٤٤] ، والرافقة في سنة ١٥٥ [٤٥] ، وطرسوس في سنة ١٧١ [٤٦] ، والهارونية وعين زربة في سنة ١٨٠ [٤٧] .

ذكرت الكتب أسماء عدد من القواد ورجال الجيش العباسي وأسماء البلاد التي نسبوا اليها ، ومن هذه البلاد :

ابيورد ، وقد نسب اليها مجالد ومحمد ويزيد أولاد زيد بن عمران ، وقد وجههم ابو جعفر المنصور مع جندهم الى البصرة عندما قدمها ابراهيم

---

(٣٦) الطبري ٣/٩٤ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٢ .
(٣٧) تاريخ اليعقوبي ٣/٩٤ .
(٣٨) الطبري ٣/٢٢٦ ، ١٥٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٦ .
(٣٩) فتوح البلدان ١٨٦ .
(٤٠) الطبري ٣/٤٦٠ .
(٤١) فتوح البلدان ١٦٨ .
(٤٢) الطبري ٣/٤٩٥ .
(٤٣) الطبري ٣/٧١٢ .
(٤٤) فتوح البلدان ١٦٧ .
(٤٥) فتوح البلدان ١٧٨ .
(٤٦) فتوح البلدان ١٦٨ .
(٤٧) فتوح البلدان ١٧٠ .

ابن الحسن معلناً الثورة على العباسيين [٤٨] .

وبلخ التي نسب اليها ابراهيم بن جعفر البلخي ، وكان على أحد المسالح عندما حاصر طاهر بن الحسين بغداد [٤٩] .

وبغشور التي نسب اليها البغيون ومنهم ابراهيم بن جبريل الذي كانت له دار في اقطاعهم [٥٠] .

وجرجان التي نسب اليها مروان وابو المتوكل الجرجانيان اللذان ارسلهما عبدالله بن علي مع اصحابهما طليعة الى قنسرين [٥١] ، وخفاف الجرجاني الذي بايع عبدالله بن علي بالخلافة عندما ثار على المنصور [٥٢] .

وخوارزم التي نسب اليها سالم ابو محمد «وكان من قواد خراسان»[٥٥]، كما كان في جيش طاهر بن الحسين سبعمائة رجل من الخوارزمية ، منهم ميكائيل ، وسيس ، وداوود بن سياه [٥٤] .

ومن الختّل عبدالرحمن الختلي الذي وجهه المنصور مع ابى يعقوب ختن مالك بن الهيثم في خيل كثيفة الى ابراهيم بن الحسن [٥٥] .

وينسب الى سجستان ابو النجم السجستاني وهو احد القواد الذين قاتلوا استاذسيس [٥٦] .

غير أن أبرز من يتردد ذكرهم في أخبار الحوادث التي حدثت في زمن خلافة ابى العباس السفاح وابى جعفر المنصور هم المروروذية الذين تدل كثرة

---

(٤٨) الطبري ٣/٢٩٤ ، ٣٠٠ .
(٤٩) الطبري ٣/٩١٨ .
(٥٠) الوزراء والكتاب للجهشياري ١٩٢ ، وانظر عن البغيين الخطيب ١/٤١٠ .
(٥١) الطبري ٣/٥٤ .
(٥٢) الطبري ٣/٩٢ .
(٥٣) الطبري ٣/٣٩٩ .
(٥٤) الطبري ٣/٨٠١ ، وانظر مروج الذهب ٣/٢٩٩ .
(٥٥) الطبري ٣/٣٠٧ .
(٥٦) الطبري ٣/٣٥٥ .

ذكرهم على أنهم كانوا أبرز من كان في الجيش ببغداد •

فيذكر الطبري في حوادث سنة ١٣٤ أن «خازم بن خزيمة شخص في السبعمائة الذين ضمهم اليه أبو العباس وانتخب من أهل بيته وبني عمه ومواليه ورجال من أهل مروالروذ قد عرضهم ووثق بهم ، فسار الى البصرة فحملهم سليمان بن علي ، وانضم الى خازم بالبصرة عدة من بني تميم ، فساروا حتى أرسوا بجزيرة ابن كاوان ، فوجه خازم نضلة بن نعيم النهشلي في خمسمائة رجل •

وممن قتل أخ لخازم لأمه يقال له اسماعيل في تسعين رجلا من أهل مروالروذ ، ثم تلاقوا في اليوم الثاني فاقتتلوا قتالا شديدا وعلى ميمنته رجل من أهل مروالروذ يقال له حميد الورثكاني ، وعلى ميسرته رجل من أهل مروالروذ يقال له مسلم الأرغندي ، وعلى طلائعه نضلة بن نعيم النهشلي»(٥٧) •

وكان مع عبدالله بن علي عندما ثار على المنصور مطالبا بالخلافة عدة قواد منهم خفاف المروروذي (٥٨) •

ولما قام الملبد الخارجي وكسر عدة قواد «وجه ابو جعفر اليه خازم بن خزيمة في نحو من ثمانية الاف من المروروذية «وعبر الى الملبد وعلى مقدمته وطلائعه نضلة بن نعيم بن خازم بن عبدالله النهشلي ، وعلى ميمنته زهير بن محمد العامري ، وعلى ميسرته ابو حماد الابرص مولى بني سليم وسار خازم في الطلب ••»(٥٩) •

ولما ثار عبدالجبار الازدي بخراسان سنة ١٤١ حاربه أهل مروالروذ ، «وعبر اليه المجشر بن مزاحم من أهل مروالروذ فاخذه أسيرا»(٦٠) •

---

(٥٧) الطبري ٣/٧٩ •
(٥٨) الطبري ٣/٩٤ •
(٥٩) الطبري ٣/١٢٤ •
(٦٠) الطبري ٣/١٣٦ •

ولما ثار استاذسيس سنة ١٥٠ وغلب على عامة خراسان تقدم بجموعه «حتى التقوا هم وأهل مروالروذ فخرج اليهم الاجثم المروروذي في أهل مروالروذ فقاتلوه قتالا شديدا ، حتى قتل الاجثم وكثر القتل في أهل مروالروذ ، وهزم عدة من القواد منهم معاذ بن مسلم بن معاذ ، وجبريل بن يحيى ، وحماد بن عمرو ، وابو النجم السجستاني ، وداود بن كراز ، فوجّه المنصور ، وهو بالبردان ، خازم بن خزيمة الى المهدي ، فولاه المهدي محاربة استاذسيس وضم القواد اليه »(٦١) .

كان من رؤساء الراوندية ابو خالد المروروذي (٦٢) ، كما أرسل المهدي ضد عبدالسلام الخارجي شبيب بن واج المروروذي(٦٣)، عبدوس (٦٤) .

ان كثرة تردد ذكر المروروذية في أحداث خلافة السفاح والمنصور تدل على أنهم كانوا من أبرز من تتكون منهم الخراسانية في بغداد .

ان تسمية هؤلاء المقاتلة «الخراسانية» يقصد منه انهم القوات التي كانت في زمن الامويين تقيم في خراسان وتقاتل في جبهاتها . ونسبة المقاتلة الى الاقليم الذي تقيم فيه كانت مستعملة في المناطق الاخرى من الدولة ايضا ، فيذكر أهل الشام ، وأهل الجزيرة ، وأهل مصر ، وأهل الكوفة ، وأهل البصرة ؛ ويقصد به في الغالب المقاتلة العرب المقيمون في الاقليم الذي ينسبون اليه .

ذكرنا من قبل ان عظم المقاتلة في خراسان هم من العرب ، وانهم نظموا في البداية اخماسا حسب عشائرهم ، غير ان مواطن اقامتهم وزعت على

---

(٦١) الطبري ٣/٣٥٥ .
(٦٢) الطبري ٣/٤٥٦ .
(٦٣) الطبري ٣/٤٩٣ ، تاريخ الموصل ٢٤٢ .
(٦٤) الطبري ٣/٩٧٩ .

عدد من مدن خراسان ، فصار كثير منهم ينسب احيانا الى المدينة التي يقيم فيها ، ويذكر في الكتب منسوبا الى عشيرته أو الى مكان اقامته ، أو لكليهما معاً . وفي كتاب الطبري ذكر للعشائر العربية التي ينسب اليها كثير من « المقاتلة الخراسانيين » ؛ فممن ذكر منهم قحطبة وابناه حميد والحسن الطائيون (٦٥) ، وابو غانم الطائي (٦٦) ، وموسى بن كعب التميمي (٦٧) ، والهيثم بن معاوية العتكي (٦٨) ، ومالك بن الهيثم الخزاعي (٦٩) ، وهشام بن عمرو التغلبي (٧٠) ، وبكار الانصاري (٧٣) .

ووردت في الاخبار أسماء عدد كبير من الخراسانية ممن اسمه واسم أبيه عربي اسلامي ، مما يدل على اصولهم العربية أو انهم ممن أسلم واندمج مع العرب في زمن مبكر ؛ وممن ذكرتهم المصادر : جيّاش بن حبيب (٧٢) ، ومخارق بن غفار (٧٣) ، وكثير بن حصن (٧٤) ، وعاصم بن موسى (٧٥) ، وسهل ابن سلامة (٧٦) ، والحسن بن مصعب (٧٧) ، وداوود بن كراز (٧٨) ، وجبريل ابن يحيى (٧٩) .

---

(٦٥) الطبري ٣/٩٤ .
(٦٦) الطبري ٣/٩٤ .
(٦٧) مروج الذهب ٣/٢٧٠ .
(٦٨) الطبري ٣/١٣٧ .
(٦٩) الطبري ٣/٩٤ .
(٧٠) الطبري ٣/١٣٦ .
(٧١) الطبري ٣/٦٧ .
(٧٢) الطبري ٣/٩٤ .
(٧٣) الطبري ٣/٩٤ .
(٧٤) الطبري ٣/٢٣٧ .
(٧٥) الطبري ٣/٥٠٢ .
(٧٦) الطبري ٣/٩١ .
(٧٧) الطبري ٣/٧٧١ .
(٧٨) الطبري ٣/٢٣٩ .
(٧٩) الطبري ٣/٢٣٩ .

الأبنـــاء

يتردد في المصادر ذكر «الابناء» من الجيش العباسي ، وأول ذكر لهم في حوادث سنة ١٦٣ حيث يقول : «ولما ندب المهدي هرون الرشيد لما ندب له من الغزو أمر ان يدخل عليه كتّاب ابناء الدعوة لينظر اليهم ويختار منهم رجلا ، قال يحيى بن خالد البرمكي فادخلوني معهم »[(١)] وهـذا النص واضح انهم ابناء الدعوة ، وهناك نص آخر في الطبري «فاقبل شـيخ كبـير مـن ابناء الكفاية »[(٢)] .

ويبدو ان الابناء كانت من العلية فلما انهزم أصحـاب علي بن عيسى من طـاهر « وانتهت الهزيمة الى علي فجعل ينـادي أصحابه : أين أصحـاب الاسورة والاكاليل، يا معشر الابناء اليّ ، الكرّة بعد الفرّة معاودةالحرب من الصبر»[(٣)].كما ان عبدالرحمنالابناوي عندما انهزم جيشه «وجعل عبدالرحمن يقول لاصحابه يامعشر الابناء ، يا أبناء الملوك وألفاف السيوف : انهم لعجم وليسوا بأصحاب مطاولة ولا صبر فاصبروا لهم فداكم ابي وأمي ، وجعل يمر على راية راية فيقول اصبروا »[(٤)] .

كان عدد الابناء كبيرا ، فلما قتل طاهر علي بن عيسى وجّـه الأمـين «عبدالرحمن الابناوي في عشرين ألف رجل من الابناء ومعه الاموال ، وقوّاه بالسلاح والخيل ، وأجازه بجوائز ، وولاه حلوان الى ما غلب عليـه من أرض خراسان ، وندب معه فرسان الابناء وأهل البأس والنجدة والفناء منهم»[(٥)] .

ثم « ان محمدا (الأمين) وجّه احمد بن مزيد في عشرين ألف رجـل من الاعراب وعبدالله بن قحطبة في عشرين ألف رجل من الابناء وأمرهمـا

---

(١) الطبري ٣/٤٩٩ .
(٢) الطبري ٣/٨٤٩ .
(٣) الطبري ٣/٨٢٤ .
(٤) الطبري ٣/٨٣٠ .
(٥) الطبري ٣/٨٢٨ .

ان ينزلا حلوان » (٦) .

يظهر النصان المذكوران اعلاه دور الابناء في صد تقدم طاهر ، غير ان لهم أدوارا في مناطق أخرى ، فان الأمين لما ولّى عبدالملك بن صالح الشام والجزيرة «وجّه معه كنفا من الجند والابناء» . وقد اشتبكوا مع الزواقيل في قتال (٨) .

يذكر الجاحظ في كتاب «مناقب الاتراك» ان الابناء هم من أهل خراسان (٩) ، وأنهم كانوا مقربين الى الخلفاء « نحن بعد تربية الخلفاء ، وجيران الوزراء ، ولدنا في افنين ملوكنا ، ونحن اجنحة خلفائنا ، فأخذنا بآثارهم ، واحتذينا على مشاعهم ، فلسنا نعرف سواهم»(١٠)، ويذكر ميزاتهم في القتال ، وخاصة القتال على أبواب الخنادق وفي المضايق(١١) وأنهم كانوا مسيطرين في بغداد « لنا بغداد بأسرها »(١٢) .

ويبدو انهم بعد ان تضعضع سلطان الأمين انضموا الى طاهر بن الحسين ، ولكنهم لم يكونوا شديدي التأييد له ، فيروى المدائني ان الجند وثبوا بطاهر فغضب وأراد معاقبتهم ، وان «الجند لما شغبوا وانحاز طاهر ركب اليه سعيد بن مالك بن قادم ومحمد بن ابي خالد وهبيرة بن خازم في مشيخة من أهل الارباض ، فحلفوا بالمغلظة من الايمان انه لم يتحرك في هذه الايام أحد من ابناء الارباض، ولا كان ذلك من رأيهم ولا ارادوه، وضمنوا له صلاح نواحيهم من الارباض وقيام كل انسان منهم في ناحيته بكل ما يجب عليه حتى لا يأتيه من ناحية امر يكرهه .

---

(٦) الطبري ٣/٨٤٠ .
(٧) الطبري ٣/٨٤٣ .
(٨) الطبري ٣/٨٤٤ ، ٨٤٥ .
(٩) مناقب الاتراك ٢٥ ، ٣٤ .
(١٠) مناقب الاتراك ٢٨ .
(١١) مناقب الاتراك ٥٣ ــ ٥٤ .
(١٢) مناقب الاتراك ٢٥ .

واتاه عميرة ابو شيخ بن عميرة الاسدي وعلى بن يزيد في مشيخة من الابناء فلقوه بمثل ما لقيه به ابن ابي خالد وسعيد بن مالك وهبيرة ، واعلموه حسن رأى من خلفهم من الابناء وأن طاعتهم له ، وانهم لم يدخلوا في شيء مما صنع أصحابه في البستان ، فضمن لهم سعيد بن مالك عشرين ألف دينار وحملها اليه »[١٣] .

وفي قتال الافشين بابك « وانزل علويه الأعور من قواد الابناء في حصن مما يلي اردبيل يسمى حصن النهر ..» [١٤] .

ويذكر الطبري ان من أسباب انتقال المعتصم الى سامراء هو ان الأبناء كانوا يقتلون الترك ببغداد [١٥] .

وممن ذكر من الأبناء عبدالرحمن الأبناوي الذي أرسله الامين بعد علي ابن عيسى لمقاتلة طاهر [١٦] ، وعميرة الاسدي ، وعلي بن يزيد وهما من مشيخة الأبناء [١٧] ، وعلويه الأعور وهو من قوادهم [١٨] .

وكان ممن قادهم عبدالله بن حميد بن قحطبة [١٩] ، والحسين بن علي بن عيسى بن ماهان .

ولما كان عميرة (اسدي) وعبدالله بن حميد (طائي) من العرب ، فالراجح انهم ، أو معظمهم ، من العرب .

كان بعضهم ينظم الشعر بالعربية ، وقد روى الطبري بعض ما نظموه في بعض المناسبات [٢٠] . كما روى عن بعضهم اخبارا ومعلومات [٢١] .

---

(١٣) الطبري ٣/٩٣٦ .
(١٤) الطبري ٣/١١٧٢ .
(١٥) الطبري ٣/١١٨١ .
(١٦) الطبري ٣/٨٢٨ .
(١٧) الطبري ٣/٩٣٦ .
(١٨) الطبري ٣/١١٧٢ .
(١٩) الطبري ٣/٨٤٠ .
(٢٠) الطبري ٣/٨٤٥ .
(٢١) الطبري ٣/٨٣١ ، ٩٣٦ ، ٨٨٣ .

الأفــارقة

ذكر اليعقوبي قطيعة للأفارقة في الاطراف الشمالية الغربية خارج المدينة المدورة [٢٢] مما يدل على وجودهم في الجيش منذ أوائل انشاء بغداد ، غـير ان المصادر لم تحدد زمن قدومهم وانضمامهم الى الجيش ، كما انها لم تذكر من أي بلد من افريقية كان اصلهم [٢٣] .

وأول ذكر للأفارقة في الجيش العباسي هو في أخبار الحرب بين الأمين والمأمون، فيذكر الطبري انه عندما كان طاهر بن الحسين يحاصر بغداد «خرج الهرش والأفارقـة ، فكان طاهر يقاتلهم ، لا يفتر عن ذلك ولا يملّه ولاينى فيـه »[٢٤] .

ولما تقدم طاهر لحصار مدينة ابي جعفر « ثبت على قتال طاهر حاتم بن الصقر والهرش والأفارقة ، فنصب المجانيق خلف السور على المدينة وبازاء قصر زبيدة وقصر الخلد »[٢٥] .

ذكر الطبري انه استأمن الى طاهر « محمد بن عيسى صاحب شرطـة محمد وكان يقاتل مع الأفارقة وأهل السجون والاوبـاش ، وكان محمد بن عيسى غير مداهن في أمر محمد وكان مهيبا في الحرب »[٢٦] .

ان هذا النص يظهر ان محمد بن عيسى كان بامرته الأفارقة والقـوات الاخرى غير النظامية ، ولكنه لايذكر من هو قائد الأفارقة ، غير انه يتردد ذكر

---

(٢٢) البلدان ٢٤٩ .
(٢٣) يطلق العرب في الغالب اسم «افريقية» على البلاد التي نسميها اليـوم الجزائر والمغرب ، وكان ابو جعفر قد أرسل في أوائل سني توليه الخلافة قوات كبيرة للسيطرة عليها ، فلابد ان يكون هؤلاء الافارقة من تلك البلاد ، وانهم ليسوا من السودان الذين اشار الطبري الى وجودهم في جيـش ابى جعفر (٣٠٥/٣) ولم تذكر لهم خطة في بغداد .
(٢٤) الطبري ٨٧٣/٣ .
(٢٥) الطبري ٩٠٧/٣ .

محمد بن ابراهيم الافريقي (ابن الأغلب) والراجح انه كان قائدهم .

ان محمدا هو ابن ابراهيم بن الأغلب الذي ولاه الرشيد على افريقية(٢٧) وأسس فيها دولة الأغالبة التي كان لها دور كبير في شمال افريقية . وكان محمد بن ابراهيم أحد القواد الذين دخلوا على الأمين عندما انسحب الى مدينة السلام واخبروه ان لا أمل له بالنصر (٢٨) وقد ظل مخلصا في القتال الى جانب الأمين (٢٩) . ثم انضم فيما بعد الى المأمون ، وكان مع الحسن بن سهل عندما خرج لقتال ابى زنبيل حيث يقول الطبري « وبلغ الحسن بن سهل موت محمد ابن ابى خالد فخرج من واسط حتى انتهى الى المبارك فأقام بها ، فلما كان جمادي الاخر وجّه حميد بن عبدالحميد الطوسي ومعه عركو الاعرابي وسعيد ابن الساجور وابو البط ومحمد بن ابراهيم الافريقي وعدة سواهم من القواد فلقوا ابا زنبيل بفم الصراة فهزموه »(٣٠) .

ولما ثار ابراهيم بن المهدي في بغداد وطالب بالخلافة عندما كان المأمون في مرو ، أيده في ثورته محمد بن ابراهيم الأفريقي ، وسعى مع عدد من القواد في أخذ البيعة له ، ووعدوه ان يأخذوا له قصر ابن هبيرة (٣١) ، فلما عاد المأمون الى بغداد قضى على ثورة ابراهيم بن المهدي ، وتغلب على القواد المؤيدين لابراهيم ، ومنهم محمد بن ابراهيم الافريقي ، وقتلهم (٣٢) .

الاعراب :

ورد ذكر الأعراب في جيش العباسيين في زمن الأمين ، ولانعلم فيما اذا

---

(٢٦) الطبري ٨٨٢/٣ .

(٢٧) الطبري ٥٦١/٣ ، ٦٤٩ ؛ وانظر عن دولتهم : تاريخ المغرب العربي للدكتور سعدالدين زغلول .

(٢٨) الطبري ٩١٢/٣ .

(٢٩) الطبري ٩٥٦/٣ .

(٣٠) الطبري ١٠٠٥/٣ .

(٣١) الطبري ١٠١٨/٣ .

(٣٢) الطبري ١٠٧٥/٣ .

كان أول استخدامهم في ذلك الزمن ، أم انهم كانوا مستخدمين قبل هذا ، ولكن المصادر لم تشر اليهم .

والاعراب هم غير أهل الكوفة والبصرة والشام ، ووجودهم دليل على ان الجزيرة ظلت تمد الدولة بالرجال المقاتلة ، وان كان عددهم أقل من السابق .

ورد ذكر الأعراب في الجيش الذي أرسله الأمين مع علي بن عيسى لقتال طاهر بن الحسين قائد الجيش الذي ارسله المأمون ضد الأمين ، وعندما نصح مستشارو طاهر ان يتحصن بالري قال لهم طاهر : ان الرأي ليس ما رأيتم : ان أهل الري لعلى هائبون ومن معرته وسطوته متقون ، ومعه من قد بلغكم من أعراب البوادي وصعاليك الجبال ولفيف القرى »[٣٣] .

ولما شغب الجند ببغداد بعد مقتل علي بن عيسى « واجتمعوا فتوافوا الى باب الجسر وكبروا فطلبوا الارزاق والجوائز ، وبلغ الخبر عبدالله بن خازم فركب اليهم في أصحابه وفي جماعة غيره من قواد الأعراب ، فتراموا بالنشاب والحجارة واقتتلوا قتالا شديداً » . ولما سمع الامين انهم لا يريدون غير الارزاق « قال ما أهون ما طلبوا ارجع الى عبدالله بن خازم فمره فلينصرف عنهم ، ثم أمر لهم بأرزاق أربعة أشهر ورفع مع من كان دون الثمانين الى الثمانين »[٣٤] .

ثم وجّه محمد أحمد بن مزيد في عشرين ألف رجل من الاعراب ، وعبدالله بن حميد بن قحطبة في عشرين ألف رجل من الابناء وأمرهما ان ينزلا حلوان [٣٥] .

انقطع ذكر الاعراب بعد هذا ، ولكن ورد ذكر احد قوادهم في زمن

(٣٣) الطبري ٣/٨٢٧ .
(٣٤) الطبري ٣/٨٢٧ .
(٣٥) الطبري ٣/٨٤٠ .

المأمون ، مما قد يدل على وجودهم انذاك ، فيروى الطبري ان الحسن بن سهل بلغه موت محمد بن ابى خالد فخرج من واسط حتى انتهى الى المبارك فأقام بها، فلما كان جمادي الآخر وجه حميد بن عبدالحميد الطوسي ومعه عركو الاعرابي وسعيد بن الساجور وابو البط ومحمد بن ابراهيم الافريقي وعدة سواهم من القواد فلقوا أبا زنبيل بفم الصراة فهزموه »[٣٦] •

ويبدو ان الأعراب كانوا يستخدمون كثيرا في الشام[٣٧]، وقد ذكر منهم « حبيب بن جهيم النمري الاعرابي في أصحابه»[٣٨] ، ومن المعلوم ان بني نمير كانوا من عشائر الجزيرة •

الأتـراك :

وردت اشارات قليلة الى استخدام الأتراك في الجيش العباسي ببغداد ، ومن هذه الاشارات ان زهير التركي مولى خزاعة كان على همدان [٣٩] وان حماد التركي تقلد السواد لابى جعفر المنصور [٤٠] ، ومبارك التركي الذي كان ممن اسعف خالد البرمكي بألف ألف درهم عندما ألزمه المنصور بثلاثة الآف ألف [٤١] ، وشاكر التركي وكان من القواد الذين ضرب خالد البرمكي عنقه عندما شغب عليه الجند في فارس [٤٢] •

ان هذا العدد القليل من الاشارات لاتتناسب مع ما يذكره اليعقوبي لأهل ما وراء النهر من الاقطاعات في الجانب الغربي من بغداد •

---

(٣٦) الطبري ٣/١٠٠٥ •
(٣٧) الطبري ٣/٨٤٤ •
(٣٨) الطبري ٣/٨٦٦ •
(٣٩) الطبري ٣/١١٩ •
(٤٠) الوزراء والكتاب للجهشياري ١٣٤ •
(٤١) الوزراء والكتاب ١٠٠ •
(٤٢) الوزراء والكتاب ١٥١ •

تنظيم الجيش وصنوفه القتالية

لابد للجيش ، وهو يضم أعدادا كبيرة من الرجال ، أن يكون له تنظيم خاص ييسر السيطرة عليه وتوجيهه وتمكينه من المشاركة في المعارك والانتصار فيها • ويمكن تصنيف تنظيم الجيش الى صنفين أساسيين ، أحدهما التنظيم الذي يتطلبه الاعداد لدخول المعارك ، وهو يتوقف على الأوضاع العامة في كل معركة ؛ الثاني هو التنظيم في أوقات السلم الاعتيادية ويكون تبعاً للاسلحة التي يستعملها ، أو القادة الذين يسيطرون عليه ، أو الوحدات العرقية التي ينتمون اليها ، أو النظم المالية التي تسير عليها الدولة •

فأما في القتال فان الجيش يتبع في تنظيمه ما تتطلبه المعارك من نفيضة وطليعة وقلب وجناحين ومؤخرة ؛ يتوقف أعداد أفراد كل منها على تقدير القائد لما تتطلبه مقتضيات المعركة ؛ وقد يراعى القائد في هذا التوزيع الأسس القبلية ، فيضع أفراد القبيلة الواحدة معاً في الجهة التي يراها ، غير أن هذه الأسس القبلية غير حتمية ، فقد يوضع أفراد أكثر من قبيلة في جهة من توزيع القوات ، أو قد يقسم أفراد القبيلة الواحدة على أكثر من جهة •

ونظراً لأهمية الاسلحة في المعارك ، فان من الأسس المعروفة هو تنظيم صنوف الجيش على أساسها ، فيكون الجيش من الرجالة والفرسان ، وقد يتبع ذلك صنوف أخرى من رماة المجانيق والات الحصار والخدمات الاخرى ، بالاضافة الى البحرية • ان هذا التصنيف ذو أهمية خاصة في المعارك حيث يجعل الفرسان وحدة قتالية تتخذ مواقعها تبعا لمقتضيات المعركة • وقد يمتد هذا التصنيف الى أيام السلم ودفع العطاء الذي يكون عادة للفرسان اكثر مما للرجالة •

يظهر من الكتب التي وصفت تنظيم ديوان الجيش وسجلات المقاتلة ، ان التصنيف الاساسي يقوم على أساس «الرجالة والفرسان» حيث ذكروا

تفاصيل دقيقة عن مايجب تسجيله من الحلي والشيات لكل منهما ، مما يظهر أهمية هذا الاساس في اختلاف مقدار الارزاق لكل منهما •

تصنيف الرجالة تبعا لاسلحتهم

يتكون عظم الجيش عادة من الرجالة ؛ ولذلك فان تنظيمهم في أوقات السلم والحرب ذو أهمية كبيرة ؛ ومع ان الرجالة صنف يتميز عن الفرسان الا ان تنوع أسلحتهم يتطلب تنظيمهم تبعاً لنوع السلاح الذي يستخدمونه ؛ ومن المحتمل ان هذا يرافقه تنوع في التنظيم ، وربما في الرزق والعطاء •

ورد في نص يتعلق بالمقاتلة المرافقين لعبدالله بن علي بن العباس في بلاد الشام أنواع الاسلحة المستعملة ، واشارة الى ان هؤلاء المقاتلة كانوا مصنفين تبعاً لنوع السلاح الذي يستخدمونه • فيروى محمد بن خلف بن المرزبان عن محمد بن هارون ابي نشيط عن الفريابي ان الاوزاعي قال ان عبدالله بن علي « لما قدم الشام وقتل بني أمية جلس يوما على سريره وعبّى أصحابه أصنافاً : صنف بالسيوف المسلّلة ، وصنف معهم الجُرَزَة ، وصنف معهم الأعمدة ، وصنف معهم الكافركوبات» (١) •

ان هذا النص يصف أسلحة الرجالة ممن كانوا مع عبدالله بن علي في دمشق ، وهي أربعةأصناف : السيوف، والجُرَزَة ، والأعمدة والكافركوبات•

فأما السيوف فهي السلاح الأساسي الذي يتجهز به الرجّالة والفرسان وهو الأعم استعمالا ، ولايدخل في بحثنا هذا أنواع السيوف المستعملة ومصادرها وصناعاتها (٢) ، وانما نقتصر على ذكر اشارة الجاحظ الى ان صنع السيوف كان يتم بعمليات يتخصص كل منها بجزء من أجزاء السيف ، غير

---

(١) الذهبي : تذكرة الحفاظ ١٨١/١ ؛ سير أعلام النبلاء ١٢٨/٧ .
(٢) في كثير من كتب اللغة فصول خاصة عن السيوف ؛ وقد اعتمد عليها شوارزلوس في كتابه عن أسلحة العرب ؛ وانظر أيضا : الفن الحربي في =

ان الترك لم تكن لهم هذه التخصصات ، فكان التركي يصنع سيفه بكافة أجزائه دون تخصص في الصنع [٣] .

أما الجـُرَز ، فقد ذكرت في القرآن الكريم بمعنى الأرض المجدبة [٤] ، وذكر الجاحظ أن أصحاب السلطان «منهم من يلبس البازبكند ويعلق الخنجر ويأخذ الجرز ويتخذ الجمّة» [٥] ، ويقول اين منظور أن الجرز هو السيف الماضي الحاد [٦] ، وذكر الطبري أن أنوشروان قرر أن «الذي يؤخذ من الفارس من الجند تجافيف ودرعا وجوشنا وساقين وسيفا ورمحا وترسا وجرزا تلزم منطقته ، وطبرزينا أو عمودا ، وجعبة فيها قوسان ووتريهما وثلاثين نشابة ، ووترين مضفورين يعلقهما الفارس في مغفر له ظهريا »[٧] ؛ وهذا يدل على أن الجرز هو غير السيف ، ولعله من الالآت القاطعة القصيرة ؛ غير انه ليست لدينا عنها تفاصيل .

أما العـُمـُد فقد وردت عنها اشارات غير قليلة ، فبالاضافة الى ذكرها في تجهيزات الفارس في زمن أنوشروان ، فان المسعودي يذكر أن الخليفة المهدي «أول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة والأعمدة المشهورة والقسي الموتورة ، فسلكه عمّا له من بعده واتبعوا نهجه »[٨] ، ويروى ابن أبى

=

صدر الاسلام لعبد الرؤوف عون ؛ السيف في الاسلام لعبدالرحمن زكي . وكتاب لومبارد عن المعادن عند المسلمين (بالفرنسية) وانظر قائمة واسعة في المصادر في كتاب «التراث العسكري عند العرب» للاستاذ كوركيس عواد . وقد نشر للكندي كتابان احدهما «رسالة في السيوف» والثاني «رسالة في صنع السيوف» .

(٣) مناقب الأتراك .

(٤) سورة السجدة ٧ ، سورة الكهف ٨ .

(٥) البيان والتبيين ١١٥/٣ .

(٦) لسان العزب ١٨١/٧ ، وانظر المحيط للفيروزابادي ١٦٩/٢ .

(٧) الطبري ٩٦٤/١ .

(٨) مروج الذهب ٢٢٤/٣ .

ذئب أن المنصور استدعاه غاضبا «والسيف بيد المسيب ، والعمود بيد مالك ابن الهيثم»[٩] ، ويذكر اليعقوبي «قطيعة مرزبان ابى أسد بن مرزبان الفاريابي وأصحابه أصحاب العمد[١٠] ، وهذا يظهر ان حاملي العمد كونوا وحدة ، ولهم خطة خاصة ، غير ان المصادر لم تذكر ماهية هذا السلاح الذي لابد انه كان يختلف عن القنا والمطارد التي ذكر الجاحظ انها من اسلحة الخراسانيين والترك والعرب [١١] .

أما الكافركوبات فقد تردد ذكرها في المصادر ، وأقدم اشارة اليها وردت من زمن المختار حيث يذكر الطبري أنه أرسل الى مكة مائة وخمسين « معهم الكافركوبات ، وهم ينادون يالثارات الحسين »[١٢] .

وذكر الجاحظ أن من أسلحة الخراسانيين «الكافركوبات والطبرزينات في الأكف ، والخناجر في الأوساط والسيوف »[١٣] .

وذكر الدينوري « انجفل الناس مع ابى مسلم من هراة وبوشنج ومروالروذ والطالقان ومرو ونسا وابيورد وطوس ونيسابور وبلخ والصغانيان والطخارستان وختلان وكش ونسف . فتوافدوا جميعا مسودين الثياب ، وقد سودوا انصاف الخشب التي سموها الكافركوبات»[١٤] .

وذكر المسعودي أن خالد بن صفوان حرّض السفاح على اتخاذ زوجة على أم سلمة ، فأرسلت أم سلمة « الى خالد جماعة من البخارية ومعهم الكافركوبات وأمرتهم أن لايتركوا منه عضواً صحيحاً »[١٥] .

---

(٩) تاريخ الخطيب ٢/٢٩٩ .
(١٠) كتاب البلدان ٢٤٩ .
(١١) مناقب الاتراك ٣/١٨٧ ، ٢١٠ .
(١٢) الطبري ٢/٦٩٤ .
(١٣) مناقب الاتراك ٣/١٧٨ .
(١٤) الأخبار الطوال ١٦٦ (طبعة وزارة الثقافة المصرية) .
(١٥) مروج الذهب ٣/٢٦٢ .

وذكر وكيع « أول من مشى بين يديه بالكافركوبات الحجاج بن أرطاة (قاضي البصرة) »[١٦] .

وذكر الأزدي «أصحاب ابى عون (الجرجاني) بالعصي والكافركوبات »[١٧] .

وذكر الطبري أنه في سنة ٢٥٢ «أمر محمد بن عبدالله (والي بغداد) ، أن يتخذ لعياري أهل بغداد كافركوبات ، وان يصيّر فيها مسامير الحديد ويجعل ذلك في دار المظفر بن سبل ، لأنهم كانوا يحضرون القتال بغير سلاح »[١٨] ، وعندما أخذ العيارون الكافركوبات تفرقوا على أبواب بغداد [١٩] ، وان العيارين «وكان معهم الترسة وبواري مقيّرة وسيوف وسكاكين في مناطقهم ، ومعهم الكافركوبات»[٢٠] .

يتبين من هذه النصوص أن الكافركوبات أسلحة من الخشب ، وهي كالعصي ، وقد توضع فيها مسامير حديد ، وأنها من أسلحة الأعاجم ، وقد استعملها بعض مؤيدي المختار ، وان عددا ممن ناصر الثورة العباسية في خراسان كانوا يستعملونها عندما انضموا الى الثورة العباسية ، وكذلك استخدمها البخارية في زمن خلافة أبى العباس ، وأن محمد بن عبدالله بن طاهر جهّز بها العيارين ، غير أن عدم ذكرها من أسلحة المعارك يرجح أنها لم تكن من الاسلحة الاساسية للجيش ، وأن حملتها لم يكوّنوا وحدة عسكرية .

ذكرنا أن الطبري قال ان أصحاب المختار الذين أرسلهم الى مكة كان

---

(١٦) أخبار القضاة ٥٣/٢ .
(١٧) تاريخ الموصل للازدي ١٣٣ .
(١٨) الطبري ١٥٨٦/٣ .
(١٩) الطبري ١٥٨٧/٣ .
(٢٠) الطبري ١٨٥٩/٣ .

«معهم الكافركوبات »[٢١] ؛ غير أن المصادر الاخرى ذكرت أنهم كانوا يحملون الخشب ، فيذكر البلاذري «كان أصحاب المختار يسمون الخشبية ، لأن اكثرهم كانوا يقاتلون بالخشب ، ويقال انهم سموا الخشبية لأن الذين وجههم المختار الى مكة لنصرة ابن الحنفية اخذوا بأيديهم الخشب الذي كان ابن الزبير جمعه ليحرق به ابن الحنفية وأصحابه فيما زعم ، ويقال بل كرهوا دخول الحرم بسيوف مشهورة فدخلوه ومعهم الخشب ولم يسلّوا سيفاً »[٢٢] ٠

وذكر ابن سعد أن محمد بن الحنفية حج « في الخشبية معه ، وهم أربعة الاف نزلوا الشعب الايسر من منى»[٢٣] ٠

وذكر المسعودي أن المختار كان معه « خلق كثير من الشيعة قد سموا الخشبية من الكيسانية وغيرهم »[٢٤] ، وذكر الطبري أن عثمان الخشبي «كان من أولاد الخشبيبة الذين كانوا مع المختار »[٢٥] ٠

وذكر المسعودي أنه بعد استسلام المختار «نزل من بقي من أصحاب المختار نحو ستة آلاف على حكم مصعب فقتلهم جميعا ، وكانوا يسمون الخشبية »[٢٦] ٠

وذكر ابن سعد أن المختار أرسل لمقاتلة اياس بن مطيع أربعين رجلا من أصحابه في عصابة من الخشبية [٢٧] ٠

وذكر ابن قتيبة أن جيش ابراهيم بن الأشتر في معركة الخازر « كان

---

(٢١) الطبري ٢/٦٩٤ ٠
(٢٢) انساب الاشراف ٢/٢٨٥ ؛ ٥/٢٣١ ٠
(٢٣) ابن سعد ٥/٧٦ ٠
(٢٤) مروج الذهب ٣/٩٩ ٠
(٢٥) الطبري ٢/١٧٩٨ ٠
(٢٦) التنبيه والاشراف ٢٧١ ٠
(٢٧) ابن سعد ٥/١٠٩ ٠

عامة سلاحهم ذلك اليوم الخشب » ، وأنهم لذلك سموا الخشبية [٢٨] .

ويذكر الاصفهاني ان المهلب بن ابى صفرة عندما قاتل أنصار المختار الذين اعتصموا في نصيبين قال « أيها الناس لايهولنكم هؤلاء القوم ، فانما هم العبيد بأيديهم العصي »[٢٩] .

ان المصادر رددت أن سلاح الخشبية كان «الخشب» ، ولم تذكر أنه «القنا» أو «العمد» ، مما يدل على ادراكهم اختلافه عن السلاحين الأخيرين .

ان النصوص المتعلقة بالمختار تذكر أن أصحابه كانوا يسمون «الخشبية» ، وقد خصّت بعض النصوص الخشبية بالكيسانية ، فيذكر المسعودي أن الذين قدموا مكة لنصرة محمد بن الحنفية كانوا كيسانية [٣٠] .

وبصرف النظر عن الأفكار والمعتقدات ، فانه يمكن القول بأن الخشبية تركزت على أتباع كيسان الذين سموا «الخشبية» ، ثم عممتها بعض المصادر على كل أصحاب المختار .

مرّت حركة المختار ، رغم قصر مدتها ، بتطورات كثيرة ، فقد أيّد حركته عند بدء قيامها كثير من العشائر العربية وأشرافها ، ثم انفضوا عنه عند عندما قرب الموالي وجعلهم عماد قوته ، رغم أنه لم يعدم مناصرين من العرب ؛ ولما كان العرب غير معروفين باستخدام العمد والخشب في القتال ، فالراجح أن أنصاره من الموالي هم الذين استخدموا الخشب فأصبح ذلك شعارا لهم . والواقع أنه وردت اشارات كثيرة الى الموالي وكثرة عددهم في الكوفة ، والى أهميتهم [٣١] ، وكانت أكبر مجموعة من الأعاجم في الكوفة هم «حمراء

---

(٢٨) المعارف ٢٦٧ ؛ وانظر البدء والتاريخ للمطهر المقدسي ١٢٣/٥ .
(٢٩) الأغاني ٥٠/٦ (طبعة دار الكتب) .
(٣٠) مروج الذهب ٧٧/٣ .
(٣١) انظر «الخلافة الاموية» للدكتور عبدالامير دكسن ٨٨ فما بعد ، ١٠٥ ، ١٠٨ .

الديلم» ، ولعلهم كانوا أكثر من انضم الى المختار ، وأنهم هم الذين كانوا يقاتلون بالخشب ، اما منذ زمن الساسانيين أو بعد انضمامهم الى العرب •

ذكرنا أن التصنيف الرئيس للمقاتلة هو الرجالة والخيالة ، وقد ذكر الجاحظ براعة الخراسانيين والأتراك في ركوب الخيل ، أما العرب فلا حاجة لايراد النصوص الكثيرة عن براعتهم في ركوب الخيل وعنايتهم بها • غير انه ليس في اخبار خطط بغداد مايدل على ان الجند نظموا في سكناهم على أساس أسلحتهم ، أو أنه خصصت للفرسان خطط خاصة ، ولا ذكرت فيها ساحات لسباق الخيل والتدريب عليها ، سوى رقعة خصصت للاصطبلات •

ذكر الجاحظ أن «جند الخلافة» اليوم على خمسة أقسام : خراساني ، وتركي ، ومولي ، وعربي ، وبنوي »[٣٢] ، ومع أن كلامه يخص الجيش العباسي ابان اقامة الخلفاء في سامرا ، الا أن خطط بغداد تظهر أن هذا التركيب كان قائما منذ تأسيس بغداد •

جاءت في بعض الكتب اشارات الى تنظيم الجيش العباسي على أساس العرافات فذكر المسعودي أنه ابان حصار طاهر بن الحسين بغداد ، قاتل عدد مع الأمين ونظموا «على كل عشرة منهم عريف ، وعلى كل عشرة عرفاء نقيب ، وعلى كل عشرة نقباء قائد ، وعلى كل عشرة قواد أمير»[٣٣] ، وذكر البلاذري أنه في ملطية كانت «العرافة عشرة نفر الى خمسة عشر»[٣٤] ، ومما يظهر أن القواد على ألف ماذكره الطبري أن الجيش الذي أرسله المنصور لقتال محمد النفس الزكية كان فيه « خالد بن حسان كان يدعى أبا العساكر ، على ألف رجل»[٣٥] •

---

(٣٢) مناقب الاتراك ٣/١٦٧ .
(٣٣) مروج الذهب ٣/٤٠٣ .
(٣٤) فتوح البلدان ١٨٦ .
(٣٥) الطبري ٣/١٥٧ .

ووردت اشارات الى الألوية التي كانت تعقد للقواد «مكتوب عليها بصفرة مايكتب على الالوية»[٣٦] ، ويذكر الطبري ان الامين «عقد نحوا من أربعمائة لواء لقواد شتى وأمّر على جميعهم محمد بن عيسى بن نهيك»[٣٧]. وذكر أيضا مايدل على أنه كان لكل راية ألف ، فقال انه عندما تقدم علي بن عيسى بن ماهان لمقاتلة طاهر بن الحسين «صيّر عشر رايات ، في كل راية ألف »[٣٨] .

ان هذا التنظيم ذو فائدة في التقدم الى المعارك والاستعداد لها ، كما أنه يفيد في التنظيم أثناء السلم للاستيطان وتوزيع العطاء ، ومن المحتمل أن الذين ذكر اليعقوبي اقطاعاتهم مع قوادهم ، كان كل منهم يبلغ حوالي ألف مقاتل ، وهو يقارب العدد الذي كانت عليه العرافات العربية في البصرة والكوفة منذ أوائل العصر الأموي .

يروي الخطيب ان المنصور لما بنى بغداد «كان على أبواب المدينة مما يلي الرحاب ستور وحجاب ، وعلى كل باب قائد ، فكان على باب الشام سليمان ابن مجالد في ألف ، وعلى باب البصرة ابو الأزهر التميمي في ألف ، وعلى باب الكوفة خالد العكي في ألف ، وعلى باب خراسان مسلمة بن صهيب الغساني في ألف»[٣٩]، أي ان القوات التي وضعت علىالأبواب لحماية المدينة كان يبلغ عددها أربعة آلاف ؛ والراجح ان هذه القوات هي جزء من القوة العسكرية التي أقيمت في بغداد ؛ ومما تجدر ملاحظته هو أن المصادر لم تذكر لأي من هؤلاء القواد اقطاعا في الارباض ، فالراجح ان مقامهم والقوات التي بامرتهم كانت داخل المدينة المدورة .

---

(٣٦) الطبري ١٠٩٦/٣ .
(٣٧) الطبري ٨٦٥/٣ .
(٣٨) الطبري ٨٢٧/٣ .
(٣٩) الخطيب ٧٧/١ .

ان نص الخطيب يظهر ان كل قائد كان على ألف ، ويبدو ان هذا النظام هو الذي كان معمولا به في خراسان عند اعلان الثورة العباسية ، فقد ذكرنا من قبل ماذكره كتاب «أخبار بني العباس» عن امداد ابى مسلم قحطبة بقواد مع قوات يتبين منها ان كل قائد كان على ألف [٤٠] ويلاحظ ان المنصور ارسل الى افريقية ابن الاشعث على اربعين ألفا ، منهم ثلاثون ألفا وعليهم ثمانية وعشرون قائدا ، أي ان كل قائد كان على حوالي ألف .

ذكرت المصادر أسماء من سميت بعض دروب المدينة باسمائهم ، ومن اقطعوا في أطرافها وفي الارباض ، ونصت على أن بعضهم كان قائدا ، غير أنها لم تذكر أسماء كافة القواد .



(٤٠) أخبار بني العباس ٣٣٧ ، ٣٥١ .

الفصل الثامن

تنظيم اسكان الجند

الأرباع والأرباض والقطائع والدروب

تحيط مدينة المنصور المدورة أراضي منبسطة خالية من العوارض الارضية لم يضع لها ابو جعفر المنصور أسوارا أو يحفر لها خنادق ، لذلك كان فيها مجال واسع لامتداد السكن . غير أن قلة وسائل المواصلات آنذاك كانت تلزم الناس بتجنب الابتعاد عن المراكز الحيوية من الأسواق ومراكز الادارة ؛ وكانت للأنهار أهمية كبيرة من تقرير امتداد السكان والاعمار ، وكانت الأطراف الجنوبية من مدينة المنصور يخترقها نهر الرفيل (نهر عيسى) الذي يتفرع منه الصراة ، وكرخايا ، وطابق ، وما يتفرع منها من الانهار .

يذكر اليعقوبي أن الجانب الغربي «وهو جانب المدينة ، وجانب الكرخ وجانب الأرباض ، وفي كل طرف منه مقبرة وقرى متصلة وعمارات مادة»[1].

وعندما أسس المنصور مدينته كانت في منطقتها عدة قرى ، ففي أطرافها الجنوبية كانت بغداد أو المباركة التي شيدت فيها المدينة المدورة[2]، والعتيقة[3] وبراثا ، وبناورى وورثالا[5] ، والشرقية [6] ، وشال قفا [7] .

---

(١) البلدان ٢٥٠ .
(٢) الطبري ٢٧٨/٣ ؛ الخطيب ٢١/١ ؛ ابن الفقيه ٤٢ .
(٣) ابن الفقيه ٤٣ ، ٤٦ .
(٤) الخطيب ٩١/١ ؛ ابن الفقيه ٤٩ .
(٥) الخطيب ٨٨/١ ؛ ابن الفقيه ٤٣ ؛ الطبري ٢٧٨/٣ .
(٦) ابن الفقيه ٤٦ .
(٧) الخطيب ٩١/١ ؛ ابن الفقيه ٤٦ .

وقد أدى نقل الأسواق من المدينة المدورة الى المنطقة الجنوبية ، وماتلاه من اعمار ، الى تحول هذه القرى الى مناطق سكنية مزدحمة ولم يبق من آثارها الا الدير العتيق عند قرن الصراة ، وبعض بساتين النخيل عند نهر طابق، كما بقيت أسماء هذه القرى في الدواوين •

أما الاطراف الغربية والشمالية من المدينة المدورة ، فكان يخترقها خندق طاهر الآخذ من الصراة ، وذنائب الدجيل والأنهار الآخذة منه ، ويبدو أن المياه كانت متوفرة في هذه الأطراف بدليل تعدد القرى والمزارع التي كانت فيها قبل تأسيس بغداد ؛ وقد ظل كثير من بساتينها ومزارعها قائمة حتى أوائل القرن الرابع على الأقل •

ومن القرى التي في الأطراف الغربية قرية الترابية التي يمتلك أهلها شارع الأنبار [٨] •

« وكان الى جانب باب الشام قرية يقال لها الخطابية على باب درب النورة الى درب الأقفاص ، وكان بعض نخلها في شارع باب الشام الى أيام المخلوع (الأمين) في الطريق ، حتى قطع في أيام الفتنة ، وكانت الخطابية هذه لقوم من الدهاقين يقال لهم بنو فروة ، وبنو فنورا »[٩] •

وعند مربعة أبى العباس الطوسي كانت قرية لدهاقين يقال لهم بنو زراري وكانت القرية تسمى الوردانية [١٠] ، وقرية الدهقان هذا «قائمة الى اليوم •• وقباب القرية قائم بناؤها الى اليوم ، وداره ثابتة على حالها »[١١] •

وكانت دار سعيد بن الخطيب «قرية يقال لها شرقانية • ولها نخل قائم الى اليوم مما يلي قنطرة ابى الجون ، وأبو الجون من دهاقين بغداد من أهل

---

(٨) الخطيب ١/١ ؛ ابن الفقيه ٤٢ •
(٩) ابن الفقيه ٤٢ ؛ الطبري ٢٧٨/٣ •
(١٠) ابن الفقيه ٤٢ ، الطبري ٢٧٩/٣ •
(١١) ابن الفقيه ٣١ ؛ الطبري ٢٧٤/٣ •

هذه القرية »[١٢] ، ولعلها هي القرية التي ذكر انها «قائمة الى اليوم مما يلي مربعة أبى فروة »[١٣] ٠

وكانت دار عمارة بن حمزة «من قبل أن تبنى بغداد بستانا لبعض ملوك الفرس »[١٤] ٠

ان بقاء مزارع وأبنية هذه القرى يدل على أن الاسكان بعد بناء بغداد لم يشغل كل الأرض التي كانت هناك ، وانما بقيت مساحات من الأرض لم تشغلها المساكن ، ومما يؤيد ذلك المقابر المتعددة التي اتخذت في أطراف المدينة منذ أوائل سني بناء بغداد ٠

لقد ذكرنا أعلاه أن بعض هذه القرى كان يمتلكها دهاقين ، ومن المحتمل وجود أراضي خالية من الزراعة ، وقد وردت اشارات الى تعويض دفعه المنصور لأصحاب بعض هذه الأراضي ، فالارض التي شيدت عليها المدينة المدورة «كانت لستين نفسامنالبغداديين فعوضهم (المنصور) عنها عوضا أرضاهم»[١٥] ٠

ويذكر الخطيب «ان المنصور كان ابتاع من السرى بن حطمة مابين قنطرة البردان الى الجسر (في الجانب الشرقي) وأنه لم يقبض ثمن ذلك منه ، ورفع في ذلك الى الرشيد والى المأمون فلم يعطياه»[١٦] ، ولعل بعض هذه الأراضي كانت صوافي ٠

وعلى أي حال فان المنطقة القريبة من سور المدينة كانت فيها اقطاعات كثيرة مما يدل على كثافة أعمارها ، أما المناطق التي خارجها فكان فيها كثير من المزارع والأراضي الخالية ٠

---

(١٢) الخطيب ١/٨١ ؛ ابن الفقيه ٤٢ ـ ٤٣ ؛ الطبري ٣/٢٧٩ ٠
(١٣) ابن الفقيه ٤٢ ؛ الطبري ٣/٢٧٩ ٠
(١٤) ابن الفقيه ٤٩ ٠
(١٥) الخطيب ١/٢١ ؛ الطبري ٣/٢٧٨ ٠
(١٦) الخطيب ١/٢٢ ٠

الأرباع والتقسيم الربــاعي

ذكر اليعقوبي أن المنصور عندما بدأ ببناء بغداد «قسم الأرباض أربعــة أرباع ، وقلّد للقيام بكل ربع رجلا من المهندسين ، وأعطى أصحاب كل ربــع مبلغ ما يصيّر لصاحب كل قطيعة من الذرع ، ومبلغ ذرع ما لعمل الأســواق في ربض ربض .

فقلد الربع من باب الكوفة الى باب البصرة وبــاب المحــول والكرخ وما اتصل بذلك كله : المسيب بن زهير والربيع مولاه وعمران بن الوضّــاح المهندس .

والربع من باب الكوفة الى باب الشام وشارع طريق الأنبار الى حــد ربض حرب بن عبدالله : سليمان بن مجالد ، وواضحا مولاه ، وعبدالله بــن محرز .

والربع من باب الشام الى ربض حرب ، وما اتصل بربض حرب وشــارع باب الشام وما اتصل بذلك الى الجسر على منتهى دجلة : حرب بن عبداللــه وغزوان مولاه والحجاج بن يوسف المهندس .

ومن باب خراسان الى الجسر الذي على دجلة ماداً في الشارع على دجلة الى البغيين وباب قطريل هشام بن عمرو التغلبي وعمارة بن حمزة وشهــاب ابن كثير المهندس »(١٧) .

نظم اليعقوبي بحثه عن خطط الأرباض فقسمها أرباعــا ، ووصف كل ربع على الترتيب الذي ذكره ، وأعاد ذكر المشرفين على العمل والمهندســين في الربع من باب الكوفة الى باب البصرة (١٨) ، ومن باب الكوفة الى بــاب

---

(١٧) البلدان ٢٤١ ــ ٢٤٢ .
(١٨) كذلك ٢٤٧ .

الشام [١٩] ، والربع من باب الشام الى ربض حرب [٢٠] ، ثم الربع من بـاب خراسان [٢١] .

وذكر الجهشياري أن المنصور لما بنى بغداد «قسمها أرباعاً ، فجعل الربع الاول الى أبى أيوب وزيره ، والربع الثاني الى عبدالملك بن حميد كاتبه .. والربعين الأخرين الى الربيع والى سليمان بن مجالد »[٢٢] .

ان التقسيم الى أربعة أرباع يتسق مع الأبواب الأربعة التي جعلها المنصور لمدينته المدورة ، والتي جعل على كل باب منها قائد في ألف [٢٣] .

وقد اتبع المنصور التقسيم الرباعي في المدينة المدورة نفسها ، فـيروى الطبري أن المنصور « أمر فخطت المدينة ، ووكل بها أربعة قواد ، كل قـائد بربـع » [٢٤] .

وكانت الكعبة مربعة ، ويروى الزبير بن بكار ان حميد بن زهير أول من ربّع بيتا بمكة ، كانت قريش تبني الاجام ، وتكره ان تضـاهي بنـاء البيت والتربيع ويخافون العقوبة ، حتى ربع حميد بن زهير داره [٢٤أ] .

ويروى الطبري ان قصياً قسم مكة أرباعا [٢٥] ، ولعلها أصل كلمة الرباع التي استعملها الازرقي ، لما يقابل المحـلات ، أو الخطـط ووردت كلمـة « الربعة » في صحيفة الرسول (ص) لأهل المدينة التي عدّد فيها كثيرا مـن عشائر المدينة وهي تشبه كلمة quartier الفرنسية .

وكانت بلاد الشام مقسمة الى أربعة أجناد هي دمشق ، وحمص ، وفلسطـين والأردن ، ثم اضيفت اليها في زمن خلافة معاوية قنسرين ، وكان جيش الشام

---

(١٩) كذلك ٢٤٨ .
(٢٠) كذلك ٢٤٩ .
(٢١) كذلك ٢٤٩ .
(٢٢) الوزراء والكتاب ١٠٠ .
(٢٣) الخطيب ١/٧٧ .
(٢٤) الطبري ٣/٢٧٨ .
(٢٤ أ) نسب قريش للزبير بن بكار ٤٤٣ .
(٢٥) الطبري ١/١٠٩٧ .

«ينزلون أرباعا»[٢٦] ، وانزل مسلمة بن عبدالملك مدينة الباب العرب وقسمهم أرباعـاً [٢٧] .

وكانت الكوفة منذ أن أعاد زياد في زمن خلافة معاوية مقسمة الى أرباع ، وعلى كل ربع رئيس ؛ وتردد ذكر أرباع الكوفة ورؤسائها في الحـوادث

وكان أقليم خراسان بعد الفتح مقسما الى أربعة أرباع [٢٨] ، وظل هذا التقسيم الرباعي متبعا في القرون التالية [٢٩] .

وكانت نيسابور مقسمة الى أربعة أقسام [٣٠].

ووردت اشارات الى الأرباع في بغداد ، فذكر الطبري أن الرشـيد لما عزم على القبض على البرامكة كتب الى مسرور مولاه «.. فاجمع ثقـات أصحابك وأرباعك،ومرهم ان يكونوا واعوانهم على أهبة، فاذا انقطعت الرجل فصر الى دور البرامكة ، فوكل بكل باب من أبوابهم صاحب ربع ، ومره أن يمنع من يدخل ويخرج »[٣١] .

ويذكر أيضا أن المأمون عندما توترت العلاقة بينه وبين أخيه الأمين سكّ دنانير ودراهم ليس فيها اسم الأمين «وكان يقال لتلـك الدنـانير والدراهم ارباعية ، فكانت لاتجوز حيناً»[٣٢] .

---

(٢٦) تاريخ دمشق ٢٦١/١ . ويذكر البلاذري ان الجنـد في انطـاكية كانوا أرباعا . فتوح البلدان ١٤٨ .
(٢٧) تاريخ ابن الاعثم ١٩٣ .
(٢٨) الطبري ٧٩/٢ ، فتوح البلدان ٢٠٩ .
(٢٩) انظر : ابن الفقيه . مختصر كتاب البلدان ٣٢١ نقلا عن البلاذري ؛ المقدسي أحسن التقاسيم ٣٠٣ . وانظر بحثنـا «تقسيمات خراسـان الادارية» المنشور في مجلة كلية الآداب .
(٣٠) فتوح البلدان ١٣٧ ، الاعلاق النفيسة ١٧١ ، تاريخ نيسابور ١٣٨ ــ ٩ المقدسي ٣٠ (ويسميها خانات) .
(٣١) الطبري ٦٨٢/٣ .
(٣٢) كذلك ٧٩٥/٣ .

وذكر الخطيب أن «ربع الرصافة يسمى عسكر المهدي»[٣٣] .

ويلاحظ أن بغداد بجانبيها الغربي والشرقي كانت مبنية على أربعة طساسيج هي قطربّل وبادوريا في الجانب الغربي ، ونهر بوق وكلواذى في الجانب الشرقي .

ويذكر المقدسي أن «بغداد أربع قطع : مدينة السلام، وبادوريا، والرصافة، وموضع دار الخلافة»[٣٤] .

وعندما أعاد عضد الدولة تنظيم القضاء في بغداد ، جعل لها أربعة قضاة، «كل قاض على ربع»[٣٥] .

وفيما عدا ما ذكرنا لم أجد اشارة الى «الأرباع» ، مما يظهر أنها لم تتخذ أساسا لأي تنظيم خططي .

الأربــاض

تردد في كتب الخطط ذكر الأرباض ، وذكر اليعقوبي ما قد يدل على أن الأرباض هي الوحدة الأساسية الكبيرة التي اتخذها المنصور في تقسيم الاراضي في أطراف المدينة المدورة ؛ فذكر أن المنصور «قسم الأرباض الى أربعة أرباع» ؛ وانه «أعطى أصحاب كل ربع مبلغ مايصير لصاحب كل قطيعة من الذرع ، ومبلغ ذرع ما لعمل الاسواق في ربض ربض»[٣٦] وانه «وقع الى كل أصحاب ربع مايصير لكل رجل من الذرع ولمن معه من أصحابه ، وما قدّره للحوانيت والأسواق في كل ربض ، وأمرهم أن يوسّعوا في الحوانيت في كل ربض من السكك والدروب النافذة وغير

---

(٣٣) الخطيب ١/٨٣ .
(٣٤) احسن التقاسيم ١٢٠ .
(٣٥) انظر بحثنا «قضاة بغداد في العهود العباسية» المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي .
(٣٦) البلدان ٢٤١ .

النافذة مايعتدل به المنازل .. وأن يبتنوا في جميع الأربـاض والأسـواق والدروب من المساجد والحمامات ما يكتفي بها من في كل ناحية ومحلة »[٣٧].

ذكر اليعقوبي أسماء أربعة عشر ربضا ، منها ثلاثة في الأطراف الجنوبية من المدينة المدورة هي ربض عبدالوهاب بن ابراهيم الامام ، وربـض حُمَيد ابن قحطبة الطائي ، وربض وضّاح .

وذكر في الأطراف الغربية خمسة أرباض هي ربض سليمان بن مجالد ، وربض الحسن بن قحطبة ، وربض الخوارزمية أصحاب الحـارث بن رقـاد الخوارزمي ، وربض الخليل بن هاشم الباوردي ، وربض الخطاب بن نـافع الصحـاري .

وذكر في الأطراف الشمالية الغربية أربعة أرباض هي : ربض القس ، وربض الهيثم بن معاوية ، وربض ابي أيوب المورياني ، وربض حرب .

أما في الأطراف الشمالية والشمالية الشرقية فذكر ربض دار الرقيـق ، وربض الكرمانية .

يتميز اليعقوبي في وصفه الأرباض أنه يحدد مواقعها التقريبية ، ومـع أنه انفرد بذكر بعض الأرباض وهي ربض الخليل بن هاشم الباوردي ، وربض الخطاب بن نافع الصحاري ، وربض الكرمانية ، واعتبر لكل من القس ودار الرقيق ربضان الا أنه لم يستوعب كل الارباض ، فقد ذكر الخطيب وابن الفقيه أرباضا لم يذكرها اليعقوبي ، واكثرها في الاطراف الشمالية والشمالية الشرقية، ولايمكن الجزم بأن هذا الاغفال راجع الى نقص في كتاب اليعقوبي الذي طبع على نسخة فريدة لاتخلو من الخطأ ، ولعلها لاتخلو من السقط ، علما بـأن اليعقوبي يعترف انه لم يستوعب ذكر كل الارباض والقطائع ، وانه قال « في

---

(٣٧) البلدان ٢٤٢ .

هذه الارباض والقطائع ما لم نذكره »[٣٨] •

وذكر الخطيب وابن الفقيه الأرباض التي ذكرها اليعقوبي في الأطراف الجنوبية من المدينة المدورة ، وربضان مما ذكرهما اليعقوبي ، وهما ربض سليمان بن مجالد والخوارزمية ، وذكر من الأرباض الشمالية الشرقية ربض الهيثم بن معاوية ، ولكنهما سمياه سوق الهيثم ، وربض أبى أيوب المورياني ، كما انه ذكر بستان القس ، ودار الرقيق ، ولم يذكر انها أرباض •

غير أن الخطيب وابن الفقيه ذكرا اثني عشر ربضا في الأطراف الشمالية مما لم يذكرها اليعقوبي ، وانفرد الخطيب بذكر ثلاثة أرباض أخرى ، كما انفرد ابن الفقيه بذكر أحد عشر ربضا في الأطراف الشمالية مما لم يذكرها اليعقوبي والخطيب •

وبصرف النظر عن الاختلاف في التسميات ، من حيث ان بعض المصادر تسمي المكان ربضا،والاخرى تسميه اقطاعا أو سوقا،فانحصيلةمجموع الأرباض التي ذكرتها المصادر الخططية يبلغ واحدا وأربعين ربضا منها أربعة في الأطراف الجنوبية ، وأكثرها للعرب ، وخمسة أرباض في الأطراف الغربية ، منها ثلاثة للعرب ؛ وعشرة في الأطراف الشمالية الشرقية ، وعشرون في الأطراف الشمالية الغربية والشمالية • غير أنه ينبغي ان يؤخذ بنظر الاعتبار القطائع الكثيرة في الأطراف الغربية والشمالية الغربية أيضا ؛ أي أن أكثر الارباض كانت في الأطراف الشمالية ؛ غير أنه لا يمكن القطع بان هذا راجع الى تخطيط ابي جعفر المنصور ، أم أنه ناجم عن تطورات تالية أدت الى اختفاء أسماء كثير من الأرباض التي في الأطراف الجنوبية ؛ ويلاحظ الأرباض ذكرت منسوبة الى أفراد ، وقليل جدا منها نسب الى جماعات ، وان اليعقوبي ذكر بعض الأرباض منسوبة الى أشخاص وجماعاتهم •

---

(٣٨) البلدان ٢٥٠ .

لم تذكر المصادر خصائص ما وصفتهم «أرباضا» ببغداد ، ولا أشارت الى مساحتها ، غير أنها ذكرت صفات بعضها مما يدل على تباين مساحاتها فذكر اليعقوبي عن ربض حرب بن عبدالله البلخي «وليس ببغداد ربض أوسع ولا أكبر ولا أكثر دروبا وأسواقا في الحال منه ، وأهله أهل بلخ ، وأهل مرو ، وأهل الختّل ، وأهل بخاري ، وأهل اسبيشاب ، وأهل اشتاخنج ، وأهل كابل شاه ، وأهل خوارزم ، ولكل أهل بلد قائد ورئيس »(٣٩) .

وورد ذكر أرباض يضم كل منها قطائع أو دروبا ، فربض سليمان بن مجالد كانت فيه قطيعة واضح ، وربض الخوارزمية فيه قطيعة الحارث بن رقّاد، وربض الحسن بن قحطبة فيه درب الحسن (٤٠) .

وقد غلبت على بعض الارباض أسماء أخرى، فكان «ربض وضّاح مولى أمير المؤمنين المعروف بقصر وضاح صاحب خزانة السلاح وأسواق هناك(٤١) .

وذكر اليعقوبي «ربض الهيثم بن معاوية يعرف بشار سوق الهيثم ، وهناك سوق كبيرة متصلة ، ومنازل ودروب وسكك ، كله ينسب الى شار سوق الهيثم »(٤٢) .

ان المعنى اللغوي للربض مأوى الماشية بلفظ «مربض» وتأتي بمعنى الاستقرار ، ولكنه استعمل لما هو حول المدينة (٤٣) ، وبهذا المعنى أطلق على الأراضي المسكونة حول المدن في الموصل ، وفي كثير من بلدان المشرق ، وفي الأندلس ، بالاضافة الى استعمالها في بغداد ، ولم يرد ذكر لاستعمالها في غيرها .

---

(٣٩) البلدان ٢٤٨ .
(٤٠) كذلك ٢٤٦ .
(٤١) كذلك .
(٤٢) البلدان ٢٤٧ .
(٤٣) لسان العرب ٩/٩ ــ ١٣ .

صاحب الربض	اليعقوبي	الخطيب	ابن الفقيه	مركزه في الدولة	عشيرته
عبدالوهاب بن ابراهيم	×	٨٦ سويقة	٤٥	—	عباسي
ابو الورد	×	٨٧	٤٦	داعي	
حميد بن قحطبة	×	١١٣/٨٤	٤٩	داعي	طي
وضـــاح	×	—	٤٦ قصر	داعي	
سليمان بن مجالد	×	—	٤٩	—	مولى محمد بن علي
الحسن بن قحطبة	×	٨٤	—	—	
الخوارزمية	×	٨٤	٥٠/٤٨	—	طي
(أصحاب الحارث بن رقاد)	×	—	—	—	
الخليل بن هاشم الباوردي	×	—	—	—	
الخطاب بن نافع الصحاري	×	—	—	—	
ابو يزيد الشروي	×	—	—	داعي	
الهيثم بن معاوية	×	—	٤٥	وزير	عك
ابو أيوب المورياني	×	٨٤	٤٨	—	
حرب	×	—	٨٤	—	داعي
القس	×	بستان	٨٦ بستان	—	

صاحب الربض	اليعقوبي	الخطيب	ابن الفقيه	مركزة في الدولة	عشيرته
دار الرقيـــق	×	—	٥٠ شارع		
الكرمـــانية	—	—	—		
(والقائد خالد بن الوليد)	—				
العلاء بن موسى		٨٣	٥٠		
موسى بن صبح		٨٣	٥٠		مرو
ابو عون عبدالملك بن يزيد	قطيعـــة	٨٣	٥٠	رأس جرجان	
الترجمان بن بلخ	—	٨٤	٤٥		
الفرس	—	٨٥	٤٨		
حمزة بن مالك	—	٨٤	٤٩		عتيك
روّاد بن سنان	—	٨٤	٤٩		
نصر بن عبدالله	—	٨٥	٤٩	داعي	خزاعـــة
عثمان بن نهيك	—	٨٥	٤٩		
نوح بن فرقـــد	—	٨٧	٥٠		
البرجلانيـــة	—	٨٥	٤٧		
حميد بن ابى الحارث	—	٨٤	—		

صاحب الربض	اليعقوبي	الخطيب	ابن الفقيه	مركزة في الدولة	عشيرته
عبدالملك بن حميد	—	٨٤	—		
عمرو بن حميد	—	٨٤			
المراوزة	—	٨٤	٤٥		
زهير	—	—	٤٨	داعي	ضبة
ابو النجم	—	—	٤٨ قطيعة	نقيب	مولى آل معيط
ابو حنيفة	—	—	٤٩		
عمرو بن اسفنديار	—	—	٤٩		
رشيد	—	—	٤٩		
سعيد بن حميد	—	—	٤٩		
زرّاد	—	—	٤٩		
الحرس	—	—	٤٩		
عتيك بن هلال الفارسي	—	—	٤٥		
الخوارزمية	—	—	٥١		
العلاء بن موسى	—	—	٥٠		

القطـائع

القطائع هي أكثر مايذكر في أطراف المدينة المدورة ، فقد ذكر اليعقوبي ستين قطيعة : منها عشرون في الأطراف الجنوبية ، والباقية في الغرب والشمال، وذكر الخطيب من هذه احدى عشرة قطيعة ، غير أنه ذكر ست قطائع لم يذكرها اليعقوبي ، وذكر ابن الفقيه ست قطائع لم يذكرها الخطيب واليعقوبي، فيكون مجموع ما ذكروه ٧٧ قطيعة .

ذكر الخطيب أن المنصور «أقطع أصحابه خمسين في خمسين»(٤٤) ولماكان الذراع يساوي حوالي ٦٠ سم ، فتكون مساحة الاقطاع حوالي ١٠٠٠ م٢ وهي تكفي لبناء دار لذوي المكانة يشتمل المسكن ومأوى للخدم ومرابط الدواب ، ولكنها لايمكن ان تكفي لاسكان عدد كبير ، لأن الفرد لابد له من بناء ٢٠ ×٢٠ ذراعا وهي تساوي ١٢٠م٢ .

ان كافة القطائع مسماة بأسماء أصحابها ، وأغلبها مسماة بأسماء أشخاص مفردين ، غير أن بعض القطائع مسماة باسم شخص وجماعته : وهي « قطيعة رباوة الكرماني وأصحابه(٤٥) ، وهي في الأطراف الجنوبية ؛ وفي الأطراف الغربية» و «ربض الخوارزمية أصحاب الحارث بن رقاد الخوارزمي ، وقطيعة الحارث في الدرب»(٤٦) ، و « قطيعة سلامة بن سمعان البخاري وأصحابه ، ومسجد البخارية ، والمنارة الخضراء فيه »(٤٧)، و «قطيعة عوف بن نزار اليمامي ودرب اليمامية (٤٨) . وفي الأطراف الشمالية «قطيعة الصغد ودار خرفاش الصغدي» و «قطيعة ماهان الصامغاني وأصحابه» و «قطيعة مرزبان أبى أسد بن المرزبان الفاريابي وأصحابه أصحاب العمد» و «قطيعة عبدالملك

---

(٤٤) الخطيب ٧٥/١ .
(٤٥) البلدان ٢٤٤ .
(٤٦) كذلك ٢٤٦ .
(٤٧) كذلك ٢٤٧ .
(٤٨) كذلك ٢٤٧ .

ابن يزيد الجرجاني المعروف بأبي عون وأصحابه الجرجانية» و «قطيعة عبّاد الفرغاني وأصحابه الفراغنة» و «قطيعة عيسى بن نجيح المعروف بأبن روضة وغلمان الحجابة » و «قطيعة البغيين أصحاب حفص بن عثمان» (٤٩) ، وهذه

وقد ذكر الخطيب قطيعة عبدالملك بن يزيد ، وكان عبدالملك « رئيس القوم (مؤيدي العباسيين) بجرجان »(٥١) .

أما البغيين فذكر الخطيب انه اقطاع لهم من المنصور (٥٢) . وانهم سموا بذلك لانهم «من قرية من خراسان من مروالروذ يقال لها بغشور ، وكان المنصور بنى لهم مسجد البغويين »(٥٣) .

وذكرت قطائع لجماعات : منها في الجنوب «قطيعة الفراشين وتعرف بدار الروميين» و «منازل الفرس أصحاب الشاه(٥٤) ، وقطيعة الشروية» (٥٥) وقطائع الموالى (٥٦) ، وقطيعة اليهود (٥٧) .

وفي الشمال قطيعة المروروذية آل أبى خالد الأبناوي (٥٨) ، وقطيعة الأفارقة (٥٧) ، والرهينة (٦٠) ، وقطيعة السرخسية (٦١) ، وقطائع الموالي ، وربض الحرس (٦٢) .

---

(٤٩) كذلك ٢٤٩ .
(٥٠) الخطيب ١/٨٤ ، ابن الفقيه ٥ .
(٥١) أخبار بني العباس ٢٤٦ .
(٥٢) الخطيب ١/٨٥ .
(٥٣) كذلك ١/٤١٠ .
(٥٤) البلدان ٢٤٤ .
(٥٥) كذلك ٢٤٣ .
(٥٦) ابن الفقيه ٤٨ .
(٥٧) الخطيب ١/١١٢ .
(٥٨) البلدان ٢٤٨ .
(٥٩) كذلك ٢٤٩ .
(٦٠) ابن الفقيه ٥٠ .
(٦١) كذلك ٤٩ .
(٦٢) كذلك ٤٨ ــ ٤٩ .

كان لبعض الجماعات أو رجالها أكثر من قطيعة واحدة مسماة بهم ومن أبرزهم : الشروية ، فان اليعقوبي ذكر أن المنصور «أقطع الشروية ، وهم موالي محمد بن علي بن عبدالله بن العباس دون سويقة عبدالوهاب مما يلي بـاب الكوفة ، وكانوا بوابية ، رئيسهم حسن الشروي (٦٣) ، وذكر أيضا « قطيعـة أيوب بن عيسى الشروي» وهي بين قطيعة سليم صـاحب ديـوان الخراج ، وقطيعة رباوة الكرماني قرب باب البصرة (٦٤) ، وذكر أيضا ربض أبي يزيـد الشروي مولى محمد بن علي وأصحابه (٦٥) ، وذكر الخطيب « دار أبي يزيـد الشروي مولى عبدالله بن عباس (٦٤) . دون أن يحدد موقعه . وذكر أيضـا «قطيعة اسحاق الأزرق الشروي» وهي متصلة بسويقة أبي الورد (٦٧) ، ويمكن القول بان قطيعة اسحاق كانت من قطائع الشروية ، لأن سويقة ابى الورد قريبة من سويقة عبدالوهاب .

ويلاحظ أن من الشروية بشر بن ميمون (٦٨) ، وكانت له قطيعة قـرب باب الشام (٦٩) ، وقرب ربض الهيثم (٧٠) .

وممن لهم أكثر من قطيعة الفرس ، فقد ذكر عنهم اليعقوبي «الحوض العتيق وهناك منازل الفرس أصحاب الشاه»(٧١) ، ولعلها هي التي صارت تسمى «درب الفرس من ناحية نهر طابق » والذي ذكر الخطيب من أهله محمد

---

(٦٣) البلدان ٢٤٣ .
(٦٤) كذلك ٢٤٥ .
(٦٥) كذلك ٢٤٧ .
(٦٦) الخطيب ١/٨٧ .
(٦٧) كذلك ١/٨٧ .
(٦٨) الطبري ٣/٢٧٤ .
(٦٩) فتوح البلدان ٢٩٤ ، ابـن الفقيه ٦٤ .
(٧٠) البلدان ٤٨ .
(٧١) كذلك ٢٤٤ .

ابن عمر بن زكار (ت ٤٢٨) [٧٢] ، ولعل هؤلاء الفرس كانوا يسكنون درب المجوس الذي كان في نهر طابق [٧٣] .

غير أن الخطيب ذكر «ربض الفرس ومربعتهم ، أقطعهم المنصور» [٧٤] ، ونقل عن سهراب أن مربعة الفرس كان يمر بها نهر بطاطيا وأحد فروعه [٧٥] ، كما ذكر ابن الفقيه «مربعة الفرس وربضهم ، وهؤلاء قوم من الفرس أقطعهم المنصور هذه الناحية فنسبت اليهم [٧٦] ، ونقل ياقوت هنا النص مع حذف كلمة « ربضهم » [٧٧] . وذكر الخطيب «شهارسوج الفرس عند دار ابي الحسين ابن سمعون بشارع العتابيين » [٧٨] .

ويجدر بالذكر أن ابن الفقيه ذكر «ربض ينسب الى عتيك بن هلال الفارسي ، وله في الدولة آثار وأخبار ، وله في المدينة درب ينسب اليه » [٧٩] ، وذكر أن هذا الربض يقع بين الترجمانية ومربعة أبى العباس الطوسي ، أي عند موقع ربض الفرس ، مما قد يدل على أنه نفس ربض الفرس .

وذكر اليعقوبي قطيعة سلامة بن سمعان البخاري وأصحابه ، وهي قرب باب الانبار [٨٠] ؛ أما ابن الفقيه فانه يذكر «درب يعرف بدرب البخارية» عند شارع الخوارزمية [٨١] ، وهي ليست قريبة من باب الأنبار .

---

(٧٢) الخطيب ٣/٣٨ .
(٧٣) الخطيب ٤/٢٧٠ ؛ ١١/١٣ ، ٤٥ .
(٧٤) كذلك ١/٨٥ .
(٧٥) كذلك ١/١١٤ .
(٧٦) ابن الفقيه ٤٨ .
(٧٧) معجم البلدان ٤/٤٨٥ .
(٧٨) الخطيب ٧/١٥ .
(٧٩) ابن الفقيه ٤٥ ؛ معجم البلدان ٣/٦١٤ .
(٨٠) البلدان ٢٤٧ .
(٨١) ابن الفقيه ٤٨ ، وانظر معجم البلدان ٢/٧٥٠ .

أما الخوارزمية فان اليعقوبي ذكر «ربض الخوارزمية أصحاب الحارث ابن رقاد الخوارزمي ، وقطيعة الحارث في الدرب» وهو يقع عند ربض الحسن ابن قحطبة بين باب الكوفة وباب الشام [٨٢] واقتصر الخطيب على القول بأن «الخوارزمية جند من جند المنصور»[٨٣] ، أما ابن الفقيه فيذكر أن ربض الخوارزمية يتصل بربض الفرس ، وفي شارعهم درب يعرف بدرب البخارية[٨٤] ، ولعل هذا الربض هو الذي ذكره الخطيب باسم «مربعة الخوارزمية التي على الدجيل ومن أهلها محمد بن صالح الفزاري (ت ٢٣٠) » [٨٥] .

غير أن الخطيب يذكر «درب الخوارزمية عند باب الكوفة» وكان فيه منزل هبة الله بن جعفر القارىء (ت ٣٥٠) [٨٦] .

ويذكر أيضا درب الخوارزمية عند باب البستان [٨٧] وذكر أن هذا الباب في الرصافة [٨٨] .

وذكر اليعقوبي للكرمانية موضعين : أحدهما «قطيعة رباوة الكرماني وأصحابه» جنوبي المدينة المدورة قرب القنطرة العتيقة»[٨٩] ، أما الموضع الثاني فهو «ربض الكرمانية والقائد بوزان بن خالد الكرماني» وهي تقع في الأطراف الشمالية من المدينة المدورة ، قرب دار الرقيق [٩٠] .

---

(٨٢) البلدان ٢٤٦ .
(٨٣) الخطيب ١/٨٥ .
(٨٤) ابن الفقيه ٤٨ ، وانظر ياقوت ٢/٧٥٠ .
(٨٥) الخطيب ٥/٣٥٧ .
(٨٦) كذلك ١٤/٦٩ .
(٨٧) كذلك ١٠/١١٠ .
(٨٨) كذلك ٥/١٤٨ .
(٨٩) البلدان ٢٤٥ .
(٩٠) كذلك ٢٤٨ .

القطـــائع

صاحب القطيعة	اليعقوبي	الخطيب	ابن الفقيه	مكانته
العباسية	٢٤٣	٩١	٥٠	
الشرويـــة	٢٤٣	—	٥١	
المهاجر بن عمرو	٢٤٣	—	—	
ياسين صاحب النجائب	٢٤٣	—	—	
المسيب بن زهير	٢٤٣	٨٥	٤٥	نظير النقباء ضبــة
أزهر بن زهير	٢٤٣	—	—	
ابو العنبر	٢٤٣	—	—	
الصحابة	٢٤٣	٨٦ دور	٤٥ دور	
يقطين بن موسى	٢٤٣	—	—	
اسحاق بن عيسى	٢٤٤	—	—	
ابو السرى الشامي	٢٤٤	—	—	
الفر"اشين (دار الروميين)	٢٤٤	—	—	
منازل الفرس أصحاب الشاه	٢٤٤	—	—	
حبيب بن رغبان	٢٤٥	—	—	

القطـــائع

صاحب القطيعة	اليعقوبي	الخطيب	ابن الفقيه	مكانته	
سليم	٢٤٥	—	—		حمص
أيوب بن عيسى الشروي	٢٤٥	—	—		
رباوة الكرماني وأصحابه	٢٤٥	—	—		
عمرو بن سمعان الحراني	٢٤٥	—	—		
قطيعة أم جعفر	٢٤٥	١١٢/٧١	٤٧		
قطيعة عيسى بن جعفر	٢٤٥	١١٤/٩٣	—		
قطيعة جعفر بن جعفر	٢٤٥	—	—		
قطيعة الربيـــع	٢٤٥	—	٤٣		
واضح	٢٤٦	٨٨	—	داعية	مسلية
عامر بن اسماعيل المسلي	٢٤٦	—	—	داعية	
الحارث بن رقاد	٢٤٦	—	—		
صاحب الركاب	٢٤٧	—	—		
هاشم بن معروف	٢٤٧	—	—		
الحسن بن جعفرات	٢٤٧	—	—		

القطائع

صاحب القطيعة	اليعقوبي	الخطيب	ابن الفقيه	مكانته	
واضح وولده	٢٤٧	—	—		فزارة
أيوب بن المغيرة الفزاري	٢٤٧	—	—		
والكوفيين					
سلامة بن سمعان البخاري وأصحابه	٢٤٧	—	—	طبيب	
اللجلاج	٢٤٧	—	—		
عوف بن نزار اليمامي	٢٤٧	—	—		
ودروب اليمامية					
الفضل بن جعفر الرازي	٢٤٧	—	—		
هبيرة بن عمرو	٢٤٧	—	—		
صالح البلدي	٢٤٧	—	—		
قابوس بن السميدع	٢٤٧	—	—		
خالد بن الوليد	٢٤٧	—	—		
شعبة بن يزيد الكابلي	٢٤٧	—	—		
المروروذية آل ابى خالد الأبناوي	٢٤٧	—	—		

القطـــائع

صاحب القطيعة	اليعقوبي	الخطيب	ابن الفقيه	مكانته	
ابى يزيد الشروي	—	٨٧ (دار)	—		شروي
موسى بن كعب	٢٤٨	—	—	نقيب	تميم
بشر بن ميمون	٢٤٨	—	—		تميم
سعيد بن دعلج	٢٤٨	—	—		تميم
الشخير وزكريا بن الشخير	٢٤٨	—	—		
ردّاد بن زادان	٢٤٨	٨٤ (ربض)	—		
الفضل بن سليمان الطوسي	٢٤٨	٨٤ (مربعة)	—		
الحكم بن يوسف البلخي	٢٤٨	—	—		
الصغد ودار خرفاش الصغدي	٢٤٩	—	—		
ماهان الصامغاني وأصحابه	٢٤٩	—	—		
مرزبان الفارابي وأصحابه	٢٤٩	—	—		
سليمان بن ابى جعفر	٢٤٩	—	—		
سليمان بن ابى جعفر	٢٤٩	—	—		
صالح بن المنصور	٢٤٩	—	—		

القطـــائع

صاحب القطيعة	اليعقوبي	الخطيب	ابن الفقيه	مكانته	
عبدالملك بن يزيد	٢٤٩	—	—		عتيك
وأصحابه الجرجانية	٢٤٩	—	—		
تميم الباذعيسى	٢٤٩	—	—		
عباد الفرغاني وأصحابه الفراغنة	٢٤٩	—	—		
الافارقة	٢٤٩	—	—		
تمـام الديلمي	٢٤٩	—	—		
حنبل بن مالك	٢٤٩	—	—		
البغيين أصحاب حفص بن عثمان	٢٤٩	١/٨٥	٤٧		
جعفر المنصور	٢٤٩	—	—		
مر"ار العجلي	٢٥٠	—	—		عجل
عبدالجبار بن عبدالرحمن	٢٥٠	—	—	داعي	الازد
القحاطبـة	٢٥٠	٨٥	٤٥		طي
عبدالله بن مالك	٢٥٠	٨٧	٤٦	كاتب	خزاعة
هشام بن عمرو الفزاري	٢٥٠	٨٧	—	—	فزارة

القطـــائع

صاحب القطيعة	اليعقوبي	الخطيب	ابن الفقيه	مكانته
اسحاق الازرق الشروي	٢٥٠	٨٧	٤٦	
الكلاب	٢٥٠	١١٣/٨٩	—	
عيسى بن علي	٢٥٠	٩٢	—	
الموالي	٢٥٠	—	٤٨	
السرخسية	٢٥٠	—	٤٩	
الرهينـــة	٢٥٠	—	٥٠	
النوبختية	٢٥٠	—	٥٢	
ميمون بن بشر	٢٥٠	—	٦٤	
ريسانة	٢٥٠	—	—	
اليهــود	٢٥٠	١١٢	٦٤	
ابو النجم	٢٥٠	—	٤٨	

الدروب

ومما له صلة بالأرباض هي الدروب التي يكثر ذكرها منسوبة لأفراد أو جماعات ، وهي ضمن التخطيط الأول الذي وضعه المنصور للأرباض وأطراف المدينة ·

فقد ذكر اليعقوبي أن أبا جعفر «حدّ» لمن جعله على تخطيط الأرباض «أن يجعلوا عرض الشوارع خمسين ذراعا بالسوداء ، والدروب ست عشرة ذراعا»[٩١]· ورد ذكر عدد من الشوارع ، مثل شارع باب الشام ، وشارع باب الانبار وشارع الدجيل ولكنها ليست ذات دلالات سكنية ·

أما الدروب فان اليعقوبي يذكر ان المنصور رتبها وأنه أمر « أن يسموا كل درب باسم القائد النازل فيه ، أو الرجل النبيه الذي ينزله ، أو أهل البلد الذي يسكنونه »[٩٢] ؛ ويذكر أيضا أن «بين هذه الأرباض التي ذكرنا والقطائع التي وصفنا منازل الناس ينتسب اليها الدروب والسكك»[٩٣]·

وقد يضم الدرب قطيعة أو أكثر فكان في درب الاقفاص قطيعة هاشم ابن معروف ، وقطيعة الحسن بن جعفرات ، وفي درب صالح قطيعة صالح البلدي ·

وصف منطقتين أشار الى كثرة ما في كل منهما من دروب وسكك ، هما المنطقة التي عند قطيعة الربيع في الكرخ ، والمنطقة التي قرب باب الشام ·

فذكر « في ظهر قطيعة الربيع منازل التجار وأخلاط الناس من كل بلد ، يعرف كل درب بأهله ، وكل سكة بمن ينزلها ·· فلكل تجار وتجارة

---

(٩١) البلدان ٢٤٤ ·
(٩٢) كذلك ٢٤٢ ·
(٩٣) كذلك ٢٤٦ ·

شوارع معلومة ، وصفوف في تلك الشوارع ، وحوانيت وعراص ، وليس يختلط قوم بقوم ، ولا تجارة بتجارة ، ولا يبلغ صنف من غير صنفه ، ولا يختلط أصحاب المهن من سائر الصناعات بغيرهم ، وكل سوق مفردة ، وكل أهل منفردون بتجاراتهم ، وكل أهل مهنة معتزلون عن غير طبقتهم . وبين هذه الارباض التي ذكرنا ، والقطائع التي وصفنا ، منازل الناس من العرب والجند والدهاقين والتجار وغير ذلك من أخلاط الناس ، ينتسب اليهم الدروب والسكك »[٩٤] ؛ غير أن اليعقوبي وغيره لم يحدد هؤلاء الأقوام أو يذكر أسماء الدروب ومن سميت بهم ، علما بأن نقل السوق الى الكرخ تم في آخر خلافة أبى جعفر ، وأن الخطيب يذكر أن المنصور «حدّد فيه الأسواق ، ورتب كل صنف منها في موضعه »[٩٥] ولم يذكر السكان وترتيبهم .

ويذكر اليعقوبي أيضا «الربع من باب الشام فأول ذلك قطيعة الفضل ابن سليمان الطوسي والى جنبه السجن المعروف بسجن باب الشام ، والأسواق المعروفة بسوق باب الشام ، وهي سوق عظيمة فيها جميع التجارات والبياعات ممتدة ذات اليمين وذات الشمال ، آهلة عامرة الشوارع والدروب والعراص ، وتمتد في شارع عظيم فيه الدروب الطوال ، كل درب ينسب الى أهل بلد من البلدان ينزلونه في جنبتيه جميعا الى ربض حرب بن عبدالله البلخي ، وليس ببغداد ربض أوسع ولا أكبر دروبا وأسواقا في الحال منه ، وأهله أهل بلخ ، وأهل مرو ، وأهل الختل ، وأهل بخارا ، وأهل اسبيشاب ، وأهل اشتاخنج، وأهل كابلشاه، وأهل خوارزم، ولكل أهل بلد قائد ورئيس»[٩٦] .

لم يذكر اليعقوبي أو غيره ان هذه «السوق العظيمة» التي فيها جميع

---

(٩٤) كذلك ٢٤٦ .
(٩٥) الخطيب ١/٨٠ .
(٩٦) البلدان ٢٤٨ .

التجارات والبياعات ، كانت مرتبة على السلع التي تباع فيها مثل قطيعة الربيع والكرخ ، وانما ذكر أن أهلها كانوا منظمين «ولكل أهل بلد قائد ورئيس» ، أي أنهم كانوا من الجند ، ولهم قائد ، كما أن لهم رئيسا يبدو من سياق الكلام أنه كان ينظر في شؤونهم الادارية والمدنية ، رغم أن المصادر لم تذكر أسماء أو هويات القواد والرؤساء ، أوصلتهم بمن يترأسونهم •

وبالقرب من هذا السوق ربض الهيثم بن معاوية ، الذي يغلب عليه اسم شار سوق الهيثم «وهناك سوق كبيرة متصلة ومنازل ودروب ينسب الى شار سوق الهيثم »[٩٧] •

ان هذه المنطقة هي الوحيدة في بغداد التي ذكر اليعقوبي كثرة دروبها وأسواقها ، وأن سكانها منظمون على المدن، وأن «لكل أهل بلد قائد ورئيس»؛ ولم يذكر اسما من هؤلاء القادة والرؤساء ، كالذي فعله في كلامه عن الاقطاعات ، مما قد يدل على أنهم كانوا مغمورين لم يقوموا بأعمال تخلد ذكرهم ، أو أنهم لم يكونوا ثابتين وانما كانوا يتبدلون حسب مقتضيات الأحوال ؛ وعلى أي حال فان وجود قائد ورئيس لكل منهما يدل على أنهم كانوا من القوات العسكرية ، ولذلك احتاجوا الى قادة ، وأن تنظيمهم في أوقات السلم تطلب وجود اداريين لتنظيم شؤونهم الادارية ، وان اطلاق كلمة «رئيس» قد يدل على أن هذا المسؤول الاداري هو من أهل تلك البلد ، غير أنه لاتوجد اشارة الى مؤهلات هؤلاء الرؤساء أو طريقة اختيارهم ، وان كانت الأحوال العامة تقضي بأن يتطلب ذلك موافقة «الحكومة» على تعيينه ؛ غير اننا لانعلم تفاصيل واجبات ووظائف الرئيس وديوانه ، أو عدد أفراد كل جماعة •

يقول اليعقوبي «وهذه القطائع والشوارع والدروب والسكك التي

(٩٧) كذلك ٢٤٧ .

ذكرتها على مارسمت في أيام المنصور ووقت ابتدائها»[٩٨] •

عدّد اليعقوبي أهل الدروب في هذه المنطقة ، وهم ثمانية : منهم اثنان من مدن خراسان ، هما بلخ ، ومرو ؛ وقد يضاف اليهم خوارزم ، وأربعة من بلاد ما وراء النهر ، وهم الختّل ، وبخارا ، واسبيشاب ، واشتاخنج ، وكلهم ، ما عدا الختّل ، منسوبون الى مدن• ولا نعلم من أي عناصر سكان هذه المدن كان هؤلاء الذين استوطنوا بغداد ، خاصة وأن المصادر صريحة بأن كلا من بلخ ، ومرو ، وخوارزم ، وبخارا ، استوطنها عدد من المقاتلة العرب •

وتنظيم هؤلاء السكان على أساس المدن يدل على أن هذا الأساس كان ساريا على تنظيم الجيش في وقت السلم •

لم يرد في غير هذا النص ذكر لرجال او قطائع لأهل كل من الختّل واسبيشاب ، واشتاخنج ؛ وانما ذكرت قطائع لجماعات أو رجال من المدن الاخرى التي ورد ذكر دروب لها •

فأما بلخ فان اليعقوبي ذكر « قطيعة الحكم بن يوسف البلخي صاحب الحراب »[٩٩] ، وذكر الخطيب أن الحكم هو مولى بني ضبة [١٠٠] ، والقطيعة ليست بعيدة عن ربض حرب •

وأما البخارية فان اليعقوبي ذكر «قطيعة سلامة بن سمعان البخاري ومسجد البخارية ، والمنارة الخضراء فيه »[١٠١] ، وهي عند شارع باب الأنبار•

غير أن اليعقوبي ذكر عددا من الاقطاعات لرجال من مناطق في ما وراء النهر ،ومنها «قطيعة الصغد ، ودار خرفاش الصغدي» ويتصل بها « قطيعة ماهان الصامغاني وأصحابه» المتصلة بقطيعة «مرزبان ابى أسد بن مرزبان

---

(٩٨) البلدان ٢٥٤ .
(٩٩) البلدان ٢٤٨ .
(١٠٠) الخطيب ٨٧/١ .
(١٠١) البلدان ٢٤٧ .

الفاريابي» (وهي تقع قرب دار الرقيق) •

كما ذكر «قطيعة تميم البادغيسى» المتصلة بربض ابى عون و «قطيعة عبّاد الفرغاني وأصحابه الفراغنة »[102] •

ان كافة المدن والمناطق التي نسبت اليها هذه الجماعات تقع في ماوراء النهر ، وقد انضمت الى دولة الاسلام في زمن قتيبة ، ومن المحتمل انها قدمت رجالا يقاتلون مع الجيوش العربية •

ويتبين من الاسماء العربية لأصحاب القطائع المنسوبين الى هذه المدن أنهم كانوا مسلمين ، ومتصلين بالعرب ، ان لم يكونوا عربا •

ذكر اليعقوبي ثلاثة من مدن ومناطق خراسان لهم دروب في ربض حرب، هي بلخ ، ومرو ، وخوارزم •

فاما بلخ ، فان اليعقوبي ذكر «قطيعة الحكم بن يوسف البلخي صاحب الحراب»[103] ، وذكر الخطيب « صحراء ابى السرى الحكم بن يوسف ، قائدا وهو مولى لبني ضبة »[104] •

أما مرو فان الخطيب ذكر المراوزة المتصلة بالكابلية [105] ، وذكر « محلة المراوزة ناحية باب حرب »[106] ، وذكر ان محمد بن خلف بن عبدالسلام ت (٢٨١) «سمى المروزي لانه كان يسكن محلة المراوزة»[107] ، ويذكر ياقوت « المراوزة محلة كانت متصلة بالحربية ، خربت الآن ، وكان يسكنها أهل مرو ، فنسبت اليهم »[108] •

---

(١٠٢) كذلك ٢٤٩ •
(١٠٣) البلدان ٢٤٨ •
(١٠٤) الخطيب ١/٨٧ •
(١٠٥) كذلك ٦/٢٨ •
(١٠٦) كذلك ٦/٢٩٦ •
(١٠٧) كذلك ٥/٢٣٥ •
(١٠٨) معجم البلدان ٤/٢٨٠ ، مراصد الاطلاع ١٢٥١ •

ويجدر ان تميزها عن درب المروزي الذي في قطيعة الربيع [١٠٩] .

أما الخوارزمية فان اليعقوبي ذكر «ربض الخوارزمية أصحاب الحارث ابن رقاد الخوارزمي وقطيعة الحارث في الدرب » وموقعها عند ربض الحسن ابن قحطبة في الاطراف الشمالية من باب الكوفة ، فهي بعيدة عن ربض حرب [١١٠] .

وذكر الخطيب «الخوارزمية جند من جند المنصور»[١١١]، دون ان يحدد صفة الرقعة التي سكنوها .

ويذكر الهمداني «ربض الخوارزمية، وهو متصل بربض الفرس ومربعتهم المتصلة بمربعة ابى العباس الطوسي [١١٢] ، وهذا الربض أقرب الى درب الخوارزمية عند ربض حرب ، وهو بعيد عن ربض أصحاب الحارث بن رقّاد الخوارزمي .

ويذكر اليعقوبي «ربض الخليل بن هاشم الباوردي» وهو قريب من ربض الخوارزمية أصحاب الحارث بن رقاد ، بين باب الكوفة وباب الشام[١١٣] وقطيعة المروروذية آل ابى خالد الابناوي ، وهي قرب شارسوق الهيثم[١١٤].

كما ذكر الخطيب «مربعة شبيب بن روح المروروذي»[١١٥] ، وهي تقع بين مربعة ابى العباس وباب الشام [١١٦] .

كان لبعض المدن التي نسبت اليها هذه الجماعات دور في الدعوة

---

(١٠٩) الخطيب ٦/١١ .
(١١٠) البلدان ٣٥/١٢ .
(١١١) الخطيب ٨٥/١ .
(١١٢) ابن الفقيه ، ياقوت ٢٨٥/٤ .
(١١٣) البلدان ٢٤٦ .
(١١٤) كذلك ٢٤٧ .
(١١٥) الخطيب ٨٤/١ .
(١١٦) سهراب ، الخطيب ١١٤/١ ، ابن الفقيه ٤٥ .

العباسية وثورتها في خراسان • ويستدل من الدعاة السبعين الذيـن توزعوا على مدن خراسان ان ابرز هذه المدن هي مرو (٤٠) وابيورد (٧) ونسا (٦) وبلخ (٢) ومروالروذ (١) وآمل (١) [١١٧] •

وذكر كتاب أخبار بن العباس دور بعض هذه المدن ، ومن الطبيعي ان لمرو مكانة متميزة لأنها قاعدة خراسان التي يقيم فيها الوالي •

فأما مروالروذ فمع انه لم يوجـه اليهـا غير داعية واحـد ، الا انه كان «بها خلق كثير من اخواننا»[١١٨] ، وقد وجه اليها الدعاة [١١٩] «فقدمـوا وانجدوا »[١٢٠] ، وكان من أبرز رجالها خازم بن خزيمة التميمي [١٢١] •

أما ابيورد ونسا فكانوا أول جند أمد الثورة بعد اعلانها [١٢٢] ، وكانت الدعوة قد وجهت الى أهل مروالروذ ونسا والطالقان وخـوارزم وبخـاري والسغد [١٢٣] ؛ وكانت للعباسيين في طخارستان شيعة [١٢٤] وقد استجاب اليها ملوك طخارستان [١٢٥] •

وكانت جرجان مركزا للدعوة ، وفيها شيعة [١٢٦] ، وقد وجهت اليهـا احدى الرايات الثلاثة [١٢٧] وكان رئيسهم ابو عون عبدالملك بن يزيد[١٢٨] •

---

(١١٧) أخبار بن العباس ٢١٨ ــ ٢١٩ •
(١١٨) كذلك ٢٧٣ •
(١١٩) كذلك ٢٧٨ •
(١٢٠) كذلك ٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٩ ؛ الطبري ١٩٧٣/٢ •
(١٢١) الطبري ١٩٦٠/٢
(١٢٢) أخبار بني العباس ٢٨١ ؛ الطبري ١٩٥٢/٢ ، ١٩٦٢ ، ١٩٩٧ •
(١٢٣) أخبار بني العباس ٢٧٨ ؛ وانظر الطبري ١٩٥٣/٢ ، ١٩٧٣ •
(١٢٤) أخبار بني العباس ٢٧٧ •
(١٢٥) الطبري ١٩٩٧/٣ •
(١٢٦) أخبار بني العباس ٢٢٤ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٩٣ ٣٢٨ •
(١٢٧) كذلك ٢٤٣ •
(١٢٨) كذلك ٢٤٧ ــ ٨ •

والراجح ان أكثر من وجهت اليهم هم العرب القاطنون في هذه المـدن ، مما يرجح ان الذين أوطنوا في هذه القطائع كانوا كلهم ، أو معظمهم ، مـن العرب •

لاريب في أن عدد الاقطاعات والدروب المسماة بمدن خراسـان قليلـة ومما يلفت النظر ان عددا غير قليل من مدن خراسان المشهورة مثل نيسابور ، وهراة ، وطوس ، لم يذكر لاهلها قطائع في بغداد •

غير انه ينبغي ان نذكر ان كثيرا من القطائع التي اقطعت لعدد كبير مـن الرجال العرب من أهل خراسان ، استوطنها صـاحب الاقطـاع مع أسرتـه وعدد من أتباعه • كما ان عددا غير قليل منهم نقل الى الثغور في بلاد الشـام والى المغرب لتعزيز حامياتها •

ذكر اليعقوبي في كلامه عن الربع من باب الشام أن ممن استوطنه أهل الختّل وأهل بخارى ، وأهل اسبيشاب وأهل اشتاخنج ، وكلها من مدن وأقاليم ما وراء النهر •

ان اخبار الثورة العباسية وتقدم جيشها الى العراق لم يرد فيها ذكـر لمقاتلة أو رجال من بلاد ما وراء النهر ، مما يدل على عدم اسهامهم في تلـك الثورة في مراحلها الاولى ، غير أن قول اليعقوبي أن هذه الدروب والقطائع التي ذكرها هي التي كانت قائمة في زمن ابى جعفر المنصور ، يستنتج منـه انهم قدموا العراق في السنين الاولى من قيام الدولة العباسية ؛ ولا ريب في أن رجال هذه القوات هم من المقاتلة الاحرار الذين جاءوا طوعا للاستقـرار في العراق مع أسرهم ، يدل على ذلك اقطاعاتهم التي تظهر انهم لم يكونوا مجرد بعوث موقتة ، كما ان كونهم من المقاتلة ، فانهم كانوا يأخذون العطاء ، غير اننا لانعلم الأساس الذي ميَّز فيـه اليعقوبي أصحـاب الدروب عن أصحـاب الاقطاعات ، ولماذا ذكر قادة بعض الجماعات وأغفل ذكر أسماء قادة أصحـاب

الدروب ؛ وهل ان ذلك راجع الى قلة عدد أصحاب الدروب ، أم راجع الى أسباب أخرى .

ان تأخر قدوم رجال مدن ما وراء النهر قد يرجع الى ان ابا جعفر المنصور استدعاهم لسد الفراغ الذي أحدثه استخدام «الخراسانية» في جبهات متعددة، وخاصة في الثغور وفي الشام والمغرب ؛ وانه اختارهم من مناطق نائية ليكونوا أطوع لـه .

وهم بحكم انغمارهم بالجندية لم ينفروا في القضايا الفكرية ، وقد عبر عن ذلك الجاحظ بقوله «الترك لاتشغلهم الصناعات والتجارات والطب والفلاحة والهندسة ، ولاغرس ولا بنيان ، ولاشق انهار ولا جباية غلات»[١٢٩] .

ان حرفة الجندية والطابع القتالي الذي تميز به الذين أقدموا من ما وراء النهر ، وسكناهم في الاطراف الشمالية من بغداد مختلطين مع الذين اقدموا من خراسان ، جعلهم يظهرون مقاربين للخراسانية ، رغم تعدد المناطق التي قدموا منها ، واختلاف عن «ثقافة» خراسان . فالخلط بين «الخراساني» و «التركي» حدث في بغداد ، وقد عبّر عنه الجاحظ بقوله «الخراساني والتركي اخوان ، وان الحيز واحد ، وان حكم ذلك الشرق ، والقضية على ذلك الصقع متفق غير مختلف ، ومتقارب غير متفاوت .. وكلهم خراساني في الجملة» ويقول أيضا « اختلاف التركي والخراساني ليس كاختلاف بين العجمي والعربي .. بل كاختلاف مابين المكي والمدني ، والبدوي والحضري ، والسهلي والجبلي ، وكاختلاف مابين الطائي الجبلي والطائي السهلي »[١٣٠] .

غير ان الجاحظ يعترف بتميز الاتراك باساليب خاصة في القتال ، وفي الفروسية والعناية بالخيل وصنع الأسلحة .

---

(١٢٩) مناقب الأتراك ٧١ .
(١٣٠) مناقب الاتراك ٩ ــ ١٢ ، وانظر ٣٤ .

ويذكر الجاحظ انالعرب النازلين في مدن خراسان وما وراء النهر أخذوا بمظاهر اللباس السائدة في الاماكن التي نزلوها ، فيقول «ترى أبناء العرب والاعراب الذين نزلوا خراسان لاتفصل بين من نزل ابوه فرغانة وبين أهل فرغانة ، ولاترى بينهم فرقا في السبال الصهب والجلود القشرة ، والاقفاء العريضة ، والاكسية الفرغانية ، وكذلك جميع تلك الارباع ، لاتفصل بين ابناء النازلة ، وبين ابناء النابتة »(١٣١) ، ان تشابه زي اللباس يظهر احتمال وجود كثير من العرب في هذه الدروب والقطائع المسماة باسماء مدن ما وراء النهر ؛ وان الاسماء العربية قد تدل على اسلامهم وعلى كثرة العرب فيهم ؛ وعلى أي حال فان وجودهم المتقدم في بغداد لم يثر المشاكل التي احدثها استقدام المعتصم للترك في بغداد •

ذكرنا ان من الدروب التي ذكرها اليعقوبي في ربض حرب هو درب كابلشاه ؛ وقد ذكر اليعقوبي «قطيعة شعبة بن يزيد الكابلي» عند ربض القس الذي يقع في هذه المنطقة (١٣٢) ؛ ونقل الخطيب عن ابراهيم الحربي قوله «قطائعنا في المراوزة ، يعني عندنا في الكابلية كان لي فيها اثنان وعشرون دارا وبستانا (١٣٣) •

ان كابل تقع في الاطراف الجنوبية الشرقية من الهضبة الايرانية ، وهي ليست من خراسان ، وأقرب المناطق اليها كرمان التي ذكر اليعقوبي « ربض الكرمانية والقائد بوزان بن خالد الكرماني »(١٣٤) ، وذكر ايضا «قطيعة رباوة الكرماني واصحابه» في الاطراف الجنوبية من المدينة المدورة عند القنطرة العتيقة •

---

(١٣١) كذلك ٦٣ •
(١٣٢) البلدان ٢٤٧ •
(١٣٣) الخطيب ٦/٢٩٦ •
(١٣٤) البلدان ٢٤٨ •

ويجدر ان نشير الى ربض الفرس ومربعتهم ، وهي متصلة بمربعة ابى العباس الطوسي في هذه المنطقة [١٣٥] .

نسبت بعض الارباض والاقطاعات الى جماعات من أهل مدن وأقاليم غير ان اكثرها مسماة بأسماء أشخاص أسماؤهم وأسماء آبائهم عربية مما يدل على أنهم كانوا أما عربا أو ممن اسلموا وتعربوا منذ أواسط زمن الخلافة الأموية ، ولايشذ عن ذلك الا قطيعة النصارى، وقطيعة أو ربض القس ، وكان من أهل المنطقة القدماء وله صلة بالمنصور ، وكذلك اللجلاج وهو طبيب مشهور ذكر ابن ابى اصيبعة انه رافق المنصور في حجته التي توفي فيها ، وله كناش في الطب مشهور .

ورد ذكر عدد من أصحاب الاقطاعات غير منسوبين ، وهم واضح ، وصاحب الركاب ، وهاشم بن معروف ، والحسن بن جعفرات ، واللجلاج ، وهبيرة بن عمرو ، وصالح البلدي ، وقابوس بن الصميدع، وخالد بن الوليد، والقس ، وبشر بن ميمون ، وزكريا بن الشخير ، ورداد بن زادان ، ولم تذكر المصادر الاخرى معلومات عنهم أو عن دورهم .

غير أن عددا كبيرا من أصحاب الاقطاعات وردت عنهم في المصادر الاخرى معلومات تظهر دورهم الملحوظ في الدعوة العباسية وثورتها ، أو في الادارة في زمن ابى جعفر المنصور ؛ وفيهم عدد ممن اشغل وظائف في الدواوين ، غير ان أكثرهم ولى مناصب عسكرية وقيادة جيوش أو امرة شرطة .

ومن الواضح أن بعض الاقطاعات كانت شخصية ، أي للمقطع واسرته ، غير أن كثيرا منها كانت للمقطع وجماعته ممن يتبعونه في القيادة أو من أهل بلده ، وان كانت المصادر لاتذكر معلومات عن طبيعة صلة صاحب الاقطاع بمن

---

(١٣٥) ياقوت ٤/٤٨٥ ، مراصد ١٢٥٣ .

استوطن الاقطاع معه ، وهل كان قائدا لهم ، وفي هذه الحالة هل كانت القيادة دائمة أم أنها تبدلت ، وما حكم وضعها عندما تتبدل قيادتها .

ان اليعقوبي الذي قدم أوسع المعلومات عن أسماء أصحاب الاقطاعات يذكر انه حدثت تبدلات في الاقطاعات ويقول «وفي هذه الارباض والقطائع ما لم نذكره ، لأن كافة الناس بنوا القطائع وغير القطائع وتوارثوا »[١٣٦] .

ويذكر ايضا ، عبارة عامة على كل بغداد وهي تنطبق على هذه المنطقة «وهذه القطائع والشوارع والدروب والسكك التي ذكرتها على مارسمت في أيام المنصور ووقت ابتدائها ، وقد تغيرت ومات المتقدمون من أصحابها ، وملكها قوم بعد قوم وجيل بعد جيل ، وزادت عمارة بعض المواضع ، وملك قوم ديار قوم ، وانتقل الوجوه والجلة والقواد وأهل النباهة من سائر الناس مع المعتصم الى سر من رأى في سنة ٢٢٣» [١٣٧] .

ذكر اليعقوبي بعض الاقطاعات التي انتقلت ملكيتها الى آخرين عن طريق الشراء أو عن طرق أخرى ، فذكر قطيعة « مولى أمير المؤمنين صاحب الركاب ، وهي الدار التي صارت لاسحق بن عيسى بن علي الهاشمي ، ثم اشتراها كاتب لمحمد بن عبدالله بن طاهر يقال له طاهر بن الحارث» ؛ و «قطيعة الفضل بن جعونة الرازي وهي التي صارت لداوود بن سليمان الكاتب ، كاتب أم جعفر المعروف بداوود النبطي» و «قطيعة خالد بن الوليد التي صارت لابى صالح يحيى بن عبدالرحمن الكاتب صاحب ديوان الخراج في أيام الرشيد تعرف بدور ابى صالح » .

ان بيع القطائع يدل على أنها كانت تعتبر ملكا للمقطع ، وبذلك يكون له حق التصرف فيها ، ويفترض بيعها انها لم تكن كبيرة ، ولم ترافق بيعها

---

(١٣٦) البلدان ٢٥٠ .
(١٣٧) البلدان ٢٥٤ .

المشاكل التي تنجم من وجود آخرين غير صاحب الاقطاع فيها • واباحة بيعها يدل على ان اقطاعها لم يتقيد بشروط ، وانما كان علاجا لوضع آني ، وحل وتنظيم لوضع قائم عند التقسيم ، ولم ترافقه قواعد لتنظيم التطورات التي قد تحدث في المستقبل • ويلاحظ انه لم تصلنا عن الفقهاء دراسات تدل على عنايتهم ببحث الاقطاعات في بغداد •

يتبين من المعلومات المتوفرة عن توزيع الاراضي حول المدينة المدورة في أوائل سني تأسيسها مايلي :

١ ــ يتميز اليعقوبي بعرضه المعلومات عن توزيع الارباض والقطائع والدروب، وسنسميها «القطائع» ، في هذا التلخيص ، مرتبة تبعا لتسلسل مواقعها• غير انه يغفل ذكر عدد غير قليل مما وزع ، ويذكر الخطيب أسماء قطائع موزعة لم يذكرها اليعقوبي ، ويغفل ذكر قطائع ذكرها اليعقوبي ، كما انه قلما يحدد مواقع القطائع التي يذكرها • أما ابن الفقيه فيتابع الخطيب في ذكر أسماء كثير من الاراضي الموزعة ؛ ويضيف عليه اسماء قطائع في الاطراف الشمالية من المدينة المدورة ، مع تحديد تقريبي لمواقعها ؛ وقد نقل ياقوت كثيرا مما ورد عند الخطيب وابن الفقيه دون ان يشير اليهما ، ولم ينقل عن اليعقوبي •

٢ ــ تتفق المصادر الخططية في وصف بعض القطائع ، وتختلف في عدد غير قليل ، فالارض الواحدة قد يذكر أحد المصادر انها « ربض » ، ويذكرها آخر «قطيعة» أو «درب» ؛ ويدل هذا الاختلاف على قلة الحرص في التدقيق وضعف أهميته وعلى حدوث تطورات تالية عليها •

٣ ــ سميت الاراضي الموزعة بأسماء أشخاص ، أو أهل مدن وأقاليم مفردين أو مع ذكر شخص معهم ؛ ولم تذكر أرض مسماة بأسم عشيرة أو قبيلة عربيــة •

٤ ـ أكثر المدن التي وزعت على أهلها أراضي في بغداد ، هي مدن في خراسان وبلاد ما وراء النهر ، يتلوها المدن والاقاليم الواقعة في جنوبي الهضبة الايرانية (كابل ، كرمان ، الفرس ؟) .

٥ ـ لم يرد ذكر قطائع موزعة بأسم عدد من المدن المشهورة مثل سمرقند وآمل ونيسابور وهراة وطوس ؛ كما انه لم تذكر أراضي لاهل المدن المشهورة في غربي الهضبة الايرانية مثل قزوين وآمل وهمذان والدينور وأصفهان ، ولا الأهواز ومدنها ، عدا تستر ، ولا مدن اقليم فارس .

٦ ـ أعطى بعض أهل المدن أو رجالها أقطاعان في مواضع متباعدة ؛ دون الاشارة الى هل ان ذلك راجع لكثرة عددهم ، أم الى سياسة مقصودة بتجزئتهم .

٧ ـ لم يراع في تنظيم توزيع الاقطاعات التتابع الجغرافي لمواقع المدن التي جاءوا منها ، ولم يرد ذكر للأساس الذي قام عليه تنظيم هذا التوزيع الذي لابد انه يعبر عن الاحوال السائدة في زمن ابى جعفر المنصور وعن سياسته .

٨ ـ أكثر الاقطاعات وزعت على المقاتلة ، فهي تعكس تركيب الجيش العباسي المقيم في بغداد عند تأسيسها ، ومن المحتمل ان هذا التركيب تمتد جذوره الى أواخر العهد الأموي وخاصة في خراسان .

٩ ـ أكثر القطائع في الاطراف الغربية والشمالية ، ولعل ذلك راجع الى سعة الاراضي الزراعية والخالية ، والى انها كانت مكشوفة وليست فيها موانع تعيق تقدم الاخطار المهددة لبغداد ، فاقامة المقاتلة فيها يؤمن الحماية لجهة مهددة ؛ أما الجهات الشرقية فكان يحميها نهر دجلة ، والاطراف الجنوبية تحميها شبكة الانهار المتفرعة من نهر عيسى (الرفيل) .

١٠ـ لم يذكر التركيب الداخلي لمن أسكن في كل من هذه الاقطاعات ؛

فالاقطاعات الشخصية هل اقتصرت على الفرد وأسرته ، أم على جماعته واتباعه ايضا ، واقطاعات أهل المدن هل كانت للعرب من أهل تلك المدن ، أم للأعاجم أم لكليهما معا ٠

١١ـ حدثت تطورات تالية في أحوال سكان الاقطاعات ، غير أن المناطق الشمالية ظلت محتفظة بطابعها العسكري حتى أواسط القرن الثالث ٠



الفصل التاسع

نفقـات الجيـش

العطـاء والرزق

كان المقاتلة المدوّنون في الديوان يدفع لهم منـذ زمن الخليفـة عمر بن الخطاب مبلغ سنوي من النقود يسمى «العطاء» وتوزع ايضا عليهم وعلى عيالاتهم مواد عينية تسمى « الرزق » [١] .

وقد ورد ذكر الرزق والعطاء في أخبار تقدم جيش الثورة العباسية الى الكوفة ، فقد وجّه القائد الأموي نداءاً الى الجيش العباسي «ندعوكم الى الخليفة مروان ، والى الرزق والعطاء الجاري»[٢] ، وأمر قحطبة شجرة بن مرة الكندي أن ينادي في أهل الشام «ندعوكم الى العطاء والرزق»[٣] ؛ ولما توجه العكي الى قم أغرى أهل الشام «بالعطاء والرزق»[٤] ؛ وكل هذه النصـوص تتعلق بأهل الشام في زمن الأمويين .

أما في زمن العباسيين فلم يرد ذكر «العطاء والرزق» معاً الا في نـص

---

(١) انظر كتابنا «التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة» ، ومقالنا «العطاء في الحجاز» المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي .

(٢) أخبار بني العباس ٢٢٩ .

(٣) أخبار بني العباس ٣٤٤ .

(٤) أخبار بني العباس ٣٢٠ .

واحد حيث يذكر الطبري أنه عندما تولى الأمين الخلافة «كتب الى صالح بن علي بحسن معاملة الجند وادرار أرزاقهم وأعطياتهم »[٥] .

وذكر «العطاء» مفردا في الثغور على مايأخذه المقاتلة المسجلون في الديوان ، فعندما جدّد بناء ملطية وشحنت بالجند ، جعل كل رجل في عشرة دنانير من العطاء»[٦] ، و «زاد الحسن بن قحطبة لكل رجل من أصل عطائه »[٧] .

أما في بغداد فلم يرد ذكر العطاء مفردا الا في خبر واحد وهو عندما خلع أهل بغداد ابراهيم بن المهدي «قطع العطاء عنهم»[٨] .

وأكثر ما يتردد في بغداد ذكر « الرزق » مفردا ؛ فلما اعلنت خلافة أبى العباس السفاح جعل ابو سلمة «رزق الرجل ثمانين درهما» [٩] .

ولما بايع الناس الأمين بعد وفاة الرشيد « أمر لهم برزق ٢٤ شهرا »[١٠] ، وعندما أراد الأمين ارسال أسد بن يزيد لقتال المأمون طلب أسد لأصحابه رزق سنة [١١] ؛ وعندما انضم بعض قواد طاهر بن الحسين الى الأمين أمر لهم بأرزاق أربعة أشهر [١٢] ، وألحق وجبة أخرى من المنضمين اليه « بالثمانين في الأرزاق» [١٣] .

ولما شغب الجند على طاهر بن الحسين أمر لهم برزق أربعة أشهر [١٤] ،

---

(٥) الطبري ٣/٧٧٠ .
(٦) فتوح البلدان ١٨٦ .
(٧) فتوح البلدان ١٦٨ .
(٨) الطبري ٣/١٠٣٢ .
(٩) أخبار بني العباس ٣٧٦ .
(١٠) الطبري ٣/٧٦٥ .
(١١) الطبري ٣/٨٣٥ .
(١٢) الطبري ٣/٧٩٠ .
(١٣) الطبري ٣/٨٦٧ .
(١٤) الطبري ٣/٩٣٥ .

وأعطى المأمون رزق اثني عشر شهرا [١٥] .

وقد سمى المقاتلة بذلك « المرتزقة» [١٦] .

ويسمى رزق الجند « الطمع» وأطماع الجند أرزاقهم ، يقال أمر لهم الأمير بأطماعهم ، أي بأرزاقهم [١٧] . وقد تطلق الاطماع على وقت قبضها[١٨] .

كان العطاء أو الرزق يدفع بالنقود ، ولم يرد ذكر لتوزيع مواد عينية الا في حالة واحدة ، اذ ذكر الطبري أن ابراهيم بن المهدي بعد أن بايعه أهل بغداد بالخلافة في سنة ٢٠٢ «وعد الجند أن يعطيهم أرزاق الستة أشهر ، فدافعهم بها ، فلما رأوا ذلك شغبوا عليه ، فأعطاهم مائتي درهم لكل رجل ، وكتب لبعضهم الى السواد بقيمة بقية مالهم حنطة وشعيرا ؛ فخرجوا في قبضها ، فلم يمروا بشيء الا انتهبوه ، فأخذوا النصيبين جميعا ، نصيب أهل البلاد ونصيب السلطان»[١٩] ؛ ولاريب في أن هذه حالة خاصة وقعت في ظروف شاذة يبدو فيها عدم توفر النقود التي تكفي لسد عطائهم ، مما سببت بعض الفوضى ، ومما يؤيد أن الجند في بغداد لم توزع عليهم مواد عينية هو عدم ورود ذكر لدار رزق أو مخازن اهراء في أبنية بغداد وخططها .

يذكر البلاذري أن أبا مسلم وجّه جيشا مع قحطبة بن شبيب في سنة ١٣٠ «وحمل معهم مالا عظيما لأعطيتهم ، وكانوا في ستين وفي ثمانين وفي مائة من العطاء»[٢٠] ؛ وهذا النص يذكر ثلاثة أصناف من العطاء ، ولكنه لايذكر الحد الأدنى منه .

---

(١٥) الطبري ٧٧٢/٣ .
(١٦) الطبري ٤٩٤/٣ ، ٧١٠ .
(١٧) لسان العرب ١١٠/١٠ ؛ ١١٦/١١ .
(١٨) لسان العرب ١١٠/١٠ .
(١٩) الطبري ١٠١٦/٣ .
(٢٠) انساب الاشراف ١٣٥/٣ .

وذكر مؤلف « أخبار بني العباس ، أنه عندما اعلنت خلافة أبى العباس في الكوفة خطب أبو سلمة الخلال وقال «ان أهل بيت اللعنة (الأمويين) كانوا يفرضون للجند في السنة ثلاثمائة درهم ، وأنا قد جعلت رزق الرجل منكم في الشهر ثمانين درهما ، وسأخص قوادكم وأهل القدم والسوابق منكم بجوائز سنية أجريها عليكم لكل رجل بقدر استحقاقه .. ثم تحول فعسكر بحمام أعين ، وفرض للجند : فجعل رزق الرجل في الشهر ثمانين درهما ، وأجرى للخواص كبراء القواد وأهل الغناء من النقباء وغيرهم مابين ألف الى ألفين ، وخصّ من دونهم مابين مائة الى ألف [٢١] .

غير أنه في سنة ١٣٥ انقص ابو العباس السفاح العطاء الى ستين درهما ، ثم أعاده أبو جعفر عندما ولي الخلافة وصيّره ثمانين [٢٢] .

وردت في الأخبار عدة اشارات الى الثمانين وخاصة في زمن خلافة محمد الأمين ، فذكر الطبري أنه لما قامت الحرب مع المأمون ، أرسل الأمين عيسى بن ماهان وعقد له على خمسين ألف فارس من أهل بغداد ، وأمره « أن يخصّ من أحب ، ويرفع من أراد الى الثمانين»[٢٣] . وعندما قتل علي بن عيسى أمر الأمين للجند «بأرزاق أربعة أشهر ، ورفع من كان دون الثمانين الى الثمانين»[٢٤] . وعندما خرج من عسكر طاهر بن الحسين حوالي خمسمائة وانضموا الى الأمين «وعدهم ومنّاهم وأثبت أسماءهم في الثمانين»[٢٥] .

وقد أمر المأمون طاهر بن الحسين عند ارساله الى بغداد «برفع من كان

---

(٢١) أخبار بني العباس ٣٧٦ .
(٢٢) أنساب الأشراف ١٠٧/٣ .
(٢٣) الطبري ٨٣٧/٣ .
(٢٤) الطبري ٨٣٧/٣ .
(٢٥) الطبري ٨٦٦/٣ .

معه دون الثمانين الى الثمانين»[٢٦] ؛ وعندما استأمن عدد من قواد الأمين وجنده الى طاهر بن الحسين ألحقهم هذا «جميعا بالثمانين في الأرزاق»[٢٧] .

يتبين من هذه النصوص أن الثمانين هي المقدار المقبول اعتياديا من الرزق ، وهو طبعا مقدّر بالدراهم ؛ ويقتضي سياق النصوص أن التقدير بالشهر ؛ وبذلك يختلف عن التقدير السنوي للعطاء في زمن الراشدين والأمويين . ومن الطبيعي أن جعل العطاء شهريا ، بدل أن يكون سنويا ، ييسر تنظيم الأمور المالية ، ويخفف من تكرر « تأخير » دفع العطاء في موعده .

ذكر في عدد من النصوص التي أوردناها أعلاه «رفع من كان دون الثمانين الى الثمانين»[٢٨] ، مما يدل على وجود صنف من العطاء يقل عن الثمانين . وفي الكتب اشارات الى ذلك ، فعندما ثار ابراهيم بن الحسن في البصرة «فرض لكل رجل خمسين خمسين»[٢٩] ، وعندما حدث الاضطراب على الحسن بن سهل ، أعطى قائده عيسى بن محمد «الفارس أربعين ، والراجل عشرين درهما »[٣٠] ، وكان علي بن هشام قد أعطى الجند عندما ثار ابراهيم ابن المهدي خمسين درهما ، فلما خلع أهل بغداد ابراهيم بن المهدي واستدعوا حُمَيد شرطوا عليه أن يعطي جند أهل بغداد كل رجل منهم خمسين درهما «فعرض حميد جند أهل بغداد وأعطاهم الخمسين التي وعدهم ، فسألوه أن ينقصهم عشرة عشرة ، فيعطيهم أربعين أربعين درهما لكل رجل منهم لما كانوا تشاءموا به من علي بن هشام حين أعطاهم الخمسين فغدر بهم وقطع العطاء عنهم ، فقال لهم حميد لا بل أزيدكم وأعطيكم ستين درهما لكل رجل»[٣١] .

---

(٢٦) الطبري ٣/٨٣١ .
(٢٧) الطبري ٣/٨٦٧ .
(٢٨) الطبري ٣/٨٢٧ ، ٨٣١ ، ٨٦٦ .
(٢٩) الطبري ٣/١٣٠١ .
(٣٠) الطبري ٣/١٠٠٨ .
(٣١) الطبري ٣/١٠٣١ — ٢ .

ان هذه النصوص تظهر وجود صنف عطاؤه خمسين أو أقل ، غير أننا لم نجد اشارة الى عددهم أو نسبتهم من المجموع العام .

أشار البلاذري الى أن المنصور جعل لمن فرض في ملطية « زيادة عشرة دنانير لكل رجل»[٣٢] ؛ وأن الحسن بن قحطبة لما غزا الروم قرّر «زيادة عشرة دنانير لكل رجل من أصل عطائه »[٣٣] ، ويدل ظاهر النص على أن العشرة دنانير هي اضافة الى العطاء الأصلي الذي لم يذكر مقداره ، وبذلك تكون موقتة ، لأن لو كانت الزيادة ثابتة ، فان مقدارها بالدراهم يساوي مائتين وخمسين درهما (اذ ان سعر الصرف كان ٢٥ درهما للدينار) وهو مقدار كبير بالرغم من الظروف الخاصة في الثغور مما تلقى واجبات اضافية على الجند . ولاريب في أن بلاد الشام حيث كانت جباياتها بالدنانير .

وكان الجند يأخذون أيضا هبات اضافية وقتية في بعض المناسبات : فقد أعطى المنصور لمن أسكنه ملطية «معونة مائة دينار ، وأقطع الجند المزارع»[٣٤] ؛ ولما ندب شبيب لقتال عبدالسلام الخارجي ، وكان معه ألف فارس «أعطى كل رجل منهم ألف درهم معونة »[٣٥] ، ولما توفي المهدي أمر الرشيد لمن معه «بجوائز مائتين مائتين» [٣٦] .

وكان للقادة وأهل البلاء عطاء خاص أشار مؤلف « أخبار بني العباس » الى حالة منه حيث ذكر انه عندما أعلنت خلافة ابى العباس السفاح « أجرى للخواص وكبراء القواد وأهل الغناء من النقباء وغيرهم مابين ألف الى ألفين ، وخصّ من دونهم مابين مائة الى ألف»[٣٧] .

---

(٣٢) فتوح البلدان ١٨٦ .
(٣٣) فتوح البلدان ١٦٨ .
(٣٤) فتوح البلدان ١٨٦ .
(٣٥) الطبري ٣/٤٩٣ .
(٣٦) الطبري ٣/٥٤٦ .
(٣٧) أخبار بني العباس ٣٧٦ .

ولعل هذه المبالغ هي أصناف من العطاء في العصر العباسي الاول ٠

ويذكر الطبري في كلامه عن تنظيمات أنوشروان ان بابك عارض الجيش في زمن أنوشروان أعطى كسرى أربعة الاف درهم «وكان يفضل الملك في العطاء على أكثر المقاتلة عطاءا بدرهم»[٣٨] ، أي أن أعلى عطاء كان أربعة الآف درهم في السنة ؛ ولعل هذا المقدار هو الذي كان يعطى في زمن العباسيين أيضا ٠

ذكرنا أن الرزق في بغداد في صدر العصر العباسي كان مقدرا «شهريا» غير أنه توجد اشارات الى أنه لم يكن يدفع بالفعل كل شهر ، وانما كان يدفع كل «عدة أشهر» ، وذكر من ذلك ماكان يدفع كل أربعة أو ستة أو اثنى عشر شهرا ٠

فلما قتل علي بن عيسى وشغب الجند أمر لهم الأمين «بأرزاق أربعة أشهر»[٣٩] ، ولما شغب الجند على طاهر بن الحسين «أمر لهم برزق أربعة أشهر »[٤٠] ٠

ولما شغب أهل الحربية على الحسن بن سهل في سنة ٢٠٠ «جعل يعطي الجند أرزاقهم لستة أشهر عطاءا نزرا »[٤١] ؛ وفي تلك السنة وعد ابراهيم بن المهدي الجند أن يعطيهم أرزاق ستة أشهر ، ثم شغبوا عليه ، فأعطاهم مائتي درهم لكل رجل ، وكتب لبعضهم الى السواد بقيمة بقية مالهم حنطة وشعيرا »[٤٢] ٠

---

(٣٨) الطبري ١/٩٦٤ ٠
(٣٩) الطبري ٣/٨٢٦ ٠
(٤٠) الطبري ٣/٩٣٥ ، ٩٣٦ ٠
(٤١) الطبري ٣/٩٩٩ ٠
(٤٢) الطبري ٣/١٠٦٦ ٠

وعندما ولى الأمين الخلافة «أعطى الجنود رزق اثني عشر شهرا»[٤٣] وعندما لجأ بعض قواد المأمون الى الأمين ابان الحرب بينهما ، أمر الأمين «من كان قبض منهم الستة أشهر برزق اثني عشر شهرا ، ولمن لم يقبضها بثمانية عشر شهرا»[٤٤] .

وكل هذا يدل على أن العطاء لم يكن يدفع دائما شهريا ، وانما كان في كثير من الأحيان يدفع كل بضعة أشهر ، قد تكون أربعة أو ستة أو اثني عشر شهرا .

ويذكر الطبري أن المتوكل لما بويع بالخلافة وضع العطاء للجند لثمانية أشهر [٤٥] ، وأنه «لما أمر للأتراك برزق أربعة أشهر ، وللجند الشاكرية ومن يجري مجراهم برزق ثمانية أشهر ، وأمر للمغاربة برزق ثلاثة أشهر ، فأبوا ان يقبضوا ، فأرسل اليهم من كان منكم مملوكا فليمض الى أحمد بن ابى دؤاد حتى يبيعه ، ومن كان حرّاً صيّرناه أسوة الجند ، فرضوا بذلك » ، ثم تكلم فيهم وصيف فرضي عنهم المتوكل «فأعطوا ثلاثة ، ثم أجروا بعد ذلك مجرى الأتراك » [٤٦] .

ظل هذا النظام الى زمن المعتضد حيث حلّ محله ترتيب جديد في دفع العطاء ذكر تفاصيله مؤلف كتاب «البرهان في علوم البيان» فقال : « وكان الجند فيما تقدم يفضلون في الأرزاق وشهورهم واحدة ، وكانت استحقاقاتهم تتوافى في وقت واحد ، فمتى تأخر عنهم مالهم اجتمعت كلمتهم على الطلب ، ولقى معاملهم جلا من الشغب ».

---

(٤٣) الطبري ٣/٧٧٣ .
(٤٤) الطبري ٣/٨٢٦ .
(٤٥) الطبري ٣/١٣٦٩ .
(٤٦) الطبري ٣/١٩٧٠ .

فلما تقلد شيخنا ابو القاسم عبيدالله بن سليمان رحمه الله للمعتضد بالله لطف لتفرقة أرزاقهم والمخالفة بين أوقات استحقاقهم بأن زاد من أخر رزقه بمقدار الزيادة في الكلام ، واقتصر بمن قدم رزقه على مالايقصر عن مؤونته ، فسلم بذلك من شغبهم وذمهم ، وجمع ما منع ترفيه نفسه وسلطانه ، لأن معظم الأموال والأرزاق الوافرة اذا تأخرت الى أمد بعيد تحمل في مثلها أموال النواحي وتلحق فيها الغلات درت الارزاق وقل الخلاف ، وتفرقت مع ذلك كلمة الجند باختلاف أوقات أطماعهم ، ولم يكن لمن لم يجب له رزق أن يشغب على من وجب رزقه ، ولا أن يطالب بما لم يستحقه ، واذا تفرقت الكلمة وتشتت الجماعة انكسرت الشوكة وقلت المؤونة .

وجعل أقرب الأطماع النوبة وهي في المشاهرة في كل ثلاثين يوما .
ثم أرزاق الحشم وهي في كل أربعين يوما .
ثم أرزاق المماليك من الخدم والغلمان الحجرية ومن جرى مجراهم في كل شهرين .
ثم أرزاق المختارين في كل خمسة وسبعين يوما .
ثم أرزاق التسعينية ، وأرزاقهم في كل تسعين يوما .
ثم الأحرار الفطم في كل مائة وخمسة أيام .
ثم الأحرار الحلين (؟) في كل مائة وعشرين يوما .
ثم الموسابادية وأصحاب الرقاب في كل مائة وثمانين يوما .
يجري الأمر على هذا (٤٧) .

للعطاء أهمية كبيرة في تأمين ضبط الجند ، وقد أشارت الى ذلك نصوص وردت في كتب الآداب العامة ، ومنها ما عبَّر عنه أسد بن يزيد بن مزيد حيث

(٤٧) البرهان في علوم البيان ٣٦٣ .

قال للأمين «وانما ملاك المحارب الجنود ، وملاك الجنود المال»[48] .

وفي الأخبار اشارات الى أثر العطاء في تقرير ضبط الجند ، وقد ذكرنا من قبل اغراء الجند ابان الثورة العباسية بالقتال لقاء اجراء العطاء والرزق[49].

ويذكر الطبري أنه عندما توفي المهدي نصح يحي البرمكي الرشيد بأن يدفع لمن معه من الجند جوائز وينادي فيهم بالقفول «فانهم اذا قبضوا الدراهم لم تكن لهم همة سوى أهاليهم وأوطانهم ، ولا عرجة على شيء دون بغداد ، قال ففعل ، وقال الجند لما قبضوا الدراهم : بغداد بغداد يتبادرون اليها»[50].

ولما ولى الأمين الخلافة ، أعطى المأمون الجند رزقهم « وأمر الناس بالرحيل ، ففعلوا ذلك محبة منهم للحوق بأهلهم ومنازلهم ببغداد ، وتركوا العهود التي كانت أخذت عليهم للمأمون»[51] .

وقد أدرك المأمون هذه الحقيقة فقال عندما أعلن خلع بيعة الأمين «وانما الناس مائلون مع الدراهم ، منقادون لها ، لا ينظرون اذا وجدوها حفظ بيعة ولا يرغبون في وفاء عهد ولا امانة »[52] .

ومما يظهر أثر العطاء في ضبط الجند الشغب الذي كان يحدث عندما يتأخر دفع العطاء .

ذكر الآبي في كتاب « نثر الدرر » ثلاث حوادث شغب للجند في أوائل العصر العباسي . فقال ان ابا العباس « وقّع الى كاتب جنده وقد شغبوا عليه في الأنبار ، بلغ المغترين عنى أبرمتم باعجاركم ، أم عظمت نعمة الله عليكم

---

(٤٨) الطبري ٨٣٥/٣ .
(٤٩) أخبار بني العباس ٢٢٩ ، ٣٤٤ .
(٥٠) الطبري ٥٤٦/٣ .
(٥١) الطبري ٧٧٣/٣ .
(٥٢) الطبري ٨١٥/٣ .

في دينكم ودنياكم ، فلا تكونوا عظة العقلاء ورواية الجهلاء ، فتحبط أعمالكم، وتخيب آمالكم ، والعطاء غير مؤخر عن وقته ان شاء الله » (٥٣) .

وذكر أن أبا جعفر المنصور «كتب اليه صاحب أرمينية أن الجند شغبوا عليّ وطلبوا أرزاقهم ، وكسروا أقفال بيت المال وانتهبوه ، فأمر بعزله ووقّع : لو عدلت لم يشغبوا ، ولو قويت لم ينهبوا »(٥٤) .

كما ذكر أن الجند شغبوا على هرون الرشيد ثم سكنوا بعد الايقاع بهم ، ثم خطب فيهم الرشيد وقال «ألا يكفر لكم بلاء ، ولا يحبس عنكم عطاء»(٥٥).

وقد أشار ابن رضوان الى أن «تأخير العطاء يحوجهم الى المداينات من رؤسائهم وغيرهم فيضعفهم ذلك ، وتقل فائدة العطاء بعد التأخر »(٥٦) .

الفـرض

تقضي الأحوال ادخال عدد من المؤهلين في سجل المقاتلة ؛ ويتم هـذا عادة عندما تظهر حالات خطرة لاتقوى المقاتلة الموجودة على علاجهـا . وهي تفترض وجود مدربين على القتال وراغبين في الانضمـام الى الجنديـة لسد النقص في عدد المقاتلة أو لمعالجة ضعف كفايتهم في القتال .

وقد حدثت هذه الاضافات ، وهي تسمى «الفرض» ، في زمن الأمويين عدة مرات آخرها عندما توفي يزيد بن الوليـد ففـرض مروان بن محمـد «لستة وعشرين ألفا من قيس ، وسبعة الآف من ربيعة ، فأعطاهم اعطياتهم»(٥٧).

---

(٥٣) الالي : نثر الدرر ٣/٨٠ .
(٥٤) الابي : نثر الدرر ٣/٨٥ .
(٥٥) الايي : نثر الدرر ٣/١٠٠ وانظر الشهب اللامعة لابن رضوان ٣٧٣ .
(٥٦) الشهب اللامعة ٣٨١ .
(٥٧) تاريخ خليفة ٣٩٠ .

وعندما دخل جيش قحطبة بن شبيب جرجان فرض لخمسة آلاف رجل من جرجان [٥٨] .

وبعد أن بويع أبو العباس السفاح في الكوفة ، تحوّل أبو سلمة الخلاّل الى حمام أعين وفرض للجند[٥٩] .

ورد ذكر الفرض في البصرة ، فلما ظهر ابراهيم بن الحسن بالبصرة «فرض لكل رجل خمسين خمسين»[٦٠] ؛ وفي سنة ١٥٩ «وجه المهدي عبدالملك ابن شهاب المسمعي في البحر الى بلاد الهند وفرض معه لألفين من أهل البصرة من جميع الأجناد واشخصهم معه »[٦١] .

غير أن أكثر ما ذكر من حالات الفرض في أوائل زمن العباسيين كانت في الثغور التي هددها الروم ؛ فيروى البلاذري انه «لما استخلف ابو العباس فرض بالمصيصة لاربعمائة زيادة في شحنتها واقطعهم»[٦٢] .

« ثم لما استخلف المنصور فرض بالمصيصة لأربعمائة رجل»[٦٣] ، ولما استخلف المهدي فرض بالمصيصة لألفي رجل ولم يقطعهم ، لأنها قد كانت شحنت من الجند والمطوعة [٦٤] .

وفرض المهدي لحصن الحدث «فرضامنأهلالشاموالجزيرة وخراسانفي أربعين دينارا من العطاء ، وأقطعهم المساكن ، وأعطى كل امرىء منهم ثلاثمائة درهم » [٦٥] .

---

(٥٨) أخبار بني العباس ٣٣٠ .
(٥٩) أخبار بني العباس ٣٧٦ .
(٦٠) الطبري ٣/٣٠١ .
(٦١) الطبري ٣/٤٦١ .
(٦٢) فتوح البلدان ١٦٤ .
(٦٣) فتوح البلدان ١٦٥ .
(٦٤) فتوح البلدان ١٦٥ .
(٦٥) فتوح البلدان ١٨٩ .

المطوّعة

يتردد في العصر العباسي الأول ذكر المطوّعة واسهامهم في القتال . وكلمة «مطوعين» مشتقة من الطوع أي الاختار ، مقابل الكره ، وقد ورد تعبير الطوع والكره في القرآن الكريم في عدة آيات [٦٦] ، وذكر القرآن الكريم « الذين يلمزون المطوّعين من المؤمنين في الصدقات »[٦٧] .

والمقصود بالمطوعة الذين يقاتلون في الجيش تطوعا وبرغبة ذاتية ومن دون ان يأخذوا مقابل ذلك رزقا أو عطاءا ؛ فقتالهم راجع الى دوافع ذاتية وايمان بوجوب القتال .

ذكر الطبري « مقاتلة في الجيش الاسلامي كانوا في خراسان يغزون بلا عطاء »[٦٨] غير أنه لم يسمهم مطوعة ، وهو تعبير يتردد في زمن العباسيين ، ويظهر أن وجودهم كان يزيد من عدد الجيش وقدرته على القتال ، ولايلقى على الدولة أعباءا مالية ، والراجح أنهم كانوا أفرادا يتميزون بالقدرة على القتال وبالحماس له ، ويخضعون عند اشتراكهم في القتال لأوامر القائد الأعلى في الجبهة ، ويبدو أنهم كانوا يكونون صنفا قائما بذاته ، رغم أن الأخبار لم تذكر تنظيماتهم .

ذكرت المطوعة في البصرة ، اذ ذكر الطبري انه في سنة ١٥٩ ، وجّه المهدي عبدالملك بن شهاب المسمعي في البحر الى بلاد الهند وأشخص معه قوات فرض لهم من أهل البصرة ومن الأساورة والسيابجة وأهل الشام «وأشخص معه من المطوعة الذين كانوا يلزمون المرابطات ألفا وخمسمائة رجل .. وخرج معه من مطوعة أهل البصرة بأموالهم ألف رجل »[٦٩] .

---

(٦٦) آل عمران ٨٣ ، التوبة ٥٣ ، الرعد ١٥ ، فصلت ١١ .
(٦٧) التوبة ٧٩ .
(٦٨) الطبري ١٣٥٤/٢ .
(٦٩) الطبري ٤٦١/٣ .

وتردّد ذكر المطوعة في مناطق الثغور، فيروى الطبري انه في سنة ١٦١ «غزا في الصائفة الحسن بن قحطبة في ثلاثين ألف مرتزق سوى المطوعة»[٧٠] ، ويروي البلاذري أن المصيصة كانت قبيل زمن المهدي شحنت من الجند والمطوعة[٧١] ويذكر أن الرشيد «أمر ببناء الهارونية وشحنت بالمقاتلة ومن نزح اليها من المطوعة»[٧٢] ، وفي سنة ١٩٠ فتح الرشيد هرقلة «وكان دخلها فيما قيل في ١٣٥ ألف مرتزق سوى الاتباع وسوى المطوعة وسوى من لاديوان له»[٧٣] .

النفقات والكلفة الاجمالية

ذكر البلاذري ان المنصور أعطى الجند الذين أنهضهم مع أبى مسلم لقتال عبدالله بن علي ، اثني عشر ألف ألف درهم ، ويقال ثمانية عشر ألف ألف[١] ، وارسل ابو جعفر جيشا الى افريقية مع يزيد بن حاتم خمسين ألفا وأنفق على جيشه ثلاثة الآف ألف[٢] .

يظهر من هذين الرقمين مدى كبر المبلغ الذي كان يدفع للجند الذين استقر مقامهم في بغداد مع المقاتلة والحرس ؛ ولاريب في أن نقل عدد من الخراسانيين وغيرهم للاقامة الدائمة في الثغور خفف بعض الأعباء عن بيت المال في بغداد ، نظرا لان المقيمين في الثغور كانوا يأخذون عطاءهم وأرزاقهم من جبايات بلاد الشام كما يظهر ذلك من دفع العطاء بالدنانير التي كانت أساس التعامل في الشام ، وليس في العراق الذي كان تعامله بالدرهم .

وقد انفذت من بغداد عدة حملات لقمع الثورات في مناطق مختلفة من

---

(٧٠) الطبري ٣/٤٩٤ .
(٧١) فتوح البلدان ١٦٥ .
(٧٢) فتوح البلدان ١٧٠ .
(٧٣) الطبري ٣/٧١٠ .
(١) أنساب الاشراف ٣/١٠٧ .
(٢) تاريخ الموصل للازدي ٢١٨ .

الدولة ، وكان هذا الانفاذ يتطلب الاهتمام بالانفاق على الجند المشاركين فيه . ومن المحتمل أن بعض نفقات الجند كانت تسد من جباية المناطق التي يقـاتل فيها الجيش ، غير أن هذا لايقطع بعدم اسهام بغداد في اعداد الحملات وفي بدء تحركهـا .

يظهر من خطبة أبى سلمة الخلال التي ذكرناها أن المبلغ السوى للمقاتل الاعتيادي في زمن الأمويين كان ثلاثمائة درهم في السنة ، وأن العباسـيين رفعوه الى ثمانين درهم في الشهر ، أي حوالي ألف درهم في السنة ، مما كان له أثر في تحسين الأحوال المعاشية للجند ، ولابد أنه عالج الشكوى التي كان يتشكى منها المقاتل في آخر زمن الأمويين .

غير أن العباسيين أوقفوا توزيع المواد العينية ، وخاصة الحنطة ، على الجند ، فرفع مقدار العطاء للجندي كان يقابله حرمانه من المواد العينية ، ومـع هذا فان الزيادة جعلت دخل الجندي أكبر مما كان في زمن الأمويين ، فأصبح مرفها نسبيا . ويجدر أن نشير الى أن ابراهيم بن الحسن العلوي « فرض لأصحابه لكل رجل خمسين درهما »[٣] ، وهو أقل مما فرضه لهم العباسيون .

كان العطاء يدفع بالدراهم التي كان مصدرها الجباية وخاصة من الخراج، ولابد أن ايقاف توزيع المواد العينية زاد من نشاط حركة السوق المحلي والعام، اذ اصبح على المقاتل أن يشتري مايحتاجه من الحبوب خاصة من السـوق المحلي الذي يعتمد بدوره على مايستورده من الريف ، وبذلك أصبح الريف يبيع منتوج أرضه الى المدينة ، ويأخذ مقابل ذلك الدراهم التي تمكنه مـن دفع ما عليه من الخراج ، بينما كان عليه في زمن الراشدين والأمويين أن يدفع الدراهم والمنتوج الذي يوزع على المقاتلة دون مقابل ، مما كان يؤدي الى تناقص الدراهم عند الفلاحين فيضعف قدرتهم على دفع الخراج ويعرّضهم

(٣) تاريخ الموصل ١٨٨ .

الى كثير من المشاكل والى التعذيب أحيانا • فالسياسة الاقتصادية الجديدة نشطت الحركة التجارية بين المدينة والريف ، وجعلت من بغداد سوقا كبيرة ، أو لعلها أكبر الأسواق في العراق ؛ لأن ايقاف دفع العطاء الى المقاتلة من أهل الكوفة لابد أن يؤدي الى تقليل موارد الكوفة والزامها على الاعتماد في معيشتها على مواردها الخاصة من صناعة أو متاجرة أو عمل في الزراعة • أما بغداد فأصبحت حياتها التجارية النشطة تعتمد على الموارد التي تجنيها من الريف ومن الأقاليم الاخرى بالاضافة الى مواردها من نشاطها الخاص •

ان شهرة الخليفة أبو جعفر المنصور بتدقيق الحسابات والحرص على منع التلاعب فيها والاشارات الكثيرة الى سجلات الدواوين وتدقيقها ، ترجح وجود سجلات للموارد والمصروفات • غير أن المصروفات في العراق في العهود الاسلامية لم يصلنا عنها سوى ثلاثة نصوص ، أحدها من زمن زياد والي العراق في زمن معاوية ، والثانية من زمن ولاية يوسف بن عمر في خلافة يزيد بن عبدالملك ، والثالثة من تقدير علي بن عيسى ، في زمن خلافة المقتدر •

فأما المصروف في زمن زياد فان المدائني يروى عن مسلمة بن محارب «كان زياد يجبي من كور البصرة ستين ألف ألف ، فيعطي المقاتلة من ذلك ستة وثلاثين ألف ألف ، ويعطي الذرية ستة عشر ألف ألف ، وينفق نفقات السلطان ألفي ألف ، ويجعل من بيت المال للبوايق والنوائب ألفي ألف ، ويحمل الى معاوية ثلثي الأربعة الآف ألف ، لأن جباية الكوفة ثلثا جباية البصرة ، وحمل عبيدالله بن زياد الى معاوية ستة الآف ألف درهم ، فقال اللهم أرض عن ابن أخي »[٤] ، ويذكر المسعودي ان عبيدالله بن زياد خطب قبيل خروجه من البصرة وقال «في بيت ما لكم مائة ألف ألف ، ومقاتلتكم ستون ألفا وعطاؤهم وعطاء العيال ستون ألف ألف » [٥] •

---

(٤) أنساب الاشراف ٤ ــ ١٨٩/١ •

(٥) مروج الذهب ٨٤/٣ •

أما يوسف بن عمر فانه كان يجبي من العراق في كل سنة ستين ألف ألف الى سبعين ألف ألف ، ويحتسب عطاء من قبله من أهل الشام ستة عشر ألف ألف وفي نفقة البريد أربعة الآف ألف درهم ، وفي الطوارق ألفي ألف ويبقى في بيوت الأحداث والعوائق عشرة الآف ألف درهم (٦) .

وبمقارنة المصروفات بين زمن زياد وزمن يوسف بن عمر نلاحظ اختلافات كبيرة : منها أن مجموع جباية العراق في زمن زياد هي مائة مليون ، ولكنها في زمن يوسف بن عمر ستون مليونا ؛ ثم أن المصروفات في زمن يوسف بن عمر لايذكر فيها تقدير عطاء أهل الكوفة وذراريهم ، وانما اقتصر على ذكر عطاء أهل الشام في العراق ، ومقداره ستة عشر مليونا ؛ فهل هو اربعون مليونا وهو مقدار الفرق بين الميزانيتين ؟ يضاف الى ذلك أن في مصروفات يوسف بن عمر أربعة ملايين درهم للبريد ، وهو مقدار كبير قد يكون المقصود منه ما يرسل الى بيت المال في الشام . وقد أبقى يوسف بن عمر للطوارق مليونين ، وهو كالمبلغ الذي كان في زمن زياد ، ولكنه أضاف بابا للاحداث والعوائق ومقداره عشرة ملايين درهم .

ويجدر أن نشير الى أن عطاء المقاتلة في خراسان كان في أواخر العصر الأموي عشرة الآف ألف درهم (٧) .

أما تقدير عيسى بن علي في سنة ٣٠٤ فيبلغ ٢/٥٦٠/٩٦٠ دينارا ولكنه اقتصر على ذكر مصروفات دار الخلافة بما فيها من حرس خاص ، وهذا من مجموع الجباية العامة التي قدرها ١٤/٨٢٩/٨٤٠ دينارا ؛ وورد في تقديرات علي بن عيسى ٥٢٨/٨٤٠ دينارا للاتراك ، و ٧٩ر٧٧٦ دينارا لساسة الكراع ، و ٢٣٢ر٣٢٥ للجلساء ، و ٢٧١ر٥٢٠ للغلمان (٨) .

---

(٦) الأحكام السلطانية ١٦٧ .
(٧) أنساب الأشراف ٣/٢٢٧ .
(٨) رسوم دار الخلافة ٢٢ ــ ٢٤ .

أورد الجهشياري في كتابه «الوزراء» التقدير الذي عمله أبو الوزير عمر بن المطرف لما يصل بغداد من جبايات الاقاليم [٩] ، كما ذكر ابن خرداذبة وقدامة مقدار جباية طساسيج السواد ، وذكرت بعض الكتب مقدار ماكان يجبى من بعض الاقاليم في صدر الاسلام ، أو مقدار ماكان يرسل الى « الحضرة » في بغداد ، وهي مقاربة للأرقام التي ذكرها أبو الوزير مما يبرر اعتبار قائمته هي المعدل السنوي لمقدار الجبايات .

في أخبار الدولة الأموية مايشير الى أن جباية الأقاليم كانت ترسل لسد عطاء المقاتلة الذين قاموا بفتح الاقليم ، وأن تطبيق هذه القاعدة أحدث بعض الاختلال في زمن الخليفة معاوية حيث كانت موارد أهل البصرة أقل ماتكفي لسد نفقات مقاتلتها ، لذلك أجرى تعديلا في ذلك اذ «كانت نهاوند من فتوح أهل الكوفة ، والدينور من فتوح أهل البصرة ، فلما كثر المسلمون بالكوفة احتاجوا الى أن يزادوا في النواحي التي كان خراجها مقسوما فيهم ، فصيّرت لهم الدينور ، وعوّض أهل البصرة نهاوند لأنها من أصبهان ، فصار فضل مابين خراج الدينور ونهاوند لأهل الكوفة ، فسميت نهاوند ماه البصرة، والدينور ماه الكوفة وذلك في خلافة معاوية » [١٠] .

ان تطبيق هذه القاعدة يظهر أن جبايات أقاليم المشرق كانت تصرف لسد نفقات المقاتلة في البصرة والكوفة ، ولايرسل منها الى الخلافة في دمشق الا مقدار قليل كان يبلغ في زمن زياد مليوني درهم ، ثم ارتفع في زمن ولاية عبيدالله بن زياد الى أربعة ملايين في السنة ، فسرّ ذلك معاوية وقال « اللهم أرض عن ابن أخي» [١١] ؛ ويبدو أن مثل هذا المقدار كان يرسل في زمن ولاية

---

(٩) الوزراء ٢٨١ ــ ٢٨٢ ؛ وانظر عن رواية أخرى مقالنا في مجلة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق .

(١٠) فتوح البلدان ٣٠٥ .

(١١) أنساب الاشراف ٤ ــ ١٨٩/١ .

يوسف بن عمر • غير أنه لاتوجد اشارة الى ماكان يرسل الى الحجاز الذي يدل دفع العطاء فيه بالدراهم انه كان يصرف مما يرسل من العراق •

تظهر القوائم في زمن زياد ، وابنه عبيدالله ، ويوسف بن عمر أن الجباية كانت تكفي لسد نفقات المقاتلة وذراريهم في البصرة والكوفة ؛ ويمكن أن نفترض أن جباية خراسان كانت تصرف في عطاء من فيها من المقاتلة العرب وعددهم خمسون ألفا مع عيالاتهم ، أي قرابة نصف عدد مقاتلة أهل الكوفة ، وأن جباية الري ، وقزوين ، والموصل ، وأذربيجان ، والجزيرة ، وفارس ، كانت تصرف ، كلها أو بعضها ، في نفقات المقاتلة الذين فيها • وتظهر قائمة يوسف بن عمر على أن الدولة كانت تدفع عطاء مقاتلة أهل الشام المقيمين في العراق ، وخاصة في واسط ، من جباية العراق • وذكر البلاذري أن عطاء المقاتلة في خراسان عند قيام الخلافة العباسية كان يبلغ عشرة آلاف ألف درهم [(١٢)] •

ولكن لم تذكر المصادر مقدار نفقات عطاء المقاتلة في المناطق الأخرى ، غير الكوفة والبصرة وخراسان ، ولا الجهة التي كان يرسل اليها الفائض من جباية هذه المناطق ، أو جباية الاقاليم التي لم يستوطنها المقاتلة العرب • وتجدر الاشارة الى أن الأحوال السياسية في أواخر زمن الأمويين تظهر أن أهل الكوفة شاركوا في عدة ثورات على الدولة الأموية ، ولم يشاركوا كثيرا في الفتوح التي أصبح يقوم بها مقاتلة أقاليم الحدود ، وهي خراسان ، وقزوين ، والسند ، والجزيرة ، والثغور ، والمغرب ؛ فلابد أن أهل الكوفة وأهل البصرة لم يعودوا كلهم في العطاء ، أي أن المقدار الكلي لنفقات العطاء في الكوفة والبصرة تناقص عما كان عليه في الأزمنة الاولى • غير أن المصادر لاتقدم معلومات توضح التطورات التي حدثت على المقدار الكلي للعطاء •

---

(١٢) أنساب الأشراف ٢٢٧/٣ .

وبعد أن تولى العباسيون الخلافة ظلت نفقات الجيش وعطاؤهم هي الباب الأكبر لمصروفات الدولة ، غير أنه رافقت توليهم تطورات أساسية متناسقة مع التطورات السياسية والعسكرية التي حدثت بمجيئهم .

فأما فيما يتعلق بالكوفة والبصرة فقد وردت اشارات الى اشتراك أهل كل منهما في القتال في عدد من الميادين ، فيذكر البلاذري «أغزى المنصور محمد بن أبي العباس الديلم سنة ١٤١ في أهل البصرة والكوفة والجزيرة والسواد » [١٣] ، وورد هذا النص في الطبري «في أهل الكوفة والبصرة وواسط والموصل والجزيرة [١٤] ، وهو أقرب الى الدقة من نص البلاذري .

وقال الطبري في حوادث سنة ١٤٣ «ذكر أن أبا جعفر اتصل به عن الديلم ايقاعهم بالمسلمين وقتلهم منهم مقتلة عظيمة ، فوجّه الى البصرة حبيب ابن عبدالله بن رغبان ، وعليها يومئذ اسماعيل بن علي ، وأمره باحصاء كل من له فيها عشرة آلاف درهم فصاعدا ، وأن يأخذ كل من كان ذلك له بالشخوص بنفسه لجهاد الديلم ، ووجه آخر لمثل ذلك الى الكوفة»[١٥] . ويلاحظ أن خليفة بن خياط ، الذي عنى بذكر أخبار البصرة في كتابه «التاريخ» لم يذكر هذا الخبر ، ولكنه ذكر أن أبا جعفر ولّى في سنة ١٤١ «محمد بن ابى عيينة البحر ، فنزل مدينة قيس ، جزيرة في البحر ، فأتته مراكب الميد ، فلم يخرج اليهم وخرج ابنه فَقُتِلَ في جماعة المسلمين، وخلى ابن ابى عيينة المدينة فخربها العدو ، فهي خراب الى اليوم»[١٦] ؛ وذكر في حوادث سنة ١٤٢ قدوم المنصور الى البصرة ونزوله بالجسر الاكبر [١٧] ، ولم يذكر في تلك السنة أو السنوات التالية غزوة المسلمين الديلم . غير أن البلاذري يذكر أن «أهل طستنجا (؟)

---

(١٣) انساب الأشراف ١٨٠/٣ .
(١٤) الطبري ١٤٣/٣ .
(١٥) الطبري ١٤٢/٣ .
(١٦) تاريخ خليفة ٤٤٦ .
(١٧) تاريخ خليفة ٤٤٧ .

قطعوا الطريق في عمل سلم ، ففرض فرضا بالبصرة وجهه اليهم»[١٨] .

لاريب في أن انفاذ البعوث ، والفرض ، يتطلبان دفع عطاء لهم ، غير أن حصر من أخذهم من أهل البصرة بمن كانت ثروته لاتقل عن عشرة الآف (درهم) يدل على كثرة الأغنياء في البصرة ، وقد تدل على أنه لم يدفع لهم عطاءاً ؛ ومن المحتمل أن قدوم أبى جعفر البصرة في سنة ١٤٣ له علاقة بهذه الحوادث .

ويذكر اليعقوبي أن أبا جعفر ولى يزيد بن حاتم المهلبي أذربيجان «فنقل اليمانية من البصرة اليها ، وكان أول من نقلهم»[١٩] ؛ ولابد أن هذا النقل ولّد فراغا في سكان أهل البصرة ، وقلّل عدد من في العطاء ، ان كانوا فيه .

يذكر وكيع أنه في زمن أبى جعفر كانت توجد سجلات لأهل البصرة[٢٠] ويذكرالأزدي في هذهالسجلات ديوان قريش والعرب[٢١]؛ وينقل وكيع رسالة كتبها القاضي عبيدالله بن الحسن الى المهدي وفيها عن الجند «فان مما يصلح أولئك ما استعين بهم أن يسبغ عليهم وعلى جندهم من العطاء والأرزاق ، وأن لايوكلوا الى ما يصيبون من غنائمهم ، بل يجلب لهم ولجندهم عندما يحدث الله على أيديهم من ذلك العطاء والألطاف »[٢٢] ؛ وتدل هذه التوصية على أن العطاء قد توقف ، وأن الفرض الذي يقرر للاشتراك في الحملات ، كان يعطى مما يغنم ، وانه ليس لهم عطاء .

---

(١٨) أنساب الأشراف ٣/١٧٤ .
(١٩) تاريخ اليعقوبي ٣/١٠٧ .
(٢٠) أخبار القضاة لوكيع ٢/٦١ .
(٢١) تاريخ الموصل للازدي ٢٤٠ .
(٢٢) أخبار القضاة ٢/١٠٠ .

ويجدر أن نذكر أنه بعد قيام الدولة العباسية أعيد أهل الشام الذين كانوا في العراق الى بلادهم ، وقد نص البلاذري على ذلك صراحة حيث قال «لما بويع السفاح نودى يا أهل الشام الحقوا بشامكم فاشهدوا أسماءكم هناك» (٢٣) .

غير أنه يجب أن نذكر أن أهل الشام والجزيرة ظلوا يستخدمون في الثغور ، حيث كونوا عظم الجيش الاسلامي فيها ، وأنهم كانوا يأخذون العطاء بالدينار ، أي من جبايات الشام والجزيرة .

غير ان الأزدي ذكر ان المعتصم كان يلي الشام لأخيه المأمون ففرض في سنة ٢١٨ «على جند دمشق والاردن وفلسطين أربعة الآف رجل ، وانه يجري على الفارس مائة درهم ، وعلى الراجل أربعين درهما ، ففرض على أهل مصر فرضا وعلى أهل الجزيرة وعلى أهل بغداد فأتاه ناس فنزلوا طوانة »(٢٤) .

يتبين مما تقدم أنه عندما قامت الدولة العباسية توقف دفع العطاء الى أهل الكوفة والبصرة ، وأن جبايات العراق أصبحت ترسل الى بغداد ، ولعلها كانت تستلم جبايات الأقاليم الاخرى ، وأن قائمة عمر بن المطرف تتكون مما كان يرسل الى بغداد بعد أن ينزل منها مصروف المقاتلة العرب المقيمين فيها .

ولابد من الاشارة الى موارد الضياع السلطانية التي كانت للخليفة ، وأصل هذه الضياع من الصوافي ومن الأراضي التي تم احياؤها أو الجئت الى المسلمين ، وكان يمتلك معظمها رجال من الأسرة الأموية ، فكانت مواردها تذهب الى بلاد الشام ، فلما قامت الدولة العباسية قبضت منهم وأصبحت

---

(٢٣) أنساب الأشراف ٣/١٤٧ .
(٢٤) تاريخ الموصل ٤٤٢ ، الطبري ٣/١١٢ .

للخليفة العباسي ، أي أن مواردها أصبحت تذهب الى بغداد ، وهذه الضياع كانت واسعة ومتفرقة ، ومعظمها في العراق ، وكانت جباياتها كبيرة ، واعتبرت من «بيت مال الخاصة» ، وكان الخليفة يتصرف بها بحرية ، ويصرف مواردها على من يرتأى في بغداد ، فهي مصدر اضافي للأموال التي تنصبّ على بغداد ، فتزيد من أموالها ، وتنشط الحياة الاقتصادية فيها ، واذا كانت جباية بيت مال العامة توزع على العدد الكبير من المقاتلة والحرس والشرط والكتاب ، فان جباية بيت المال الخاصة توزع بكثرة على «الخاصة» ، وتزيد من مكانتهم وقوتهم في بغداد •

يتبين مما تقدم أنه على أثر قيام الدولة العباسية حدثت تطورات واسعة في التنظيمات الاقتصادية والأحوال العمرانية ، ساعدت على ازدهار بغداد :

١ — أصبحت ترد الى بغداد جبايات السواد ومعظم أقاليم المشرق ، وكذلك جباية الضياع السلطانية ، فضلا عن الضياع التي يمتلكها المقيمون في بغداد •

٢ — كان قسط كبير من موارد الدولة يصرف على المقاتلة ، ورجال الادارة وأصحاب الدواوين ومستخدميها في بغداد •

٣ — ان المقاتلة والحرس ورجال الادارة وكتاب الدواوين كانت تدفع الدولة لهم رزقا شهريا ، وان كان دفعه غير منتظم ، وهو يكفي لمعيشة اعتيادية لائقة •

٤ — كانت للخليفة مكانة خاصة مستندة الى مكانة الخلافة باعتبارها أعلى مؤسسة في الدولة ، وكذلك لما كان يسنده من جيش وحرس وأقارب وخاصة مرتبطين بشخصه ، وكتّاب وموظفين يعملون في دواوين الدولة التي يرأسها ، ويعيشون على ماتدفعه الدولة •

٥ ـ كان جزء غير قليل من موارد الخليفة يصرف على عـدد محدود مـن «الخاصة» وبذلك كان في بغداد منذ بداية تأسيسها سكان من العامـة والخاصة ، يختلف دخول كل منهما •

٦ ـ نشطت حركة العمران في العقود الاولى من سني تأسيس بغداد ، ورافق ذلك نشاط في الحياة الاقتصادية ، فكان النشاط حراً ، وقد قام بجانب التنظيم الأساس الذي تنفق فيه الدولة مقدارا كبيرا من مواردها عـلى اعاشة المرتبطين بها •

٧ ـ يسرت بغداد للمقيمين فيها سبل الحياة والعيش والعمل ، وظلت مدينة منفتحة وغير معزولة تتصل ببقية المدن والأقاليم بمواصلات متيسرة •

الفصل العاشر

الادارة
والكتاب واعمال الدواوين

الوزارة والحرس والشرط

اقتضى اتخاذ بغداد مقاما للخلفاء العباسيين ودار ملكهم أن تكون فيها الدواوين ومن يعمل فيها للخليفة وبلاطه ، وللادارة المركزية للدولة ، ثم لما يتعلق ببغداد • وبالنظر لحاجة هذه الدواوين لاستخدام العاملين في اداء واجباتها ، وحفظ السجلات في معاملاتها ، فانها تطلبت اقامة أبنية خاصة لها ، وتنظيم ادارتها ، والانفاق على المنتسبين لها والمستخدمين فيها • ويقول يعقوب ابن سفيان ان نقل الخزائن وبيوت الأموال والدواوين تم سنة ١٤٦ عندما فرغ ابو جعفر من بناء المدينة ونزلها [١] •

والوظائف الرئيسة المتصلة بالخليفة هي الوزارة والحجابة والحرس والشرطة ؛ غير ان الوزارة والحجابة لم تتطلب عددا كبيرا من المستخدمين، وكان القائمون بها يستطيعون القيام بأعمالهم في قصر الخليفة ودون الحاجة الى بنايات خاصة بكل منهم •

ولاريب في أن الوزارة هي أبرز الأعمال المتصلة بالخليفة ، فالوزير كالسكرتيروالمستشار؛ وقد بدأ استعمال تعبير«الوزير»لهذا العمل منذ بدء قيام

---

(١) الخطيب ١/٦٧ ؛ وانظر التنبيه والاشراف ٣١٢ •

الخلافة العباسية ، ثم توقف استعماله بعد مقتل أبى سلمة الخلال الى أن أعيد استعماله في زمن الخليفة المهدي ؛ ولكن عمل الوزير استمر وان لم يُسَمّ بهذا الاسم ، فكان يقوم به في زمن ابى جعفر أبو أيوب المورياني ، وكانت له قطيعة في الأطراف الشمالية خارج المدينة المدورة ، ثم قام بالعمل الفضل بن الربيع • أما المهدي فكان من وزر له لهم اقطاعات في الجانب الشرقي قرب الرصافة •

أما حجّاب المنصور فهم عيسى بن روضة وكانت له قطيعة مع غلمان الحجابة في الأطراف الشمالية خارج المدينة المدورة ، وبالقرب من قطيعتي عبدالجبار صاحب الشرطة ، وعثمان بن نُهَيْك صاحب الحرس •

ان عمل الحرس متصل بالخليفة مباشرة ، وكذلك عمل بعض الشرط ، مما يقتضي أن يكون لاقامتهم مكان قرب الخليفة وقصره داخل المدينة خارج المدينة المدورة •

وعمل الحرس متصل بالخليفة مباشرة ، وكذلك عمل بعض الشرط ، مما يقتضي أن يكون لهم مكان لأقامتهم قرب الخليفة وقصره داخل المدينة المدورة • ويذكر اليعقوبي أنه لم يكن حول قصر المنصور «بناء» ولا دار ولا مسكن لأحد الا دار ناحية باب الشام للحرس ، وسقيفة كبيرة ممتدة على عمد مبنية بالآجر والجص ، يجلس في احداها صاحب الشرطة وفي الاخرى صاحب الحرس ، وهي اليوم يصلى فيها الناس » [٢] ، ومن الواضح أن هذين البناءين كانا لرؤسائهم ، ولعل عددا من الأفراد كانوا يقيمون معهم لأداء أعمالهم الرسمية وليس للسكنى • أما اشارة اليعقوبي الى أنها أصبحت في زمنه «يصلي فيها الناس»[٣] ، فتدل على أنها هجرت ولم يعد يقيم فيها صاحب الحرس ؛ وهذا أمر طبيعي عندما ترك الخلفاء الاقامة في المدينة المدورة •

(٢–٣) البلدان ٢٤٠ •

ولابد أن الحرس كانوا يقيمون ابان خلافة ابى جعفر في المدينة المدورة قرب قصره ، غير أن المصادر لم تذكر عددهم أو أصولهم أو تنظيماتهم ولا مقدار رزق كل منهم أو المقدار الاجمالي لأرزاقهم ؛ ولعل عددهم لم يقل عن الخمسمائة . وهو ماكان عدد حرس ولاة الأمويين في العراق (٤) .

ان تحول مقام الخليفة منذ زمن المهدي الى الجانب الشرقي لابد وأن رافقه اقامة حرسه قربه ، غير أننا لانعلم فيما اذا كان المهدي نقل الحرس القديم من المدينة المدورة ، أم أنه عيّن حرسا جديدا ، وفي هذه الحالة ما مصير الحرس القديم ؟

أما الشرطة فان عملهم أكثر اتصالا بالناس منه بالخليفة ، ولذلك لابد أن يكون عددهم أكبر ، وأن تكون لهم عدة مراكز ، وخاصة في المناطق ذات الأهمية الأمنية ، وبما أن المدينة المدورة في السنوات الاولى من بنائها كانت المركز الرئيس ، وكان فيها سكان منوعون فان هذا يقضي أن يكون فيها مركز صاحب الشرطة ، ولما كان معظم أصحاب الاقطاعات في الأرباض من الجند وممن لهم رؤساء ، فان الحاجة الى مراكز للشرطة فيها لم تكن كبيرة .

غير أن أوضاعا استجدت في أواخر زمن خلافة ابى جعفر ، فقد نقل أهل السوق الى الكرخ ، وازداد أعمار الجانب الشرقي والرصافة ، كما توضحت أهمية الأطراف الشمالية ؛ وتمّ نصب الجسر عند باب خراسان حيث شيدت قربه قصور لسليمان وصالح وجعفر أولاد الخليفة أبى جعفر ، كما بنى المنصور نفسه قصر الخلد ليقيم فيه .

ومما تجدر ملاحظته أن قطائع الذين ولوا الشرطة كانت قريبة من أبواب المدينة المدورة ، فقطيعة المسيب بن زهير عند باب الكوفة ، وقطيعة موسى ابن كعب التميمي عند باب الشام .

وكانت قطائع كل من عبدالجبار الازدي أول صاحب شرطة لأبى جعفر

---

(٤) انظر كتابنا : التنظيمات الاجتماعية في البصرة ١١٢ .

المنصور ، وعيسى بن روضة الحاجب وغلمان الحجابة ، وعثمان بن نهيك صاحب الحرس في زمن أبى جعفر كلها متقاربة وفي هذه المنطقة الشمالية الشرقية قرب قصور أولاد الخليفة وفي المنطقة التي نصب فيها الجسر ؛ وكل هذا يشير الى أهمية هذه المنطقة في الادارة الأمنية للجانب الغربي في السنوات الأولى من تأسيس بغداد .

ان كافة من ولى الشرطة في زمن أبى جعفر كانوا من العرب .

ذكر الصابي تفاصيل نفقات الشرطة في زمن المعتضد ومنها « المرتزقة برسم الشرطة بمدينة السلام والخلفاء عليهم ، وأصحاب الأرباع والمصالح ، والأعوان ، والسجّانين ، وأصحاب الطواف ، والماصرين ومن في جملتهم من الفرسان الذين ميزوا وألحقوا بطبقة الدون من المشايخ والمترفين ، ومن هذه سبيله من الرجالة الموكلين بأبواب المدينة ، وايام شهرهم مائة وعشرون يوماً ، من جملة ستة الآف دينار في المشاهرة خمسين دينارا [٥] ويتبين من هذا النص ان أعمال الشرطة كانت تشمل الشرطة في المدينة المدورة ، وأصحاب الارباع (ويبدو ان المقصود بها أهل الارباض) ، والمسؤولين عن السجن ، والمآصر ، وأصناف أخرى سماها المصالح ، والأعوان ، والطواف ، وان من هؤلاء فرسان ، ومنهم رجالة موكلين بأبواب المدينة المدورة .

ان عددا من المؤسسات المذكورة في هذا النص كانت قائمة منذ زمن ابى جعفر ، وهي الموكلين بأبواب المدينة ؛ وكان عددهم ألفاً على كل باب ولهم قائد [٦] ، ولا يستبعد ان هؤلاء كانوا شرطة ، وانكل مجموعة كانت مسؤولة عن حفظ الأبواب وعن الأرباض التي قرب تلك الابواب ؛ ومن المعلوم ان السجن في الجانب الغربي بني منذ ان بنيت المدينة ، فمن المحتمل ان الشرطة كانت تشرف عليه الشرطة . أما المآصر فان أهميتها تقضي بان تكون قائمة منذ بناء بغداد رغم عدم ذكرها في المصادر الاولى .

---

(٥) الوزراء ٣٠ .   (٦) الخطيب ١/٧٧ .

يذكر نص الصابي ان يوم شهرهم مائة وعشرون يوما ، وهو أقل من أيام بقية أصناف الجند والحرس ؛ وقد يكون هذا راجعا من حيث المبدأ الى الأزمنة الاولى من بناء بغداد •

ان قول الصابي « من جملة ستة الآف دينار ، في المشاهرة خمسين دينارا» غير واضح ، ولعل المقصود به ان نفقات الشرطة ستة الآف دينار في السنة ، وهي تساوي حوالي ١٥٠ ألف درهم ؛ ولكن يصعب القول بان هذا هو المبلغ الذي كان مخصصا للشرطة في السنوات الاولى من تأسيس بغداد •

الدواوين

ذكر اليعقوبي أن المنصور عندما بنى المدينة المدورة جعل «حول الرحبة كما تدور منازل أولاد المنصور الأصاغر ومن يقرب من خدمته من عبيده ، وبيت المال ، وخزانة السلاح ، وديوان الرسائل ، وديوان الخراج ، وديوان الخاتم ، وديوان الجند ، وديوان الحوائج ، وديوان الاحشام ، وديوان العامة، وديوان النفقات » [٧] ، وكل هذه الدواوين كانت في داخل المدينة المدورة ، ولم يذكر أسماء القائمين بأعمالها أو مواطن سكناهم •

ان هذه الدواوين تتطلب اتصالا مباشرا بالخليفة ، ويمكن تصنيفها الى دواوين مالية وهي تشمل بيت المال ، والخراج ، والجند ، والصدقات ، ودواوين خاصة بخدمات قصر الخليفة وهي : خزانة السلاح ، والرسائل ، والخاتم ، والحوائج ، والاحشام ، ومطبخ العامة ، والنفقات ، والنجائب •

ذكر اليعقوبي أن ديوان الصدقات كان عليه المهاجر بن عمرو الذي كانت له قطيعة قرب الديوان ، وبقربها قطيعة ياسين صاحب النجائب وخان النجائب وهي في الرحبة عند باب الكوفة، وذكر أيضا أن أبا الورد كوثر بن اليمان كان خازن بيت المال كان له ربض عند القنطرة العتيقة ، وفي ظهرها قطيعة

---

(٧) البلدان ٢٤٠ .

سليم صاحب خزانة السلاح[8] ، كما ذكر ان الانباريين كتّاب ديوان الخراج كانت لهم قطيعة ومسجد في ظهر ربض كوثر بن اليمان [9] .

كل هذه القطائع كانت خارج المدينة المدورة ، وفي أطرافها الجنوبية عند باب الكوفة ، فهي ليست بعيدة عن مراكز عملهم . ويلاحظ ان «النجائب» التي يدل معناها اللغوي «الجمال» ، وضعت خارج المدينة ، ولعل ذلك راجع الى الرغبة في الحفاظ على جمال المدينة من أن يتشوه ، كما أن ديوان الصدقات كانت أعماله تتعلق بعدد من الناس ، فوضعه خارج المدينة يجنبها كثرة المراجعين . غير أنه يصعب تبرير جعل ديواني الخراج والجند في داخل المدينة المدورة مع كثرة أعماله المتصلة بالناس والتي تتطلب مراجعاتهم كثرة التردد على دخول المدينة ، وهو مالم يرده المنصور ؛ وليس من المستبعد أن نص اليعقوبي غير دقيق ، وان هذين الديوانين كانا خارج المدينة المدورة ، وأن ديوان الخراج كان قرب قطيعة الأنباريين كتّاب الخراج .

ذكرت المصادر أسماء بعض عمال المنصور على بعض أعماله ، ويبدو من حصيلة ماذكروا أن بعض الأشخاص أسند لهم العمل في أكثر من ديوان متقاربي العمل فعثمان بن نَهَيك وأبو العباس الطوسي كانا على الحرس وعلى الخاتم ، وعلى الحجابة ، غير أنه انفرد في الحجابة عيسى بن نجيح والربيع[10]؛ وانفرد بالحرس كعب بن مالك . أما الشرطة فكان عليها عبدالجبار الأزدي ثم أخوه عمر بن عبدالرحمن ، ثم موسى بن كعب ، ثم المسيب بن زهير الذين ذكرنا أنه كانت لهم اقطاعات في الاطراف الشمالية خارج المدينة المدورة الا المسيب فكان اقطاعه في الاطراف الجنوبية الغربية ، أما الدواوين المتعلقة

---

(٨) البلدان ٢٤٥ .

(٩) البلدان ٢٤٤ .

(١٠) تاريخ خليفة بن خياط ٤٦٧ العسجد المسبوك ٢/١٤٥ .

بالمالية فان حبيب بن رغبان كان على الخراج[11] وعلى النفقات، والجند [12]، وكان له اقطاع في الأطراف الجنوبية الشرقية من المدينة المدورة وخارجها .

غير أن المصادر ذكرت عددا ممن ولى الدواوين المتعلقة بالمالية وذكرت لبعضهم اقطاعات . فممن ذكروا أبو أيوب المورياني الذي كان على الخراج[13]، وعلى الضياع[14]، وعلى الرسائل [15] ، وكوثر بن اليمان وكان على بيت المال وله اقطاع [16] .

وورد ذكر عدد ممن ولى بعض هذه الدواوين ولكن لم تذكر لهم اقطاعات مما قد يدل على أن المنصور أقطع الذين تولوا الدواوين عند تأسيس بغداد ، ثم قضت عليه الظروف أن يعين فيما بعد أشخاصا لم يقطعوا من قبل .

فقد ذكرت المصادر ممن ولى بيت المال في زمن أبى جعفر هشام بن الفاز [17] ، ومحمد بن عبدالله الشعيثي[18]، وعيسى بن لقمان[19] ، وابان ابن صدقة [20] ، وكان على الرسائل ايضا [21] ، وعبدالرحمن بن ثوبان[22]، والفرج بن فضالة [23] ، وقد ولياه في زمن المهدي ايضا .

---

(11) البلدان ٢٤٤ .
(12) الجهشياري ١٠٢ .
(13) الجهشياري ٩٦ .
(14) الجهشياري ١٤٤ .
(15) تاريخ خليفة ٤٦٦ .
(16) البلدان ٢٤٤ .
(17) الخطيب ٤٤/١٤ .
(18) الخطيب ٣٧٨/٥ .
(19) نسب قريش لمصعب الزبيري ٣٩٦ .
(20) تاريخ خليفة ٤٦١ ؛ الجهشياري ١٤٤ .
(21) الجهشياري ١٤٤ .
(22) الخطيب ٢٢٤/١٠ .
(23) الجهشياري ١٣٤ .

وولى ديوان الخراج في زمن المنصور سليم [٢٤] ، ومحمد بن جميل [٢٥]، ويزيد بن الفيض [٢٦] .

وولى النفقات والرسائل عبدالملك بن حميد [٢٧] ، وكان له اقطاع في الاطراف الشمالية .

وولى الخزائن سليمان بن مجالد وله اقطاع ، والجهبذة صدقة بن عدي ولم يذكر له اقطاع [٢٨] .

أما المهدي الذي كان يقيم في الجانب الشرقي فكان لمعظم عمّاله اقطاعات في ذلك الجانب .

ان الدواوين التي ذكرناها هي التي ورد ذكر وجودها في بغداد في زمن أبي جعفر المنصور ، ومن المحتمل وجود دواوين اخرى لم تذكرها المصادر . والواقع أن مؤلفات القرن الرابع الهجري خاصة ذكرت دواوين كثيرة، وبعض أسماء شاغليها وأعمالهم [٢٩] ، وذكر كثير من الكتب التي ألفت عن الكتابة والخراج تفاصيل عن تنظيم أعمالها [٣٠] . وان تفاصيل أسماء الدواوين وأسماء شاغليها وتنظيم أعمالهم خارجة عن نطاق هذا البحث ؛ ويكفي أن نذكر هنا أن الدواوين تختلف في مدى سعتها وتفرعاتها ، وأن أوسعها هو ديوان الخراج، وديوان الجيش، وديوان الرسائل؛ ولعل أوسع الدواوين هو ديوان الخراج الذي يتألف فيما ذكر قدامة من ثمانية مجالس : هي الانشاء والتحرير ،

---

(٢٤) البلدان ٢٤٩ .

(٢٥) الجهشياري ١٩٨ .

(٢٦) تاريخ خليفة ٤٦٦ .

(٢٧) الجهشياري ٩٦ ، ١٦٠ .

(٢٨) الفهرست ٢٨٩ .

(٢٩) انظر أسماء ما ورد منها في كتاب الوزراء للصابي (الفهرست) ؛ وكتاب الضرائب الاسلامية تأليف لوكاجارد (بالانكليزية) ، وانظر كتاب «التنظيمات الادارية» للدكتور حسام الدين السامرائي .

(٣٠) انظر كتاب « الخراج » لقدامة بن جعفر ، و « البرهان في علوم البيان » لابن وهب ، و « صبح الاعشى » للقلقشندي .

والنسخ ، والاسكدار ، والحساب والجهبذة ، والتفصيل والأصل • وتظهر هذه المجالس ، أو الشعب ، مدى سعة أعمال هذا الديوان وما يتطلبه من كثرة المستخدمين فيه • وقد أشار ابن وهب الى ذلك بقوله «واعمال السلطان كثيرة، ومن يحتاجون اليه فيها من العمال كثير ، ومن يجمع لهم كل ما يحتاجون اليه قليل »[٣١] •

كان كثير من هذه الدواوين قائما منذ الأزمنة السابقة للاسلام ، وقد اعتمد عليها الساسانيون في ادارة الدولة ، وأبقى العرب كثيرا منها مع من كان يعمل فيها ، دون التدخل في أساليب عملهم ، وظل كثير منها ، وخاصة التي تتعلق بالخراج وجبايته يستعمل اللغات الأعجمية في مكاتباته وسجلاته الى أن عربت الدواوين في زمن الخليفة عبدالملك بن مروان، غير أن المستخدمين فيها ظلوا في أعمالهم بعد التعريب • وقد أصبحت بغداد مركز الدواوين الرئيسة المتعلقة بادارة الدولة وخراج العراق ، وان كانت قد بقيت بعض الدواوين المحلية • ولابد أن قيام الدواوين في بغداد رافقه زوال الدواوين التي كانت تشرف على ادارة الدولة في الشام في زمن الأمويين ، كما نقلت اليها الدواوين التي كانت مرتبطة بالعراق حيث كانت لولاته مكانة كبيرة وسلطات واسعة ، وكانت دواوينهم في الكوفة وهي المصدر الأكبر في ادارة العراق • وأسهم هذا الانتقال في اضعاف مكانة الكوفة ، وازدياد أهمية مكانة بغداد ؛ ومن المحتمل انه قلّص أيضا دواوين البصرة ، حيث لم تعد تشرف على أقاليم جنوبي الهضبة الايرانية •

ذكرنا أن تعريب الدواوين لم يرافقه اقصاء كتّابها القدماء ، وقد ذكرت المصادر أصول بعض هؤلاء الكتاب ، فذكر اليعقوبي والخطيب ان الانباريين كانوا كتّاب الخراج وكانت لهم قطيعة ومسجد قرب باب الكوفة[٣٢]• ويجدر

---

(٣١) البرهان ٤١٠ .

(٣٢) اليعقوبي ٢٤٣ ، الخطيب ١/٨٩ .

أن نذكر أنه ظهر عدد غير قليل من الانباريين ممن برزوا في الكتابة والادب ، وخاصة من التنوخيين ؛ ومن المحتمل أن الأنبار كانت مركزا فكريا فيه عـــدد من المدرّبين على الكتابة ، ولعل هذا منشأ ادعاء الكثيرين أن العرب تعلمـــوا الكتابة من أهل الانبار • وقد يكون هذا من العوامل التي دفعت الخليفـــة العباسي الاول أبا العباس على اتخاذ مقرّه في الأنبار عندما عزم على الانتقال من الكوفة ؛ وقد يكون هذا ايضا سبب اعتماد ابى جعفر في أمر الخراج على أهل الأنبار ونقلهم الى بغـــداد •

ينقل الصولي عن ابن كناسة الأسدي قوله « خرّجت الكوفة وسوادها جماعة من الكتّاب ، فما رأيت فيهم بيتا أجل ولا أبرع أدبـــا مـــن بيت أبى صالح»[٣٣] ؛ وهذا النص يشير الى أن عدة بيوت من الكوفة خرجت كتابـــا وان اجلّهم بيت ابى صالح ؛ غير أن المصادر لم تذكر أسماءهم ؛ علما بان بيت ابى صالح ولوا الكتابة منذ أواخر زمن الأمويين ، واستمروا في العمل بها في العهود العباسية الاولى •

وذكرت المصادر أصول بعض البارزين من الكتّاب، فكان بنو نُهَيْك من سِمّرة ، وهي بلدة في العراق[٣٤] ، ويزداد كاتب يقطين من النهروان [٣٥] ، وبنو الفرات من أهل بابل صريفين في النهروان الاعلى «فكان لهم أقـــارب يزيدون على ثلاثمائة نفس ، وأول من ساد منهم ابو العباس احمد بن محمد بن موسى بن الفرات»[٣٦] ، وآل وهب مـــن واســـط [٣٧] ، وآل الجـــراح من دير قنى [٣٨] •

---

(٣٣) أخبار الشعراء للصولى ١٤٤ .
(٣٤) الخطيب ١/٨٩ .
(٣٥) الطبري ٣/٥٤٩ .
(٣٦) الوزراء للصابي ١١ .
(٣٧) الوزراء للجهشياري ١٣٤ وانظر ابن النديم ١٣٦ .
(٣٨) الوزراء للصابي ٣٠٥ .

ان هذه الاسماء القليلة للبارزين من الكتاب تظهر أنهم كانوا من قرى وبلدان العراق ، ولعلهم يمثلون أصول معظم ، ان لم يكن كافة كتّاب الدواوين في العراق ، وقد أشار ابن المعتز الى ذلك في قصيدة ذم بها بغداد وقال فيها :

وولاته نبط زنادقة   ملأى البطون وأهله خمص

وكان كثير من الكتاب نصارى ، ويذكر الجاحظ عن النصارى « مما عظّمهم في قلوب العوام ، وحببهم الى الطغام ان منهم كتاب السلاطين وفراشي الملوك وأطباء الاشراف ، والعطارين ، والصيارفة »[٣٩] ، وانهم « تسموا بالحسن والحسين والعباس والفضل وعلي ، واكتنوا بذلك أجمع ، ولم يبق الا ان يتسموا بمحمد ، ويكتنوا بأبى القاسم »[٤٠] .

وجرت في بعض العهود محاولات لمنع استخدام النصارى في الدواوين ، ومنها محاولة جرت في زمن ابى جعفر المنصور [٤١] ، واخرى في زمن المتوكل [٤٢] ، وفي زمن المقتدر [٤٣] ، ولكن القرارات كانت وقتية ، وظل النصارى مهيمنين في أعمال كثير من الدواوين[٤٤] ، وولى عدد من النصارى ديوان الجيش في زمن المعتمد والموفق والقادر [٤٥] ، رغم صلته الوثقى بالجيش والاسلام .

كوّن الكتاب مجموعة تتميز وخاصة عن الجند والعلماء بألبستها وثقافتها .

---

(٣٩) الرد على النصارى ١٧ .
(٤٠) الرد على النصارى ١٨ .
(٤١) الجهشياري ٣٤ .
(٤٢) الطبري ١٣٨٩/٣ .
(٤٣) عريب : صلة تاريخ الطبري ٣٠ .
(٤٤) انظر الفصل الذي كتبه آدم متز عن أهل الذمة في كتاب « الحضارة الاسلامية » .
(٤٥) الوزراء للصابي ١٠٩ .

ويذكر الجاحظ احتكارهم عملهم وحرصهم على عدم دخول غريب فيها ، فقال «ولم أر صناعة من الصناعات الا وقد يجمع أهلها غيرهم اليها فيعانونها جميعا وينزلون لضرب التجارات معا الا صناعتكم هذه ، فان المتعاطى لها منكم ، والمتسمى بها من نظرائكم لايليق به ملابسة سواها ، ولا ينساغ له التشاغل بغيرها »[٤٦] .

ولعل من أبرز سماتهم بعدهم عن الجندية واخلاقها ، وقد أشار الصابي الى ذلك فقال « وما من شيء أقبح بذي قلم من تعاطى الشجاعة والتخلق باخلاق الجندية »[٤٧] .

وكانوا يتميزون بزي خاص في لباسهم «فكان عبدالله بن مخلد يتزيى بزي الكتّاب »[٤٨] .

ومن تميزهم في اللباس لبس الشاشية «وكان عيسى بن يزدانيروذ أول من لبس شاشية من الكتّاب ، وكان سبب ذلك أنه احتاج الى لبس القباء والسيف من أجل ما يتقلده من نفقات الخاصة ، فلبس شاشية »[٤٩] .

وكان الكتّاب يلبسون الدراريع ، وبذلك يتميزون عن العلماء الذين يلبسون الطيالسة ؛ ويذكر المقدسي «وليس لاهل الطيالسة بشيراز مقدار ، وانما هو لأصحاب الدراريع [٥٠] ، ويذكر الصابي ان النعمان بن عبدالله « قد تاب من خدمة السلطان ، ولبس الخف والطيلسان ، وحضر مجالس الوزراء كما تحضر مشايخ الكتاب »[٥١] .

ويتسم الكتاب بالتحاسد والتباغض وعدم التماسك ، وقد عبّر الجاحظ عن ذلك فقال «ثم انكم في غاية التقاطع عند الاحتياج ، وفي ذروة الزهد في

---

(٤٦) « في ذم اخلاق الكتاب » ٤٦ .
(٤٧) رسوم دار الخلافة ٤٨ .
(٤٨) الجهشياري ٢٦٣ .
(٤٩) الجهشياري ٢٦١ .
(٥٠) احسن التقاسيم ٤٤٠ .
(٥١) الوزراء ٤٨ .

التعاطف عند الاختلال» ثم كأنكم أولاد علّات وضرائر أمهات في عداوة بعضكم بعضا وحنق بعضكم على بعض ، أفٍّ لكم ولاختلافكم ان للكتاب طبائع لئيمة •• وأنتم لاشكالكم مذلون ولأهل صنائعكم قالون»(٥٢) ، ولعل قوة هذه الظاهرة هي التي دفعت عبدالحميد الكاتب الى التأكيد في رسالته المشهورة على وجوب التعاون بين الكتاب •

ومن عوامل الانقسام بين الكتّاب غرورهم وصلفهم ، فيقول الجاحظ عن الكاتب «ثم هو مع ذلك في الذروة القصوى من الصلف والسنام الأعلى من البذخ ، وفي البحر الطامي من التيه والسرف ، يتوهم الواحد منهم اذا عرّض جبّته وطول ذيله وعقص على خده صدفة، وتحذف الشابورتين على وجهه انه المتبوع ليس التابع ، والمليك فوق المالك »(٥٣) •

وكان الكتّاب متباينين في قابلياتهم وصفاتهم الخلقية ، فيذكر الجهشياري أنه «كان يحيى (البرمكي) يقول لولده لابدّ لكم من كتّاب وعمال وأعوان ، فاستعينوا بالأشراف واياكم وسفلة الناس ، فان النعمة على الاشراف ابقى ، وهي بهم احسن ، والمعروف عندهم اشهر ، والشكر منهم أكثر»(٥٤)•

ويبدو أن الوزراء كانوا يشجعون الانقسام والمنافسة بين الكتاب ، فيذكر ابن وهب أن الوجه الذي يستقيم به تدبير الوزير •• ان يتهم بعضهم على بعض ، ويعرف مخرج النصيحة من مخرج السعاية ، فقد تشابه مخارجهما على من لايلطف ليتميز ما بينهما ، ومتى وجد بعض اصحابه طريقا الى اهلاك بعض أو تهجينه أو تغطية محاسنه ، فأتاه في ذلك جهرا ، اما للبغي والحسد ، واما للمنافسة في المحل (٥٥) •

---

(٥٢) « ذم أخلاق الكتاب » ٤٦ .
(٥٣) « ذم أخلاق الكتاب » ٤٦ .
(٥٤) الجهشياري ١٧٩ .
(٥٥) البرهان في علوم البيان ٤١١ .

وفي الكتب اخبار عن كتّاب الوزير وصنائعه ومقربيه ، وعن صلاحياته في زيادة رواتبهم وجاريهم ، وما كانوا يربحونه من أعمالهم ، والراجح ان تبدل الوزير يرافقه تبدل ليس في رؤساء الكتّاب فحسب ، بل في صغارهم أيضا ، الامر الذي يحدث قلقا ، ولكن الطبقة الجديدة لا تقسو على سابقتها خشية أن يأتي دورها .

يذكر الصابي أن أصحاب الدواوين ثلاث طبقات : الطبقة الاولى مثل شفيع المقتدري وطبقته ، والطبقة الثانية مثل المسمعي وطبقته ، والطبقة الثالثة عامل ديار ربيعة (٥٦) ، ويذكر ايضا ان صاحب ديوان البريد والخرائط يخاطب « مثل الطبقة الثالثة كتاب الدواوين » (٥٧) .

تطلب عمل الدواوين اتقان المعارف التي يتطلبها عمل ذلك الدواوين ؛ ومن المعلوم ان أعمال الدواوين منوعة ، فديوان الجيش يتطلب معرفة تنظيم الجيش وأسلحته وأسماء أعضاء الانسان والحيوان ؛ وديوان الخراج يتطلب معرفة أبواب الجبايات ، وأحكام الأراضي ، وأحوال الزراعة والري ، والمساحة .

غير ان كافة الدواوين تتطلب اتقانا للغة العربية واستعمال مفرداتها ، في المكان الصحيح ؛ ولتحقيق هذا الغرض ألفت كتب كثيرة من أقدمها وأكثرها رواجا هو كتاب « أدب الكاتب » لابن قتيبة الذي كثر تداوله ، ووضعت له عدة شروح ؛ وأكثر أبحاثه في مفردات اللغة وقواعد النحو والصرف ؛ كما ألفت كتب أخرى تعنى بهذه المواضيع وبالخط والاملاء ، كما ألفت كتب أخرى في شرح تنظيم المعاملات في كل ديوان .

وقد نصح عبدالحميد الكاتب في رسالته المشهورة التي وجهها الى

---

(٥٦) رسوم دار الخلافة ١٧٥ .
(٥٧) رسوم دار الخلافة ١٧٧ .

الكتاب ، ان يبدأوا «بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية ، فانها ثقافة التكلم ، ثم أجيدوا الخط فانه حلية كتبكم ، وأرووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها ، فان ذلك معين لكم على ماتسمو به هممكم ، ولا تضيعوا النظر في الحساب فانه قوام الخراج »٠

وقد برز في ميدان الادب عدد من الكتاب تميزت كتابتهم بدقة التعبير ، وحسن اختيار الالفاظ، واحكام صياغة العبارات، واتسمت بالدقة والجفاف ، اذا قورنت بكتابات المترسلين من العرب كالجاحظ ، غير أن أكثر كتاباتهم لايبدو فيها تأثرهم بالقرآن الكريم ، فكأن عبدالحميد الكاتب أراد ان يسدوا الفجوة بين الاسلوب الرسمي والاسلوب المترسل ، ولكنه لم يفلح ٠

ذكر الجاحظ في رسالته « ذم أخلاق الكتاب» مايظهر تمجيدهم الثقافة الفارسية على حساب الثقافة العربية الاسلامية ، فقال «ثم أن الناشيء فيهم اذا وطيء مقعد الرئاسة ، وتورك مشورة الخلافة ، وحجزت السلة دونه ، وصارت الدواة أمامه ، وحفظ من الكلام فتيقه ، ومن العلم ملحة ، وروى لبيزرجهر أمثاله ، ولأردشير عهده ، ولعبدالحميد رسائله ، ظن أنه الفاروق الاكبر في التدبير ٠٠ فيكون أول بدوه الطعن على القرآن في تأليفه ، والقضاء عليه بتناقضه ؛ ثم يظهر ظرفه بتكذيب الأخبار ، وتهجين من نقل الآثار فان استرجع أحد عنده أصحاب الرسول (ص) فتل عند ذكرهم شدقة ، ولوى عن محاسنهم كشحة ٠٠ ثم يقطع ذلك من مجلسه بسياسة أردشير بابكان ، وتدبير أنوشروان، واستقامة البلاد لآل ساسان ، فان حذر العيون ، وتفقده المسلمون ، رجع بذكر السنن الى المعقول ، ومحكم القرآن الى المنسوخ ، ونفي ما يدرك بالعيان ، وشبه بالشاهد الغائب ، لايرتضى من الكتب الا المنطق ، ولايحمد الا الواقف ، ولايستجيد منها الا السائر ٠ هذا هو المشهور من أفعالهم ، والموصوف من أخلاقهم» ٠

« ومن الدليل على ذلك أنه لم يُرَ كاتب قط جعل القرآن سميره ، ولا علمه

تفسيره ، ولا التفقه في الدين شعاره ، ولا الحفظ للسنن والآثار عماده ، فان وُجد الواحد منهم ذاكرا شيئا من ذلك ، لم يكن لدوران فكيه به طلاقه ، ولا لمجيئه منه حلاوة ، وان آثر الفرد منهم السعي في طلب الحديث ، والتشاغل بذكر كتب المتفقهين استثقله أقرانه واستوخمه الافة ، وقضوا عليه بالادبار في معيشته ، والحرفة في صناعته حين حاول ماليس من طبعه ، ورام ماليس من شكله »[58] .

ولما اضطربت الأحوال المالية بعد مجيء البويهيين ، وشغب الديلم على معز الدولة اضطر هذا « الى خبط الناس واستخراج الاموال من غير وجوهها، فاقطع قواده وخواصه واتراكه ضياع السلطان وضياع المستترين وضياع ابن شيرزاد وحق بيت المال في ضياع الرعية ، وصار أكثر السواد مغلقا وزالت أيدي العمال عنه ، وبقي اليسير منه من المحلول ، فضمن واستغنى عن أكثر الدواوين فبطلت وبطلت أزمتها ، وجمعت الاعمال كلها في ديوان واحد ... فبطلت العمارات واغلقت الدواوين ، وامحى اثر الكتابة والعمالة ، ومات من كان يحسنها ، ونشأ قوم لايعرفونها ، ومتى تولى أحدهم منها كان فيه دخيلا متجلفا ، واقتصر المقطعون على تدبير نواحيهم بغلمانهم ووكلائهم »[59] .

ارزاق الكتاب ورواتبهم :

يذكر الجهشياري «كانت أرزاق الكتاب والعمال في زمان أبى جعفر للرؤساء ثلاثمائة درهم للرجل ونحو ذلك ، وكذلك كانت في أيام بني أمية ، وعلى ذلك جرت الى أيام المأمون ، كان الفضل بن سهل وسّع الجاري »[60]؛ وروى الطبري عن يحي بن الحسن بن عبدالخالق هذا الخبر بالشكل التالي «كانت أرزاق الكتاب والعمال أيام ابى جعفر ثلاثمائة درهم ، فلما كانت كذلك

(٥٨) ذم أخلاق الكتاب ١٩٤ .
(٥٩) تجارب الامم ٢/٩٦ — ٩٨ .
(٦٠) الوزراء والكتاب ١٢٦ .

فلم تزل على حالها الى أيام المأمون ، فكان أول من سن زيادة الأرزاق الفضل ابن سهل ، فأما في أيام بني أمية وبني العباس فلم تزل الأرزاق من الثلاثمائة الى ما دونها ، كان الحجاج يجري على يزيد بن ابي مسلم ثلاثمائة درهم في الشهر »[٦١] ويذكر الجهشياري أن يزيد بن مسلم على ديوان الرسائل «كان الحجاج يجري له في كل شهر ثلاثمائة درهم »[٦٢] ؛ وهذا يؤيد أن الثلاثمائة درهم كانت رزق رؤساء الكتّاب ، ومع أن نصي الجهشياري والطبري لايذكران كيفية دفعه ، الا أن سياق الكلام والنص على أن رزق يزيد بن مسلم كان شهريا . ومما يؤيد هذا ما رواه الصولي ان رزق يوسف بن صبيح كان عشرة دراهم كل يوم ، فزاده المنصور خمسة [٦٣] .

ان هذا الرزق وهو ٣٠٠ درهم شهريا ، كان يبلغ ٣٦٠٠ درهم سنويا وهو أعلى من «شرف العطاء» وهو الحد الأعلى الذي كان يدفع للمقاتلة وكان يبلغ ٢٥٠٠ درهم سنويا في زمن الأمويين ، غير أنه أقل من الحد الأعلى الذي صار يدفع للمقاتلة بعد تولي العباسيين الخلافة ؛ ولم ترد اشارة الى رفعهم أرزاق الكتّاب كما رفعوا أرزاق الجند .

ولاريب في أن بقية العاملين في الدواوين ممن دون الرؤساء كانت أرزاقهم أقل ، وقد ذكر الجهشياري أنه كان لسوّار ، قاضي البصرة في زمن ابى جعفر ، كاتبان رزق أحدهما أربعون درهما ، ورزق الثاني عشرون درهما [٦٤] .

ذكرنا أن الجهشياري يقول ان الفضل بن سهل «وسّع الجاري» وأن الطبري يذكر أن الفضل «أول من سن زيادة الأرزاق» ، غير أنهما لم يذكرا

---

(٦١) الطبري ٣/٤٣٥ .
(٦٢) الوزراء والكتاب ٤٢ .
(٦٣) أخبار الشعراء ١٥١ .
(٦٤) الوزراء والكتاب ١١٣ .

المقدار الذي رفعه للارزاق ، وان كان قول الطبري أن الفضل « أول من سن ..» يدل على أنه جرت بعد ذلك زيادات تالية .

وورد ذكر ماكان يجري لأصحاب الدواوين في القرن الرابع الهجري ، فعندما ولى الفضل بن جعفر ديوان المشرق تقرر له مائة دينار في كل شهر[٦٥] .

وأجرى حامد بن العباس ثلاثة الآف درهم في كل شهر برسم مشيخة الكتاب [٦٦] .

ويروى الصابي أن ابن مقلة قال «كنت أكتب لأبى الحسن بن الفرات في التحرير أيام خلافته أبا العباس أخاه على ديوان السواد بجاري عشرة دنانير في كل شهر ، ثم تقدمت حاله فأرزقني ثلاثين دينارا في كل شهر ، فلما تقلد الوزارة جعل رزقي خمسمائة دينار في الشهر »[٦٧] .

ويذكر الصابي أيضا «أن رزق ابن جبير لما كان يكتب وهو بين يدي ابن الفرات في مجلس من مجالس ديوان الخراج خمسة وعشرون دينارا ، فلما تقلد ابن الفرات الوزارة بلغ به مائة دينار ، وأن رزق يعقوب بن اصطيفن (كاتب بيت مال الخاصة) كان في أيام مؤنس وهو ينوب عن دانيال بن عيسى عشرة دنانير ، ثم بلغ أربعين دينارا في وزارة ابن الفرات الثانية [٦٨] .

ويتبين من هذا مجال الزيادات في الأرزاق ، حيث رفع جاري ابن مقلة من عشرة دنانير الى ثلاثين ، ثم الى خمسمائة دينار ، كما أن رزق ابن جبير رفع من خمسة وعشرين دينارا الى مائة دينار ، ورفع رزق يعقوب بن اصطيفن من عشرة دنانير الى أربعين دينارا .

---

(٦٥) الوزراء للصابى ٤٤ .
(٦٦) الوزراء للصابى ٣٤٠ .
(٦٧) الوزراء للصابي ١٣٥ .
(٦٨) الوزراء للصابي ١٥٨ .

ويذكر الصابي أن ابن زنبور كان يكتب لعامل نهر جوبر بعشرين دينارا في الشهر [٦٩] .

وفي الكتب اشارات الى مجموع أرزاق العاملين على بعض الدواوين .

فديوان الدار عندما عين ابن الفرات عليه محمد بن اسماعيل الأنباري قال له «.. وأجريت عليك في كل شهر خمسمائة دينار ، فقدّر ماتحتاج اليه لكتابك ، فقدرت ذلك بتفصيل اشتملت على خمسة وتسعين دينارا »[٧٠] .

أما ديوان الأزمة فان الخصيبي لما وليه « أجرى عليه وعلى كتّابه ألفين وسبعمائة دينار في كل شهر »[٧١] .

وفي سنة ٣٢٢ تقلّد الخصيبي «دواوين الضياع الخاصة والمستحدثة والعباسية والفراتية والمقبوضة عن أم موسى ونذير وشفيع واللؤلؤي ، وضياع المخالفين ، وضياع البرّ ، وضياع الجدة والدة المقتدر ، وديواني زمام المشرق والمغرب ، وأجرى عليه لنفسه أرزاق كتّابه في هذه الدواوين ألف دينار في كل شهر »[٧٢] .

ويذكر الصابي أن على بن الفرات تقدم في وزارته الثانية « برد جارى أصحاب الدواوين وكتّابهم وكتّابه الى ما كان عليه في أيامه الأولى ، فأضعف ذلك ، وصار جاري صاحب ديوان السواد وكتّابه مع ثمن الكاغد والقراطيس نحو سبعة آلاف دينار في الشهر »[٧٣] .

ويتبين من هذا النص أن جاري أصحاب الدواوين كان قبل تولي ابن

---

(٦٩) الوزراء ١٠٥ .
(٧٠) الوزراء ١٩٧ .
(٧١) تجارب الأمم ٢٢٦/١ .
(٧٢) تجارب الأمم ٢٩٥/١ .
(٧٣) الوزراء ٣٧ .

الفرات نصف ما جعله ابن الفرات وانه أصبح سبعة آلاف دينار في الشهر أي انه كان قبله ثلاثة الاف وخمسمائة دينار في الشهر .

وعندما ولى علي بن عيسى الوزارة في سنة ٣١٥ كانت الدولة تعاني من اضطراب في الأحوال المالية ، فأراد معالجته بتقليص المصروف ، ونظر في الجاري والأرزاق ، فنزل أصحاب الدواوين من الثلثين الى النصف ، وجعل لأبي القاسم الكلواذاني من خمسمائة دينار كان يقبضها في كل شهر عن ديوان السواد خمسة آلاف درهم .

وقرر لأبي الفتح الفضل بن جعفر ، ولأبي علي بن مقلة عن ديوان الخاصة والمستحدثة مائة دينار ، وكان حامد أجرى له ثلاثة آلاف دينار في كل شهر برسم مشيخة الكتاب ، وكان يقبضها الى أن نكبة ابن الفرات .

وأسقط أرزاق من كان يقبض برسم الدواوين من الكتّاب وأولاد الكتّاب الذين يحضرون ولايعملون ، وغلمان وأسباب أصحاب الدواوين ، واقتصر بالغلمان على جاري عشرة أشهر في السنة ، وبأصحاب البرد والمنفقين على ثمانية أشهر .

وحذف من كان جاريا بالفرسان والرجّالة برسم النوبة من الكتّاب والتجار أو من لايحمل السلاح ، وأرزاق أولئك الذين في المهود ، وجميع أرزاق الخدم والحشم والجلساء والندماء والمغنين وأصحاب العنايات وأرباب الشفاعات »[٧٤] .

ويتبين من هذا النص أن الأرزاق كانت عند تولى علي بن عيسى الوزارة ثلثي مقدارها، فأرجعها الى النصف، وأنه بهذا الانقاص أصبح للكلواذاني خمسة الآف درهم بعد أن كان يأخذ خمسمائة دينار، فاذا افترضنا ان سعر الصرف هو

---

(٧٤) الوزراء ٣٤٠ .

خمسة عشر درهما للدينار ، فان ماكان الكلواذاني يستلمه يبلغ ٦٠٠٠ درهم أي أن الانقاص لم يكن كثيرا .

ويتبين من النص أيضا أن مشيخة الكتّاب كان جاريهم ثلاثة آلاف درهم في الشهر ، والراجح أنها تدفع لهم ولايشرك فيها من معهم .

كما يتبين منه أن لأصحاب الدواوين غلمان وأسباب كان لهم رزق جاري، وأن عددا من الكتّاب وأولادهم كانوا يأخذون رزقا لمجرد أنهم يحضرون، علما بأنهم لايعملون ، وأن عددا من الأولاد في المهود كانوا يأخذون أرزاقا ، وهذا يظهر التضخم الكبير في عدد من يأخذ الأرزاق من دون عمل من أهل الديوان . غير أنه لاتوجد اشارة الى عدد المستخدمين فيه .

غير أنه يقابل ذلك عدد من الكتّاب يأخذون جاري الفرسان والرجّالة برسم النوبة ، أي أنهم يأخذون أرزاقهم من ديوان الجيش ، بالرغم من أن عملهم كان في دواوين أخرى.وهذا يدل على أنالعمل فيالدواوين أيسر؛ غير أن أرزاقهم أقل من أرزاق الجند .

ويذكر مسكويه أن علي بن عيسى « حطّ » أيضا كفاة العمال واقتصر في أرزاقهم على عشرة أشهر في كل سنة .

وبأصحاب البرد والمنفقين على ثمانية أشهر في السنة .

وحطّ من مال الرجال برسم النوبة ومن مال الفرسان وجميع من كان يرتزق بهذين الرسمين من الكتّاب والتجار ومن لايحمل السلاح .

وحطّ أولاد المرتزقة الذين في المهود .

وحطّ من مال الخدم والحشم ، وجميع أرزاق الجلساء والندماء والمغنين والتجار وأصحاب الشفاعات .

وحطّ أرزاق غلمان وأسباب أصحاب الدواوين»[٧٥] .

ومع أن مسكويه يتفق مع الصابي في تعداد من مس علي بن عيسى أرزاقهم ، الا أنه يذكر أنه «حطّ» هذه الأرزاق أو أنه الغاها كما قال الصابي .

ولعل من المفيد أن نذكر رزق القائمين ببعض الأعمال الاخرى ، ففي القضاء كان شريح يرتزق عليه في زمن الأمويين خمسمائة درهم في الشهر[٧٦] ، وكان اياس بن معاوية قاضي البصرة يرتزق مائة درهم [٧٧] ، ورزق سوّار ابن عبدالله مائة درهم [٧٨] . وفي بغداد كان حفص بن غياث يرتزق مائتي درهم في الشهر [٧٩] ، وكان رزق عبيدالله بن الحسن مائتي درهم أيضا[٨٠] .

ونقل عريب أن قلنسوة كان يتولى الحبس ويرزق له ثمانمائة (ثمانين ؟) دينارا ، فعين علي بن عيسى في سنة ٣١٥ مكانة ابن شيرزاد وأجرى له مائة وعشرين دينارا ، ولمن يخلفه ثلاثين دينارا [٨١] .

أما ديوان القاضي فقد وجدت عنه اشارة واحدة حيث ذكر محمد بن عبدالملك الهمداني أنه عند طلب محمد بن صالح بن أم شيبان للقضاء « أجاب على أن لايقبل رزقا ولاخلعة ولا شفاعة ، وأن يدفع الى كاتبه من بيت مال السلطان ثلاثمائة درهم ، ولحاجبه مائة وخمسين درهما ، وللقاضي في الفروض على بابه مائة درهم ، وخازن ديوانه وأعوانه ستمائة درهم ، وأن يصل اليهم ذلك من الخزانة ، فاجيب»[٨٢] ، ان استجابة طلب القاضي الهاشمي دليل على أن

---

(٧٥) تجارب الأمم ١٥٢/١ .
(٧٦) ابن سعد ٩٥/٦ ؛ وكيع ٢٢٧/٢ ؛ المبسوط للسرخسي ١٠٢/٢٦ .
(٧٧) وكيع ٣٤٢/١ .
(٧٨) وكيع ٨٦/٢ .
(٧٩) الخطيب ١٩٠/٨ .
(٨٠) وكيع ١٢١/٢ .
(٨١) تكملة الطبري لعريب ٦٧ .
(٨٢) تكملة تاريخ الطبري لمحمد بن عبدالملك الهمداني ٥٣ .

طلبه كان معتدلا ومقبولا ، غير أننا لانعلم مدى التعديل الذي أدخله على ما كان سائدا قبل ذلك .

أما الحسبة فان مسكويه يذكر أنه عندما ولى الدينالى الحسبة في سنة ٣١٩ «فأجرى له مائة دينار في كل شهر» غير أنه سأل زيادة «فأجرى له مائة دينار أخرى تسبب برسم الفقهاء »(٨٣) .

لم أجد اشارة الى مجموع نفقات الدواوين في بغداد في صدر العصر العباسي ، ولكن توجد اشارات الى نفقات الدواوين في زمن الأمويين في العراق ، وفي أوائل القرن الرابع ببغداد .

فاما عن زمن الأمويين فان البلاذري يذكر ان جباية كور البصرة في زمن زياد ، أي في خلافة معاوية ، كانت ستين ألف ألف درهم ، ومنها « ينفق نفقات السلطان ألفي ألف »(٨٤) ؛ ويذكر الماوردي ان يوسف بن عمر كان يجبي من العراق ستين ألف ألف درهم ، يصرف منها «في نفقته أربعة الآف ألف درهم ، وفي الطوارق ألفي ألف»(٨٥) ، والراجح ان نفقات السلطان في النص الاول هي مرادفة لما سماه الماوردي «الطوارق» ومنها كانت تبلغ ألفي ألف درهم في السنة .

أما في زمن العباسيين فان الصابي يذكر انه في زمن المعتضد كانت «أرزاق أكابر الكتاب وأصحاب الدواوين والخزان والبوابين والمدبرين والاعوان وسائر من في الدواوين ، وثمن الصحف والقراطيس والكاغد ، سوى كتّاب الدواوين الا عطاء وحلقاتهم على مجالس التفرقة ، وأصحابهم وأعوانهم وخزان بيت المال ، فانهم يأخذون أرزاقهم بما يوفرونه من أموال

---

(٨٣) تجارب الأمم ٢١٧/١ .
(٨٤) أنساب الاشراف ٤ ــ ٢ .
(٨٥) الأحكام السلطانية .

الساقطين وغرم المخلين بدوابهم ، من جملة أربعة آلاف دينار وسبعمائة في الشهر ، مائة وست وخمسين دينارا وثلثين »[٨٦] ، وقد يفهم من هذا النص أن المصروف الاجمالي للدواوين هو ٤٧٠٠ دينارا في الشهر ، أي ستة وخمسين ألف وأربعمائة دينار في السنة ؛ غير أن قوله ان أرزاق أكابر الكتاب والآخرين تبلغ ٢/٣ ١٥٦ دينارا في الشهر يصعب قبوله .

ويذكر ابن الجوزي ان المقتدر «كان يجري على من يتولى الحسبة والمظالم في جميع البلاد اربعمائة وثلاثين ألفا ، وأربعمائة وتسعة وثلاثين دينارا ، وعلى أصحاب البريد تسعة وسبعين ألفا وأربعمائة دينار »[٨٧] .

(٨٦) الوزراء للصابي ٢٦ .
(٨٧) المنتظم ٦/٧ .

الفصل الحادي عشر

النصارى

دخلت النصرانية العراق منذ القرن الاول الميلادي ، وأخذت تنتشر بين سكانه من الفلاحين في السواد وأهل المدن ، وفي بعض العشائر العربية في أطراف العراق ، وعندما نظمت ادارة الكنائس النسطورية في مجمع عقد في سنة ٤١٠م ، كانت في العراق عدة مراكز للمطرنات والكنائس والاديرة[١]، وظل عدد غير قليل من نصارى العراق على دينهم بعد الفتح ، والراجح ان عددا غير قليل من الفلاحين في منطقة بغداد كانوا عند تأسيس بغداد يعتنقون المسيحية .

وعندما كان المنصور يبحث عن موقع لتشييد مدينته وجاء الى منطقة بغداد كان فيها دير على دجلة أوضح صاحبه للمنصور مزايا الموقع وحثه على اختياره لمدينته الجديدة [٢] .

ويذكر اليعقوبي عن هذا الدير « لم يكن ببغداد الا دير على موضع

---

(١) انظر عن انتشار المسيحية وتنظيم كنيستها في العراق في الازمنة الاولى من انتشارها :

J. Labourt : Le Christianism dans l'Empire Perse, Paris 1904.

J. Fiey : Assyrie Chrétienne. 3 Vols.

وانظر عن المعالم الخططية للنصارى في بغداد بحث ميشيل آلارد عن « مسيحيي بغداد » الذي نشره في العدد الخاص عن بغداد في مجلة Arabica م ٩ ج ٣ سنة ١٩٦٢ ، ص ٣٧٥ — ٣٨٨ .

(٢) الطبري ٣/٢٧٥ ؛ ٢٧٧ ؛ ابن الفقيه ٣١ .

مصب الصراة الى دجلة الذي يقال له قرن الصراة ، وهو الدير الذي يسمى الدير العتيق قائم بحاله الى هذا الوقت ، نزله الجاثليق رئيس النصارى النسطورية»[٣]، ولابد ان هذا الدير هو دير مار فثيون الذي يذكر كتاب المجدل «انه في العتيقة ، وكان بناؤه في أيام الفرس قبل بناء بغداد ، مجاورا لعمر صليبا ، وبنى جماعة فيه بنيانا وأقاموا فيها ، فلما بنى المنصور مدينته بالقرب منه ونزلها الناس ، طالب النصارى لمن كان من المسلمين نازلا في الدير بالانتقال منه ، فامتنعوا وقالوا هذا ارثنا من آبائنا (كذا والارجح ان المسلمين طلبوا من النصارى) فنقلوا عنه كرها بأمر المنصور ، فهدم سبريشوع (زمن المأمون) تلك الابنية العتيقة التي كانت فيه ، ولم يتعرض للهيكل والمذبح ، وجدّد بناء بيت الشهداء والاروقة ، فعمل موضعا يسكنه ، ونصب فيه اسكولا وجمع المعلمين فيه ، وصار مقام الفطرك فيه»[٤] ، ولعله هو البيعة التي ذكر المجدل انها كانت في درب القراطيس[٥]، اذ ان هذا الدرب قرب قرن الصراة .

ويذكر الطبري انه في سنة ٢٧١ « خربت العامة الدير العتيق الذي وراء نهر عيسى وانتهبوا كل ما كان فيه من متاع ، وقطعوا الابواب والخشب وغير ذلك ، وهدموا بعض حيطانه وسقوفه ، فصار اليهم الحسين بن اسماعيل صاحب شرطة بغداد من قبل محمد بن طاهر فمنعهم من هدم مابقى منه .. ثم بنى ماكانت العامة هدمته بعد أيام ، وكان اعادة بنائه ، فيما ذكر ، بقوة عبدون بن مخلد اخى صاعد بن مخلد » [٦] .

ان موقع هذا الدير عند قرن الصراة حيث كانت قصور عدد من أولاد ابى جعفر ، وبالقرب من الشرقية التي أراد المنصور ان يجعلها مقام ابنه المهدي،

---

(٣) البلدان ٢٣٥ .
(٤) اخبار بطاركة كرسي المشرق لعمرو بن متى ٦٩ .
(٥) اخبار بطاركة كرسي المشرق لعمرو بن متى ١١٩ .
(٦) الطبري ٣/٢١٠٧ — ٨ .

ثم صار فيها جامع يقيم فيه قاضي الشرقية مما يدل على ان الدير كان في منطقة سكانها عرب ومسلمون ، وبقاؤه مظهر لاحترام الخلفاء العباسيين الملكيات الخاصة .

وفي أقصى الأطراف الجنوبية من الكرخ كانت في العقبة بيعة السيدة مارت مريم [٧] ، وظلت قائمة الى زمن الخليفة الناصر لدين الله [٨] ، ودفن فيها الطبيب المشهور ابن التلميذ [٩] .

وبالقرب من مقبرة معروف الواقعة في الأطراف الغربية من الكرخ كان دير الثعالب [١٠] ، وبه سميت مقبرة الدير [١١] ، وبقربه دير اكليلشوع الذي كان دير الجاثليق ، ووصفه الشابشتي بانه « قرب باب الحديد ، وهو دير حسن نزه تحدق به البساتين والاشجار والرياحين وهو يوازي دير الثعالب في النزهة »[١٢] .

لاريب في أن وجود هذه الأديرة هو دليل على وجود النصارى في الجانب الغربي ، غير أنه فيما عدا الدير العتيق الذي عند قرن الصراة ، لانعلم تاريخ انشاء هذه الاديرة التي لايوجد دليل على أنها كانت قائمة قبل تأسيس بغداد ، كما انه لانعلم مدى كثرة النصارى قرب كل من هذه الاديرة .

ويذكر سهراب ان نهر عيسى يمر بالياسرية (وهي خارج بغداد) « ثم يمر الى الرومية ، وعليه هناك قنطرة تعرف بالرومية»[١٣] ، ويذكر اليعقوبي

---

(٧) اخبار بطارقة المشرق ١٣٧ .
(٨) كذلك ١١٥ .
(٩) كذلك ١٠٦ .
(١٠) ياقوت ٢/٦٥٠ .
(١١) الخطيب ١/١٢٢ ؛ ياقوت ١/٤٢٦ .
(١٢) الشابشتي : الديارات ٢٨ ؛ ياقوت ٢/٦٥٠ ، وانظر التعليق المفصل الذي كتبه الاستاذ كوركيس عواد عن ذلك في كتاب الديارات للشابشتي ٣٤٧ .
(١٣) سهراب ١٢٣ الخطيب ١/١١١ .

أنه يتصل بقطيعة حميد بن قحطبة « قطيعة الفراشين وتعرف بدار الروميين وتشرع على نهر كرخايا .. وبازاء قطيعة الروميين على نهر كرخايا الذي عليه القنطرة المعروفة بالروميين »[١٤] ، ولابد ان تكون هذه هي التي ذكر ابن النديم « دار الروم في الجانب الغربي » وان ممن كان يسكنها فثيون النصراني[١٥] ، وهي غير دار الروم في الجانب الشرقي. وتدل تسمية القنطرة بهم على قدمهم، كما يدل اسمهم على انهم كانوا نصارى ، وقد يكونون من « الروم » أو ممن يعتنق الارثودكسية مذهب الروم .

ذكرت المصادر الخططية « قطيعة النصارى » عند نهر طابق [١٦] ؛ ويبدو أن المنصور هو الذي أقطعهم اياها ، ولم يذكر لها رئيس ، غير أنه كانت فيها بيعة مار توما ، وهي من بيع اليعاقبة القليلة في بغداد ، وقد دفن فيها يحيى بن عدي سنة ٩٧٥ م (٣٦٥ هـ) ثم خربها العامة بعد ذلك . وممن نزل هذه البيعة خذاهما الأعرج ، اخو يوحنا بن عيسى [١٧] . ويقول البطريرك برصوم انه كان في قطيعة النصارى دير العذارى [١٨] . ولعل في هذه القطيعة ايضا كان دير مديان الذي يذكر الشابشتي انه كان على نهر كرخايا وانه « دير حسن نزه حوله بساتين وعمارة ويقصد للتنزه والشرب ، لايخلو من قاصد وطارق ، وهو من البقاع الحسنة النزهة [١٩] .

ان تسمية « قطيعة » يدل على قدمها ، وانها ترجع الى زمن ابى جعفر الذي وزع القطائع في الجانب الغربي ، ولابد انها لنصارى قدموا بغداد ،

---

(١٤) البلدان ٢٤٤ .
(١٥) الفهرست لابن النديم ٢٣٠ .
(١٦) الخطيب ١/٩١ ، ياقوت ٤/١٤٣ ؛ وانظر ابن الفقيه ٤٤ .
(١٧) اخبار بطارقة المشرق لماري بن سليمان ٨٥ .
(١٨) تعليق منشور مع كتاب الديارات للشابشتي ٣٦٣ .
(١٩) الديارات للشابشتي ٣٣ .

ولم يكونوا من الفلاحين المقيمين في القرى التي امتدت بغداد على أراضيها ؛ كما ان وجود الأديرة فيها وعدم ذكر مسلم استوطنها يدل على أن سكانها ظلوا من النصارى .

ذكرنا من قبل ان كثيرا من كتّاب الدواوين في بغداد كانوا من النصارى، ويجدر ان نذكر ان النصارى في بغداد عرفوا بحرف معينة ، فيذكر الجاحظ عن النصارى « ومما عظمهم في قلوب العوام وحببهم الى الطغام ان منهم كتاب السلاطين ، وفراشي الملوك ، وأطباء الأشراف ، والعطارين والصيارفة »[٢٠] ؛ غير ان موقع القطيعة بعيد عن الدواوين ، ولانعلم من سكن من أطبائهم في هذه القطيعة .



(٢٠) الرد على النصارى ١٧ .

الفصل الثاني عشر

تنظيم العمل في بنـاء بغـداد

في الكتب اشارات تدل على أن التصميم العام للمدينة الجديدة وأرباضها كان من وضع المنصور نفسه ، فيذكر الطبري عن الهيثم بن عدي أن المنصور « خطّها وقدّر بناءها ووضع أول لبنة بيده »(1) ؛ ويذكر أيضا أنه « لما عـزم على بنائها أحب أن ينظر اليها عيانا ، فأمر أن يخط بالرماد ، ثم أقبل يدخل من كل باب .. ففهمها وعرف رسمها ، وأمر أن يحفر أساس ذلك على الرسم ، ثم ابتدىء في عملها (2) ؛ وذكروا أن المنصور « أحضر المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة وقسمة الأرضين ، فمثّل لهم صفتها التي في نفسه ... ثم اختطها وجعلها مدورة »(3) .

ويقول اليعقوبي أن المنصور «قسم الأرباض في أربعة أرباع وقلّد للقيام بكل ربع رجلا من المهندسين ، وأعطى أصحاب كل ربع مبلغ ما يصيّر لصاحب كل قطعة من الذرع ، ومبلغ الذرع ، ومبلغ ذرع ما لعمل الأسواق في ربض ربض »(4) . ويقول أيضا «ووقع الى كل أصحاب ربع ما يصيّر لكل رجل من الذرع ولمن معه من أصحابه وما قدّره للحوانيت والأسواق في كل ربض ، وأمرهم أن يوسّعوا في الحوانيت ليكون في كل ربض من السكك والدروب النافذة وغير النافذة ما يعتدل به المنازل ، وأن يسموا كل

---

(1) الطبري ٣/٢٧٤ .
(2) الطبري ٣/٢٧٧ ؛ ابن الفقيه ٣٥ .
(3) البلدان ٢٣٨ ؛ الخطيب ١/٦٦ ؛ ابن الفقيه ٣٢ .
(4) البلدان ٢٤١ .

درب باسم القائد النازل فيه ، أو الرجل النبيه الذي ينزله ، وأهل البلد الذي يسكنونـه .

وحدّ لهم أن يجعلوا عرض الشوارع خمسين ذراعا بالسوداء ، والدروب ست عشرة ذراعا ، وان يبتنوا في جميع الأرباض والاسواق والدروب من المساجد والحمّامات ما يكتفى بها من في كل ناحية ومحلة .

وأمرهم جميعا ان يجعلوا من قطائع القواد والجند ذراعا معلوما للتجار يبنونه وينزلونه ، ولسوقة الناس وأهل البلدان »[٥] .

ذكرت المصادر أن المنصور استعان بالمنجمين لأخذ الطالع عند وضع اللبنة الأولى ، فذكر الخطيب أنه استعان بنوبخت [٦] ، وذكر اليعقوبي أنه استعان بنوبخت المنجم وماشاالله بن سارية [٧] ، غير أنه ذكر في مكان آخر أن مدينة المنصور «هندسوها بحضرة نوبخت وابراهيم بن محمد الفزاري والطبري والمنجمين أصحاب الحساب »[٨] .

فأما نوبخت فلعله الذي ذكر البلاذري بان المنصور كان قد سمع منه تنبؤاً بتسنمه الخلافة ، عندما كان ذاهبا للقاء عبدالله بن معاوية [٩] ، وهو « نوبخت المجوسي المنجم ، واسلم على يده ، وهو ابو هؤلاء النوبختية»[١٠] .

وأما ماشاالله فيقول ابن النديم « ماشاالله بن ثرى كان في أيام المنصور والى أيام المأمون » ، وذكر له عدة كتب ألفها [١١] ، وجاء

---

(٥) البلدان ٢٤٢ .
(٦) ابن الفقيه ٤٠ .
(٧) البلدان ٢٣٨ .
(٨) البلدان ٢٤١ .
(٩) أنساب الأشراف ١٨٣/٣ .
(١٠) مروج الذهب ٢٢٣/٤ .
(١١) الفهرست ٣٣٣ .

في القصيدة الدامغة لابن الحائك الهمداني التي يفخر فيها باليمن :

ومنا سيبويه وذو القضايـا اخو جرم رئيس الحاسبينـا

•• وهو صاحب كتاب «النجوم الكبير» ولعله يريد صاحب الحساب ماشاالله ، وقد أخبرني أحمد بن ابراهيم سكين الراسبي ان ماشاالله منهم [١٢] •

وأما ابراهيم بن محمد الفزاري فيذكر المسعودي أنه صاحب القصيدة في النجوم [١٣] •

وأما الطبري فليست لدينا تفاصيل عن حيـاته ، ومن المحتمل انه عمر بن الفرخان الطبري الذي فسّر نقل البطريق وشرح كتب ذروشيوس [١٤] •

يقول الطبري أن المنصور « أمر باختيار قوم من أهل الفضل والعدالـة والفقه والامانة والمعرفة والهندسة فجمعهم وتقدم اليهم أن يشرفوا على البناء ، وكان فيمن أحضر الحجاج بن أرطاة وابو حنيفة »[١٥] ، ويقول الخطيـب « تولّى الوقوف على خط بغداد الحجـاج بن أرطاة وجماعـة مـن أهـل الكوفة »[١٦] •

فأما أبو حنيفة فهو الفقيه المشهور ، وقد تولى عدّ اللبن [١٧] ، ويذكر ابن الفقيه أن أبا حنيفة كان مسؤولا أيضا « عن أخذ الرجال بالعمل » •

أما الحجاج بن أرطاة فهو من رجال الحديث والفقه، وقد نقل عنه أبو عبيد القاسم بن سلام كثيرا في كتاب الأموال، وله تراجم في كتب الرجال، وقد أجمل ترجمته الذهبي في سير اعلام النبلاء وقال أنه كان أحد مفتى الكوفة ، وأنـه

---

(١٢) شرح القصيدة الدامغة ٥٦٤ •

(١٣) مروج الذهب ٣٣٣/٤ •

(١٤) انظر : نالينو : تاريخ علم الفلك عند العرب ١٤٥ ، ٢١٧ •

(١٥) الطبري ٢٧٦/٣ ؛ ابن الفقيه ٣٢ •

(١٦) الخطيب ٧٠/١ ؛ وانظر : وكيع : أخبار القضاة ٥٣/٢ •

(١٧) الخطيب ٧١/١ ؛ ابن الفقيه ٣٣ ؛ الطبري ٢٧٣/٣ •

ولي الشرطة ، وولاّه أبو جعفر المنصور في أول اعلان الخلافة العباسية ، قضاء البصرة ، فمكث في عمله مدة قصيرة ، وكان معروفا بالتيه والكبرياء ، وتوفي بالري سنة ١٤٩ (١٨) . ويذكر الطبري ان « الذي خط المسجد الحجاج ابن أرطاة » (١٩) .

ولابد أن آخرين لم تذكر المصادر اسماءهم استخدموا في الأعمال الهندسية الواسعة التي يتطلبها بناء المدينة المدورة .

يذكر اليعقوبي أن أرباض المدينة «كان الذين هندسوها عبدالله بن محرز ، والحجاج بن يوسف ، وعمران بن الوضّاح ، وشهاب بن كثير » وأن المنصور « قلّد للقيام بكل ربع رجلا من المهندسين » (٢٠) ، وأن عمران بن الوضّاح المهندس أشرف على بناء الأرباض الممتدة من باب الكوفة الى باب البصرة وباب المحوّل والكرخ وما اتصل به (٢١) ، وأشرف عبدالله بن محرز المهندس « على الربع من باب الكوفة الى باب الشام وشارع طريق الانبار»(٢٢)، وأشرف الحجاج بن أرطاة « من باب الشام الى ربض حرب (٢٣) ، وكان اشراف شهاب بن كثير المهندس من باب خراسان الى الجسر الذي على دجلة والى باب قطربّل » (٢٤) .

لم يرد في المصادر ذكر لتراجم هؤلاء المهندسين ، أو اقطاعات لهم في المدينة المدورة أو أرباضها ، وان كانت أسماؤهم تدل على اصولهم العربية والاسلامية ، ومع أن اليعقوبي يذكر أن المنصور أحضر المهندسين والبنائين

---

(١٨) سير اعلام النبلاء ٣/٦٨ — ٧٥ ؛ وانظر وكيع : أخبار القضاة ٢/٥٠—٥٣ .
(١٩) الطبري ٣/٣٢٢ .
(٢٠) البلدان ٢٤١ .
(٢١) البلدان ٢٤٦ .
(٢٢) البلدان ٢٤٢ .
(٢٣) البلدان ٢٤٢ ، ٢٤٩ .
(٢٤) البلدان ٢٤٢ ، ٢٤٩ .

والفَعَلة من كل بلد[٢٥]، الا أنه ليس من المستبعد أن يكون هؤلاء المهندسون، أو معظمهم ، من أهل الكوفة . ويلاحظ أن اليعقوبي يذكر أن أبا جعفر « اختط الرافقة على شط الفرات (قرب الرقة) وهندسها ابراهيم بن محرز[٢٦]، ولعل ابراهيم هذا هو نفس عبدالله ، وان الخطأ في التسمية ؛ علما بان الرافقة بنيت سنة ١٥٥ على بناء مدينته ببغداد في ابوابها وفصولها ورجالها وشوارعها وسوّر سورها وخندقها »[٢٧] ، غير ان الأزدي يذكر أن المنصور « وجّه معاوية بن صالح ومعاذ بن مسلم فخطا موضع السور برماد ، وصيّرا موضع كل برج علماً »[٢٨] ؛ ولم أجد معلومات عن معاوية بن صالح ، وأما معاذ بن مسلم فهو قاتل في خراسان استاذسيس[٢٩]، وكما قاتل المقنع [٣٠]، وولى خراسان سنتي ١٦١ و ١٦٢[٣١] ، مما قد يدل على انه كان المشرف وليس المهندس على بناء الرافقة .

ويجدر أن نشير الى المهندس موسى بن داوود الذي قال له المأمون « يا موسى اذا بنيت لي بناءا فاجعله مايعجز عن هدمه ليبقى طلله ورسمه»[٣٢].

أما الاشراف على العمل فان الطبري ذكر أن المنصور جعل المدينة أرباعا « ووكل بكل ربع قائدا »[٣٣] ؛ وقال ابن الفقيه « ووكل البناء قواده ، فقسمها بينهم أرباعا ، فدفع الى الربيع الحاجب باب خراسان ، والى أبى أيوب الخوزي وزيره باب الكوفة ، والى عبدالملك بن حميد باب البصرة ، والى ابن رغبان

---

(٢٥) البلدان ٢٣٨ ؛ تاريخ اليعقوبي ١٠٩/٣ .
(٢٦) تاريخ اليعقوبي ٩٥/٣ .
(٢٧) الطبري ٣٧٣/٣ .
(٢٨) تاريخ الموصل ٢٢٤ .
(٢٩) الطبري ٣٥٤/٣ .
(٣٠) الطبري ٤٨٨/٣ .
(٣١) الطبري ٤٧٧/٣ ، ٥٠٠ .
(٣٢) الطبري ٣٢١/٣ .
(٣٣) الطبري ٢٧٢/٣ ، ٢٧٨ .

مولى محمد بن مسلمة الفهري باب الشام فبنوها »[٣٤] .

أما الأرباض فيذكر اليعقوبي أن المنصور قسمها أربعة أرباع فكان يشرف على البناء «من باب الكوفة الى باب البصرة وباب المحول والكرخ المسيّب بن زهير والربيع » .

ومن باب الكوفة الى باب الشام وشارع طريق الانبار الى ربض حرب ، سليمان بن مجالد وواضح .

ومن باب الشام الى ربض حرب الى الجسر حرب بن عبدالله وغزوان مولاه .

ومن باب خراسان الى الجسر فالبغيين فباب قطربل هشام بن عمرو التغلبي وعمارة بن حمزة [٣٥] .

وذكر الخطيب أن المنصور «أمر أن يبنى لأهل الأسواق مسجد .. وقلّد ذلك رجلا يقال له الوضّاح بن شبا ، فبنى القصر الذي يقال له قصر الوضّاح والمسجد فيه »[٣٦] .

أما قصر الخلد فانه « قسم بناءه على مولاه الربيع وأبان بن عبدالله»[٣٧] ويقول الخطيب أن المنصور لما أمر باخراج الاسواق من المدينة الى الكرخ « أمر أن يبنى مابين الصراة الى نهر عيسى ، وولى ذلك محمد بن حبيش»[٣٨]، أما الطبري فيقول ان المنصور «تقدم الى ابراهيم بن حبيش وخراش بن المسيب اليماني بذلك ، وأمرهما أن يبنيا الأسواق ناحية الكرخ ويجعلاها صفوفا ، لكل سوق صف ، فيدفعوها للناس »[٣٩] .

---

(٣٤) ابن الفقيه ٤١ .
(٣٥) البلدان ٢٤١ ـ ٢ .
(٣٦) الخطيب ١/٨١ ؛ ابن الفقيه ٢٨ .
(٣٧) الطبري ٣/٣٧٩ ؛ أنساب الأشراف ٣/٢٦٩ .
(٣٨) الخطيب ١/٨٠ .
(٣٩) الطبري ٣/٣٢٣ .

ويلاحظ ان المنصور عندما بلغه خروج محمد بن عبدالله خلال البناء ، غادرها الى الكوفة واستخلف اسلم مولاه على الاشراف على البناء [٣٩] أ .

أما النفقات فقد عين لها رجالا ذكرت المصادر بعضهم ، فروى الطبري عن هارون بن زياد بن خالد بن الصلت « ولّى المنصور خالد بن الصلت النفقة على ربع من أرباع المدينة وهي تبنى ، قال خالد فلما فرغت من بناء ذلك الربع رفعت اليه جماعة النفقة عليه فحسبها بيده ، فبقى علّي خمسة عشر درهما ..»[٤٠] ، ويتضح من هذا أنه كان بجانب من يتولى النفقة، آخرون يقومون بتدقيق الحسابات ورفعها الى الخليفة ، غير أن المصادر لم تذكر أسماء من تولى النفقة على الأرباع الأخرى أو أسماء من دقق حساباتهم .

ويذكر البلاذري أن الوضّاح تولى النفقة على قصر الوضاح [٤١] .

ويذكر ابن الفقيه أن المنصور عندما بنى الخلد والجسر « جعل النفقة لذلك على يدي حميد بن القاسم الصيرفي »[٤٣] .

ذكر الخطيب «ان المنصور لما عزم على بنائها (بغداد) أحضر المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة وقسمة الأرضين ، فمثّل لهم صفتها التي في نفسه ثم أحضر الفعلة والصنّاع من النجارين والحفارين والحدادين وغيرهم ، فأجرى عليهم الأرزاق ، وكتب الى كل بلد في حمل من فيه ممن يفهم شيئا من أمر البناء »[٤٣] .

ونقل الطبري عن سليمان بن مجالد « ان المنصور وجّه في حشر الصنّاع والفعلة من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة، فاحضروا»[٤٤]؛

---

(٣٩)أ الطبري ٢١٩/٣ .
(٤٠) الطبري ٣٢٢/٣ .
(٤١) فتوح البلدان ٢٩٤ ؛ ابن الفقيه ٤٦ .
(٤٢) ابن الفقيه ٣٩ .
(٤٣) الخطيب ٦٧/١ ، البلدان لليعقوبي ٢٣٩ .
(٤٤) الطبري ٢٧٦/٣ .

واستعماله كلمة « حشر » قد تـدل على اجبـارهم ، غير ان المصـادر وروح العصر لاتؤيد ذلك ؛ ولعله قصد «حشد» أي «جمع» .

ويضيف اليعقوبي على ما نقلناه عنه أعلاه « فحضره مائة ألـف مـن أصحاب المهن والصناعات ، خبّر بهذا جماعة من المشايخ : أن أبا جعفر المنصور لم يبتدىء البناء حتى تكامل من الفعلة وأهل المهن مائة ألف »[٤٥] ، وذكـر المسعودي «كان عمل في بناء بغداد في كل يوم خمسون ألف رجل» [٤٦] .

وذكر المقدسي ان المنصور حشر الصناع والفعلة من الشام والموصـل والجبل وسائر أعماله [٤٧] .

ويتبين من البلاد التي ذكر الطبري والمقدسي جلب العمال منها أنها كلها (ماعدا الجبل) من المدن العربية ، وأن ثلاثة منها ، هي الكوفـة وواسـط والبصرة ، هي أمصار بنيت في زمن الاسلام ، ولم يرد ذكر لاستيراده عمالا من مصر والمغرب ، أو من بلاد الهضبة الايرانية . ويلاحظ انه استورد العمال من بلاد مناخها يقارب مناخ العراق ؛ ولم يرد ذكر لاستيراده صنّاعا من خارج بلاد الاسلام ، ولا من بلاد الروم الذين كان الوليد قد استوردهم لبناء مسجد المدينة وجوامعها . ويلاحظ أن الصنّاع الذين استوردهم من (النجاريـن والحفارين والحدادين) ، ولم يذكر انه استورد مزوقين أو نقاشين ؛ مما قـد يدل على انه لم يهتم كثيرا بالزخرفة والنقوش . غير أنه لابد وان استخدم في البناء عددا غير قليل من الايدي العاملة المتوفرة في المنطقة ، وخـاصة للاعمال غير الفنية ، ولعل كثيرا منهم كانوا من فلاحي المنطقة الذين تحولت مزارعهـم الى مناطق سكنية فوجدوا لهم مجالا جديدا للعمل .

يذكر اليعقوبي ان بغداد «عمل فيها كل ما يعمل في بلد من البلدان ، لأن حذاق أهل الصناعات انتقلوا اليها من كل بلد ، وأتوها من كل أفـق ،

---

(٤٥) البلدان ٢٣٨ .

(٤٦) مروج الذهب ٣٠٨/٣ .

(٤٧) أحسن التقاسيم ١٢١ .

وتفرغوا اليها من الاداني والاقاصي » [٤٨] ؛ ويظهر تنوع المظاهر والأساليب في الابنية ضمن اطار الهيكل العام .

ذكر اليعقوبي أن أبا جعفر «لم يبتدىء البناء حتى تكامل له من الفعلة وأهل المهن مائة ألف »[٤٩] . ان المدة القصيرة نسبيا التي انجز فيها البناء تدل على كثرة من عمل فيه ، وعلى كفاءة العمل . غير أن المائة ألف التي ذكرها هو عدد مبالغ به فيما نرى ، كما ان قوله انه لم يبتدىء بالبناء حتى تكامل له العدد ، يصعب قبوله ، اذ لايعقل الانتظار حتى يكمل هذا الحشد الكبير ، ولعل حفر الأسس وقطع اللبن بدأ قبل أن يكتمل التجمع ، وأن البناء الفعلي بدأ بعد اكتمال التجمع .

ذكر الخطيب صنفين ممن يعمل في البناء ، وهما الأستاذ والروزجاري ، وانه كانت تدفع لهم أجور يومية ، فيدفع للاستاذ بين قيراط وخمس حبات وللروزجاري حبتان الى ثلاث حبات [٥٠] . أي أن الاجور كانت بالنقود وليس بالمواد العينية ، وهذا يقتضي نشاط السوق لتوفير حاجات هؤلاء العمال ؛ ويقتضي تواجد والباعة والكسبة وبعض أصحاب الصناعات منذ بداية العمل بتأسيس بغداد .

غير أن القول بأن الاجور كانت يومية ، وأنها كانت تدفع باجزاء الدرهم والفلوس ، هو أمر يصعب قبوله ، لأن ذلك يتطلب أن توفر الدولة مقدارا كبيرا من «الفلوس» النحاسية التي هي ليست العملة الأساسية المتداولة ، والأكثر قبولا هو أن الاجرة كانت تقدر مياومة ، أما دفعها فكان يتم «اسبوعيا» أو « شهريا » .

يتطلب حشد مثل هذا العدد الكبير لهذه الأعمال الواسعة ادارة خاصة للعمال ، غير أن المصادر لم تذكر هذا التنظيم .

---

(٤٨) البلدان ٢٥١ .
(٤٩) البلدان ٢٣٨ .
(٥٠) الخطيب ١/٧٠ ؛ الطبري ٣/٣٢٤ .

ولم يذكر من البنائين الا اسم واحد هو «رباح البناء كان يتولى بناء سور مدينة المنصور» (٥١) ٠

ذكرنا أن المصادر تذكر أن المنصور جمع الصناع والفعلة من عدة أماكن لبناء مدينته ؛ والراجح أن كثيرا منهم جاء مع أسرته ، اذ يصعب تصور حشد كبير من الصناع والعمال ينقطع عن أهله مدة غير قصيرة للعمل في مكان لايبعد كثيراً عن مسكنه الأول (الكوفة وواسط والبصرة والموصل خاصة ، بالاضافة الى مايحدثه هذا الحشد الكبير من الرجال من مشاكل اخلاقية وأمنية ٠

يتطلب هذا الحشد الكبير من العمال والصنّاع أماكن لايوائهم وسكناهم وأثاثا مهما كان بسيطا فانه ضروري لمنامهم ومعاشهم ؛ ومع أن فصل الصيف الذي بدأ فيه العمل ، والخريف الذي تلاه تقل فيهما الحاجة الى ملاجيء لهم، الا أنه لايمكن الاستغناء عن هذه الملاجيء في فصل الشتاء الذي مهما كان قصيرا ، فانه بارد وممطر ويتطلب مكانا يأوون اليه ٠ ومن المحتمل أنهم توزعوا زمرا في مناطق متعددة ، ولعل بعضهم استفاد من أبنية القرى المنبثة في المنطقة٠

ذكرنا أن الأبنية الأساسية اكتملت خلال سنة ، غير أن البناء الكامل لم يستتم الا بعد أربع سنوات ، ثم تبعته مباشرة أبنية « عامة » أخرى امتدت الى آخر حياة أبى جعفر ، بل انها امتدت الى طوال خلافة المهدي ٠ وبذلك لم تنقطع الحاجة الى الصنّاع والفعلة ، واذا أضفنا حاجة أصحاب الابنية الخاصة الى الصناع ، فانه يرجح أن هؤلاء الصناع والفعلة ، أو أكثرهم ، استقروا مع أهليهم في بغداد حيث يتوفر مجال العمل والرزق ٠

ذكرنا أن المنصور قسم الاراضي التي في أطراف المدينة المدورة الى أرباض وقطائع ودروب ، وعيّن مساحات المساجد والأسواق والحوانيت؛ غير أن المصادر لم تذكر أن الدولة قامت ببنائها ؛ ومع أن بعض أصحابها ، وخاصة الجند ، أسهموا في بناء بيوتهم ، غير أنهم كان لابد لهم أن يستعينوا

---

(٥١) الخطيب ١/٧٠ ٠

بعمال في النجارة والحديد وغيرها • كما أن القواد والبارزين كانت حاجتهم الى العمال أكبر ، لبنـاء بيوتهم التي لابد أن بعضـها كان واسعا وكبيرا • يضاف الى ذلك قصور رجال الأسرة العباسية والخاصة •

يتبين من كل ذلك أن الحاجة الى الصنّاع والفعلة استمرت قائمة لسنوات متعددة ، مما اقتضى أن يتخذ كثير منهم في بغداد مقاما دائما • كما أن مجيء كثير منهم من مدن عربية قد يدل على أن كثيرا منهم كانوا من العرب ؛ ومـن المحتمل أنهم توزعوا في سكناهم على مناطق متعددة ، وخاصـة في أطراف المناطق المعمرة من بغـداد •

وقد رافق ذلك نشاط في استيراد المواد اللازمة للبناء من خشب وحديد ولوازم بيتية ، وأدى ذلك الى تحويل بعض الموارد التي تصرف على أهلها الى بلاد اخرى ، غير أنه يجب عدم المبالغة في مقدار ماكان يحوّل منها من الاموال، أي أن الثروة بدأت تتراكم في بغداد بالرغم مما يصدر من النقود لشراء المواد الأساسية أو ما يحوله بعض العمال الى اهلهم في الخارج •

وقد أدرك المنصور في تخطيطه أهمية السوق ، فأمر بانشاء سوق محلية في كل ربض وأن يوسع في الحوانيت ، بل حتى المدينة المدورة ازداد أهـل السوق فيها وكادوا يشوهون أمنها وطابعها الى أن أخرجهم منها •

ولابد أن تزايد السـكان وتراكم الأموال ونمو النشاط الاقتصـادي أدى الى زيادة مجالات العمل والربح ، والى ارتفاع أسعار الأراضي والأبنية وأجور البيوت ؛ وقد ذكرت المصادر الأرباح الكبيرة لأرحاء البطريق حيث بلغت ١٠٠٪ في السنة ، ولعلها انموذج لمشـاريع أخرى ربمـا كانت على مقياس أقل (٥٢) •

---

(٥٢) انظر فصل «الاشغال العامة وتخطيط المدينة» في كتاب خطط بغداد في العهود العباسية الاولى ليعقوب ليسنر ص ٢٤٦–٢٤٨ (الترجمة العربية)•

الفصل الثالث عشر

الاعمار والنشاط الاقتصادي

مشاريع الدولة

كانت الرقعة التي اختارها المنصور لتشييد عاصمته فيها عدد من الأنهار وهي نهر الرفيل ، ويتفرع منه كرخاياو طابق والصراة ؛ ونهر الدجيل ، وكلها تجري خارج الأرض التي قرر بناء مدينته المدورة عليها • وكان في هذه الرقعة أيضا دير وعدد من القرى الصغيرة يسكنها أهل المنطقة من أصحاب الارض وفلاحيهم • والراجح أن بيوت هذه القرى كانت بسيطة ، واسعار أراضيها رخيصة •

وعندما صمّم المنصور مدينته ، وضع في خطته اقامة أبنية عامة تشمل القصر والجامع وطاقات السكك والأسوار والخنادق ؛ وبعض الأبنية للدواوين • وقد كملت االابنية الرئيسة خلال سنة من بدء تشييد المدينة ، مما يسّر له الانتقال اليها وسكناها • غير أن الأبنية العامة لم تكتمل الا بعد أربع سنوات من بدء البناء ، حيث أنه في سنة ١٤٩ «تم بناء السور وجميع أمورها » [١] •

وردت روايتان عن مبلغ النفقة على المدينة المدورة بما فيها من المسجد الجامع وقصر الذهب والاسواق والفصلان والخنادق والابواب والقباب ؛ فاما الرواية الاولى فهي عن عيسى بن المنصور الذي يذكر انه وجد في خزائن ابيه

(١) تاريخ الخطيب ٦٧/١ .

المنصور ان مبلغ النفقة كان اربعة الاف الف وثمانمائة وثلاث وثمانية الف درهماً ، وانها تساوي من الفلوس مائة الف الف وثلاث وعشرين الف فلس[٢] واما الرواية الثانية فتذكر ان مبلغ النفقة كان ثمانية عشر الف الف [٣] . وقد نبه الخطيب الى التباين الكبير بين الرقمين .

وذكرت بعض المصادر « ان الاستاذ من البنائين كان يعمل يومه بقيراط فضة ، والروزكاري بحبتين الى ثلاث حبات » [٤] .

كان العمل في بناء المدينة المدورة مقدراً باجور يومية وقد ورد عن مقدارها نصان : اولهما قول الطبري ان « الاستاذ من البنائين كان يعمل يومه بقيراط فضة ، والروزجاري بحبتين الى ثلاث حبات [٥] ، والنص الثاني قول الخطيب ان « الاستاذ من الصناع كان يعمل يومه بقيراط الى خمس حبات ، والروزجاري بحبتين الى ثلاث حبات» وان « الرجل يعمل بالروزجار في السور كل يوم بخمس حبات [٦] ؛ وكلا النصين يتفقان على ان الروزجاري كان يعمل بحبتين الى ثلاث حبات ، الا من عمل في السور فان عمله كان خمس حبات في اليوم ، ولعل هذا كان في اوائل ايام العمل ثم انخفض الاجر بعدئذ لتزايد العمال . وحدد الطبرى عمل الاستاذ بقيراض فضة .

لا نعلم مقدار الحبة التي وردت في زمن ابى جعفر ، عماً بان مقدار الحبة

---

(٢) ابن الفقيه ٣٩ ، الطبري ٣/٣٢٦ ، الخطيب ١/٦٩ ، وهو يذكر ان النفقة اربعة الاف وثمانمائة وثلاث وثمانين درهماً او اثنى عشر الف وثلاثمائة فلس ، وهو خطأ من الناسخ اذ ان ياقوت ينقل عن الخطيب الرقم المذكور اعلاه (١/٦٨٣) وانظر المقدسي ١٢١ (يذكره ٣٣ ٨ / ٠٠ر٤ درهما) .

(٣) الخطيب ١/٦٩ عن احمد البربري ، ويذكر ياقوت هذا المبلغ بالدنانير ١/٦٨٣ .

(٤) الطبري ٣/٣٢٦ ، ابن الفقيه ٣٩ ؛ اما الخطيب فذكر ان الاستاذ كان يعمل بقيراط الى خمس حبات . (١/٦٩) ، ياقوت ١/٦٨٣ .

(٥) الطبري ٣/٣٢٦ .

(٦) الخطيب ١/٧٠ .

يختلف في البلدان ، فالدرهم في بعض البلدان يتكون من ٤٨ حبة، وفي بلدان اخرى يتكون من ستين حبة [٧] .

اما القيراط فهو شرعاً ١/٢٠ من المثقال ، اي خمس حبات ، ولكنه كثيراً ما يتكون من ثلاث حبات [٨] .

ويقول البوزجاني ان الدرهم « بالعراق وكور الاهواز ونواحي فارس فهو ثمانية واربعون حبة ، وستون شعيراً ، وستة وتسعون فلساً ، وهو عند اهل بغداد اثنا عشر قيراطاً » .

ويقول ايضاً ان الدينار « هو بنواحي السواد عشرون قيراطاً ، وستون حبة ، وستون عشيراً ، فاما بالبصرة والاهواز ونواحي فارس فهو اربعة وعشرون قيراطاً ، واثنان وسبعون حبة ، فيكون القيراط في الوجهين جميعاً ثلاث حبات ، وتكون حبة فضة العراق مثل ثلاثة ارباع حبة خراسان والشام ، وهي مثلها ومثل ثلثها ، وحبة الفضة مثل سبعة اثمان حبة الذهب .. فاما بالبصرة وكور الاهواز وفارس فان حبة الفضة هي مثل حبة الذهب ، ومثل نصف عشرها »[٩] .

ويتبين من هذا ان قيراط الدرهم في العراق يساوي اربع حبات ، اما قيراط الدينار فيساوي ثلاث حبات ، وان حبة الفضة تساوي سبعة اثمان حبة الذهب ؛ ومع ان البوزجاني (ت ٣٧٨) يصف هذه الاسعار في زمنه ، اي في اواسط القرن الرابع ، الا ان الراجح انها كانت سائدة قبله وفي زمن ابى جعفر .

ولما كانت العملة السائدة في العراق في زمن ابى جعفر هي الدرهم

---

(٧) هينز : المكاييل والمقاييس الاسلامية ٢٥ — ٢٦ .

(٨) كذلك ٤٤ .

(٩) المنازل في علم الحساب ١٧٤ — ٥ .

الفضي ، فالراجح ان التقديرات كانت بالدراهم ، وقد نص الطبري على ذلك بصراحة . وعلى هذا فتكون اجرة الاستاذ بين هي قيراط = ١/١٢ دراهم الى خمس حبات = ١/١٠ درهم ، اما الروزجاري فاجرته بين ٢ — ٣ حبات اي بين ١/١٦ — ١/٢٤ حبة وهو مقدار قليل جداً اذا قورن بما كان يعطى للجند والكتاب . ويبدو ان الخطيب ادرك ضآلة المقدار فاشار الى ان الاسعار كانت رخيصة في زمن ابى جعفر [10] ؛ ولعل الاصوب ان تفترض ان ما ذكرته المصادر عن الاجور كانت مقدرة بالدينار الذهب ، فتكون اجرة الاستاذ ١/٢٠ من الدينار اي حوالي درهم ، واجرة الروزجاري بين ١/٣٦ و ١/٢٤ من الدينار اي ما بين ٥/٩ — ٥/٦ درهم ، باعتبار ان سعر الصرف كان انذاك حوالي ١/٢٠ .

غير أن الأبنية العامة لم تتوقف ، فقد بنى المنصور الشرقية وقدّرها أن تكون لابنه ، ثم بدا له يبني له في الجانب الشرقي [11] ؛ والراجح ان بناء الشرقية حدث قبل سنة ١٥٠ التي شرع في بناء الرصافة بعدها .

وفي سنة ١٥١ « بنى المنصور الرصافة ، وعمل لها سورا وخندقا وميدانا وبستانا ، وأجرى لها الماء » ؛ واستغرقت الابنية الرئيسة في الرصافة ثلاث سنوات ، غير ان بناء الرصافة وجميع ما فيها لم يستتم الا في سنة ١٥٩ [12] .

ولم يتوقف تشييد الأبنية العامة باكتمال الرصافة ، ففي سنة ١٥٧ بنى المنصور قصر الخلد ، واستغرق بناؤه سنة كاملة [13] ، كما عقد لها في تلك السنة ثلاثة جسور [14] .

---

(١٠) الخطيب ١/٧٠ ، وانظر ياقوت ١/٦٨٣ .
وتجدر مقارنة هذه النفقات بما انفقه المتوكل على قصوره في سامراء أنظر .
(١١) البلدان ٢٤٥ .
(١٢) تاريخ الخطيب ١/٨٢ . الطبري ٣/٣٢٢ .
(١٣) الخطيب ١/٧٩ ، الطبري ٣/٣٧٩ .
(١٤) الخطيب ١/٦٨ .

وفي تلك السنة أيضا أتم بناء الأسواق في باب المحول وباب الشعير والكرخ (١٥) .

ومن حيث العموم فان مدينة المنصور المدورة كانت مدينة رسمية تتسم بمظهر الجدية ، ولذلك لم تكثر فيها مظاهر التجميل من حدائق ونافورات ومسارح وملاعب وتماثيل (١٦) .

ولعل أبرز ماكان فيها هي القباب الأربعة على مداخل أبوابها ، وهي مزخرفة وارتفاع كل منها خمسين ذراعا (١٧) ، وتماثيل الفرسان عليها ، ثم القبة الخضراء المشيدة على مجلس المنصور عند قصره ، والتي كانت « تاج بغداد » بل حتى أبواب الحديد الضخمة التي وضعها على أبوابها ، نقلها من الزندورد والكوفة والشام ، الا باب واحد عمله وكان اضعفها (١٨) .

ويبدو أنها كانت خالية من الميادين ؛ وأول ذكر لميدان للعب انشيء في زمن الأمين حيث يذكر الطبري أنه في اليوم الثاني من بيعته « أمر ببناء ميدان حول قصر أبى جعفر في المدينة للصوالجة واللعب » (١٩) ؛ وذكر اليعقوبي انه كانت قرب قصر المنصور « ظلة لصاحب الشرط » ، أي أنها لم تكن بناية ضخمة ؛ ولم تذكر فيها ساحات لعرضهم ، أو ميادين للسباق ، بل حتى الاصطبلات كانت خارجها .

ومن هذا يتضح أن التخطيط الأول قام على توفير الحاجات الأساسية وليس العناية بالزخرفة ؛ وهي في هذا تتابع السمات العامة التي تميزت بها المدن العربية وأمصارها التي شيدها العرب .

---

(١٥) الخطيب ٧٩/١ .
(١٦) انظر ملاحظات وافد الروم في الخطيب ٧٩/١ .
(١٧) الخطيب ٧٤/١ .
(١٨) الخطيب ٧٥/١ .
(١٩) الطبري ٧٧٥/٣ .

ونظرا لأهمية الماء في المدينة وضرورته للشرب والاستعمالات البيتية ، وللبناء والأغراض الاخرى ، فقد لقي اهتماما خاصا ؛ وكانت المدينة المدورة وقصور أولاد الخليفة في أطرافها الشرقية قريبة من الماء فكان دجلة يجري في شرقيها ، غير أن ضفافه العالية تجعله مصدرا يزود السقائيين ولايصلح لجر الترع منه ، وفي الجنوب كان يجري الصراة وكرخايا وطابق والرفيل التي تدل أسماؤها على قدمها ؛ وفي الشمال كان الدجيل وذنائبه تصل الى أطـراف المدينة المدورة • غير أن هذه المدينة كانت عند بنائها خلوا من نهر يزودهـا بالماء ، ويروي الخطيب أن بطريق الروم نبّهه الى عيب ذلك ، وقال لـه جوابا على سؤاله عن عيوب المدينة الجديدة « فأما أول عيب فيه فهو بعده عن الماء ؛ ولابد للناس من الماء لشفاههم ، وأما العيب الثاني فان العين خضرة وتشتاق الى الخضرة ، وليس في بنائك هذا بستان » ؛ ولم يذكر الخطيب السنة التي نبّه فيها البطريق أبا جعفر الى حاجة المدينة للماء ، ولكنه قال أن المنصـور أدرك صواب ملاحظة البطريق ووجّه اثنين من رجاله ، وقال لهما «مُدّا الي قناتين من دجلة ، وأغرسوا الى العباسية ، وانقلوا الناس الى الكرخ »[٢٠] •

ولما كان نقل الناس الى الكرخ تم في سنة ١٥٧ ، فالراجح أن هـذه الأنهار مدت قبيل ذلك ، ولعلها كانت بين بناء الرصافة ، وبناء الخلد والجسور ونقل الأسواق الى الكرخ ، مما يجعل الأعمال العامة متواصلة بين بناء المدينة المدورة (١٤٥ ــ ١٤٩) وبناء الشرقية (١٤٩) والرصافة (١٥١ ــ ١٥٩) وأنهار المدينة المدورة (١٥٥ ؟) ثم الكرخ والخلد والجسور (١٥٧) •

وكانت الأنهار التي اتخذها من دجلة « قنى بالساج من باب خراسـان حتى يجيء الى قصري »[٢١] ، ويذكر الخطيب أن المنصور أمر بعـد سماعه ملاحظات وافـد الروم فمدّ « قنـاة من نهـر دجيـل الآخذ من دجلـة ،

---

(٢٠) الخطيب ١/٧٩ •

(٢١) الخطيب ١/٧٨ •

وقناة من نهر كرخايا الآخذ من الفرات ، وجرّهما الى مدينته في عقود وثيقة من أسفلها ، محكمة بالصاروج والآجر من أعلاها . وكانت كل قناة منهما تدخل المدينة وتنفذ في الشوارع والدروب والأرباض ، وتجري صيفا وشتاءا لا ينقطع ماؤها في وقت [٢٢] ، ويذكر اليعقوبي « وعملت القناة التي تأخذ من نهر كرخايا ، وهو النهر الآخذ من الفرات ، فاتقنت القناة واجريت الى داخل المدينة للشرب وبنى الطين » [٢٣] .

ويلاحظ أن اليعقوبي والمصادر الخططية الأولى التي كتبت في أواخر القرن الثالث لم تذكر شيئا عن القناة التي ذكر الخطيب أنها تأخذ من الدجيل . مما يدل على انها كانت مندثرة آنذاك ، غير ان المصادر لاتشير الى تاريخ الاندثار .

تطلب الاعمار الذي عنى به المنصور وخطّط له في الكرخ والأطراف الجنوبية من المدينة ، أن يهتم بتوفير الماء فيه ، ويذكر الخطيب أن المنصور « جرّ لأهل الكرخ وما اتصل به نهرا يقال له نهر الدجاج ونهرا يقال له نهر القلائين .. ونهرا يسمى نهر طابق ، ونهرا يقال له نهر البزّازين .. ونهرا في مسجد الأنباريين » [٢٤] ، وكانت هذه الأنهار كلها مكشوفة [٢٥] ؛ وكانت هذه الانهار متفاعلة مع الاعمار في المنطقة الجنوبية ، وظلت الى أواسط القرن الرابع ، ثم أخذت تجف لأسباب كثيرة .

ويذكر سهراب أن الأنهار التي في الحربية ، وهي تأخذ من الدجيل « قنوات تحت الارض ، وأوائلها مكشوفة » [٢٦] .

---

(١٢) الخطيب ١/٧٨ .
(٢٢) الخطيب ١/٧٩ .
(٢٣) البلدان ٢٥٠ .
(٢٤) الخطيب ١/٧٩ .
(٢٥) الخطيب ١/١١٤ .
(٢٦) سهراب ١٣٤ ، الخطيب ١/١٤ .

ويذكر اليعقوبي عن بغداد «ولهم الآبار التي يدخلها الماء من هذه القنوات ، فهي مدينة شرب القوم جميعا منها ، وانما احتيج الى هذه القنوات لكبر البلد وسعته » [٢٧] •

وقد وفرت هذه القنوات الماء لاستعماله في مختلف الأغراض ، وكانت مفيدة في الدفاع ، ولم يرد ذكر لاستغلالها في اختراق المدينة المدورة ، سواء في حصار طاهر بن الحسين لها ، أو في حرب المستعين ، ولعل كونها قنى تحت الارض ساعد على أن لا تكون مصدر تحصين ، غير أنها لم تغن عن وجود السقائين الذين ترد عنهم اشارات غير قليلة في بغداد •

ويظهر أن حفر هذه الانهار تم في أواخر سني خلافة ابى جعفر وكان على نفقة الدولة التي استخدمت عددا غير قليل من الفعلة والمهندسين لقاء أجور تدفعها لهم •

استمرت الابنية العامة في زمن الخليفة المهدي الذي شرع عند توليه الخلافة باكمال بناء قصر الرصافة[٢٨] ثم ببناء قصر الطين ، ثم قصر السلام في سنة ١٦٤ [٢٩] ، واتخذ قصر السلام مقرا للدولة وذكر اسمه على الدراهم المسكوكة في ذلك التاريخ [٣٠] وفي المتاحف دراهم كتب عليها انها ضربت في قصر السلام مؤرخه في السنوات ١٦٢ــ١٦٩/١٧٩ [٣١] ويروى الطبري ان

---

(٢٧) البلدان ٢٥١ •
(٢٨) انظر الطبري ٣/٣٢١ ، ٣٣٢ •
(٢٩) الطبري ٣/٥٠٢ ، الخطيب ١/٩٧ ، ياقوت ٣/٧٥١ ، وانظر الجهشياري ١٩٥ ؛ ويلاحظ ان هذه السنة لاتتفق مع تاريخ أول درهم مضروب في قصر السلام •
(٣٠) الطبري ٣/٥٠٢ •
(٣١) انظر الجدول الثالث في كتاب :
Zambaur : Die Munzgrabungen Des Islam.

هذين القصرين كانا في عيساباذ التي انفق على الابنية فيها من بيت المال خمسين الف الف درهم (٣٢) وقد أقام موسى الهادي معظم ايام خلافتـه القصيرة في عيساباد (٣٣) ، وبنى موسى الهادي قصراً أسماه القصر الابيض (٣٤) كما لابد انه اسهم في بناء قصور بناته ، ومنهن اسماء صاحبة الطاق المشهور وأم حبيب التي أصبح قصرها مسكنا للمتميزين من رجال الاسرة العباسية .

ألف الف درهم (٣٣) وقد قام موسى الهادي معظم أيام خلافته القصيرة في عيساباذ (٣٣) ، وبنى موسى الهادي قصراً أسماه القصر الابيض (٣٤) انه اسهم في بناء قصور بناته ، ومنهن اسماء صاحبة الطاق المشهور ، وأم حبيب التي أصبح قصرها مسكنا للمتميزين من رجال الاسرة العباسية .

لم يذكر للرشيد بناء بارز في بغـداد ، فقد كان يقيم في قصر الخلد ، أما زبيدة فقد بنت قصر القرار ، كما بنى أولاده المأمون والمعتصم قصورا في الجانب الشرقي (٣٥) .

وتتابع بناء القصور والدور لابناء الاسرة العباسية ولكبار رجال الدولة في الجانبين الغربي والشرقي (٣٦) .

ولاريب في أن المقطعين والوافدين الى بغداد تابعوا البناء في العقـود الأولى من سني تأسيس بغداد ، مما جعل حركة البناء مستمرة مع مايتبعها من مواد البنـاء .

وينبغي عدم اغفال المنشآت التي يقوم بها الأفراد المتمكنون والراغبون

---

(٣٢) الطبري ٣/٥٠٩ — ١٠ .
(٣٣) الطبري ٣/٥٤٨ ، ٥٩٨ ، ٥٧٣ ، الخطيب ١/٦٨ ، مروج الذهب ٣/٣٢٤ .
(٣٤) الخطيب ١٣/٢٢ .
(٣٥) انظر عن قصر المأمون : طيفور ١٩ ، الطبري ٣/١٠٣٨ ، الخطيب ١/٩٨ .
(٣٦) استوفينا دراستها في مقالنا «منازل الخلفاء وقصورهم في بغداد» المنشور في مجلة سومر م ٣٢ ، سنة ١٩٧٦ .

لخدمة الأغراض الدينية كالمساجد • ولما كانت هذه المنشآت شخصية واختيارية، فانهـا لم تـكن منتظمـة التوزيـع ، وقـد لاتكـون متطـابقة مع الحاجات العامة ، فقد تكون المساجد في أماكن قليلة السكان ، وتقل في مناطق مزدحمة السكان ، غير انها في كل حال تسد قسطا من حاجات الناس ، وتؤثر في تضييق الشقة بين الاغنياء والفقراء •



القسم الثاني

مدينة المنصور المدورة وتطورها

(١) القصر والجامع والرحبة

السكك واصحابها

الاسوار والخندق والمساحة

(٢) الابواب واطراف المدينة المدورة

باب البصرة وتطور احوال المدينة المدورة

باب الكوفة وباب الشام

باب خراسان والاطراف الشرقية

الفصل الرابع عشر

قلب المدينة : القصر ، والجامع ، والقبة الخضراء

وضع المنصور بنفسه تصميم تخطيط مدينته المدورة ، وجعلها ذات طابع خاص متميز لم يألفه الناس في المدن الاخرى التي شهدوها [١] ، ولقد لفت هذا الطابع المميز انظار الناس، فقال الجاحظ «قد رأيت المدن العظام والمذكورة بالاتقان والاحكام بالشامات وبلاد الروم وفي غيرها من البلدان ، فلم أر مدينة قط أرفع سمكا ، ولا أجود استدارة ، ولا أنبل نبلاً ، ولا أوسع أبوابا ، ولا أجود فصيلا من الزوراء وهي مدينة ابي جعفر المنصور ، كأنما صبت في قالب، وكأنما افرغت افراغا »[٢] ويتبين من كلام الجاحظ ان المدينة المدورة تميزت بمجموعة من الخصائص والمظاهر العمرانية المتناسقة التي تكسبها طابعها المميز الفريد .

ولعل من ابرز ميزاتها هي ان مركز التدوير فيها هو قصر الخليفة الذي اختير موقعه منذ بداية التخطيط ، في حين ان المسجد الجامع بنى تاليا وملحقا للقصر ، ولذلك جاءت قبلته مزورّة قليلا [٣] .

---

(١) الخطيب ٦٧/١ ، ويلاحظ ان كثيراً من المعسكرات الاشورية القديمة وبعض المدن القديمة كانت مستديرة ، كما كان لكل من الحضر ودارابجرد وجور سور مستدير ، انظر ليسنر في كتاب « خطط بغداد في العهود العباسية الاولى » : تعليق ٦ ص ١٣٨ .

(٢) الخطيب ٧٧/١ .

(٣) الخطيب ١٠٨/١ ؛ الطبري ٣٢٢/٣ .

الرحبـة

كان القصر والجامع في وسط رحبة وصفها اليعقوبي بقوله « اذا خرج الخارج من الطاقات خرج الى رحبــة ، ثم دهليز عظيم ازج معقــود بالآجر والجص ، عليه بابا حديد ، يخرج من الباب الى الرحبة العظمى ، وكذلـك الطاقات الاربعة على مثال واحد • في وسط الرحبة القصر الذي سمى بـابه باب الذهب ، والى جنب القصر المسجد الجامع •

ويبدو ان الرحبة التي تحيط بالقصر كانت واسعة ، فيذكر ابن الفقيـه ان المنصور «عمل ميدانا في الرحبة لقواده وخاصته»[٤] ، ويذكر الطبري ان الخليفة الامين بعد ان ولي الخلافة بنى حول قصر ابى جعفر ميدانا للصوالجة واللعب[٥] ، ويبدو من سياق كلام الطبري انها غير الميدان الذي عمله ابو جعفر •

ويتابع اليعقوبي وصف الرحبة فيقول :

« وليس حول القصر بناء ولا دار ولا مسكن الا دار من ناحية باب الشام للحرس وسقيفة كبيرة ممتدة على عمد مبنية بالاجر والجـص ، يجلـس في احداهما صاحب الشرطة وفي الاخرى صاحب الحرس ، وهي اليوم يصـلي فيها النــاس •

وحول الرحبة كانت تدور منازل أولاد المنصور الاصاغر ومن يقرب من خدمته من عبيده وبيت المال ، وخزانة السلاح ، وديوان الرسائل ، وديــوان الخراج ، وديوان الخاتم ، وديوان الجند ، وديوان الحوائج ، وديوان الاحشام ، ومطبخ العامة ، وديوان النفقات »[٦] •

ويقول الخطيب « كان لايدخل أحد من عمومته ــ يعني عمومة المنصور

---

(٤) ابن الفقيه ٨ •
(٥) الطبري ٦٦٥/٣ •
(٦) البلدان لليعقوبي ٢٤٠ •

ولا غيرهم من هذه الأبواب الا راجلا الا داود بن علي عمه ، فانه كان منقرسا ، فكان يحمل في محفة ، ومحمد المهدي ابنه • وتكنس الرحاب في كل يوم يكنسها الفراشون ويحمل التراب الى خارج المدينة »[٧] •

القصر

ان تخطيط المدينة المدورة ، ووضع القصر في مركزها يعبر عن الطابع الاساسي الذي ينشده ابو جعفر • فهو المركز والقلب ، وهو على بعد واحد عن الجميع لان مدينته مدورة «المدورة لها معان سوى المربعة، وذلك ان المربعة اذا كان الملك في وسطها كان بعضها أقرب اليه من بعض ، والمدوّر من حيث قسم كان مستويا لايزيد هذا على هذا ، ولا هذا على هذا »[٨] والخليفة هو المحور ، وقصره هو الاساس بل حتى الجامع تكيف تبعا لتخطيط القصر وليس العكس ، ولذلك كانت قبلته مزورة •

ومحور الدولة هو شخص الخليفة وليس أسرته ، فأولاده لايقيمون معه بل في بيوت صغيرة تفصلها عن قصره الرحبة التي لايجوز لاحد ، حتى كبار أفراد اسرته ، ان يجتازها الا سيرا على الاقدام •

والخليفة منعزل عن الناس ، فحول قصره رحبة تحيطها ابنية بيوت أولاده والدواوين والحرس الخاص ولم يسمح لاحد السكنى بقربه •

واقتصار قصر الخليفة على سكناه فقط دون أسرته ودواوينه وحرسه أدى الى عدم ضرورة بناء قصر واسع ، لعدم وجود مبرر للسعة ، كما أدى الى فصل مراكز الادارة والدواوين عن مقام الخليفة ، والى تثبيت فكرة هي ان الخليفة هو الرأس الاعلى المسؤول عن صيانة الدولة وتوجيهها ، وان الدواوين

---

(٧) الخطيب ٧٧/١ •
(٨) الخطيب ٧٢/١ •

المسؤولة عن جزئيات الادارة ليست أعلى مكانة من المؤسسات الاخرى في الدولـة .

ثم ان عدم تجمع افراد الأسرة العباسية وغيرهم من كبار رجال الدولـة والاداريين بالقرب من الخليفة أدى الى تفرقهم في السكنى ، فاذا افترضنـا ان منازل هؤلاء هي مراكز اشعاع حضاري ، فانه تصبح في بغداد عدة مراكز لاشعاع الحضارة منبثة في ارجائها ، ويعمل أهل هذه المراكز ايضا على ضبط الامن والنظام وعلى تفكيك اية محاولة للثورة ضد السلطة المركزية .

والواقع ان قطاعات المدينة التي كان ينزلها أفراد الاسرة العباسية وكبار رجال الدولة ، لم تحدث فيها اضطرابات كالتي حدثت في المناطق التي لـم يسكنها هؤلاء كمنطقة الكرخ والحربية .

سمّي هذا القصر المركزي في بعض المصادر «قصر ابي جعفر»[٩] ، وقد سمّي بابه «باب الذهب »[١٠] . وقد امتدت هذه التسمية الى القصر كلـه ، فسمّي في بعض المصادر (قصر باب الذهب) .

فـذكر الخطيب أن المنصـور قتـل يحيى بن زكريا المحتسب ببـاب الذهب [١١] . وذكر في مكان اخر ان جعفر الرازي جاء الى «باب الذهب» فاستأذن الحاجب في الدخول على المنصور [١٢] .

وروى الطبري أنه « لما قدم بختيشوع الاكبر على المنصور من السوس دخل عليه في قصره بباب الذهب»[١٣] ، وفي حصار طاهر بن الحسين لبغداد كان ابراهيم بن المهدي «نازلا مع محمد المخلوع في مدينة المنصور في قصره

---

(٩) الطبري ٨١٦/٣ ، ٨٥٢ ، ٩٣٢ .
(١٠) البلدان ٢٤٠ .
(١١) الخطيب ٧٩/١ .
(١٢) الخطيب ١٤٥/١١ .
(١٣) الطبري ٤٢٣/٣ .

بباب الذهب » (١٤) وعندما حوصـر الامـين وتسلل عنه اصحابه « قعد في الجناح الذي كان عمله على باب الذهب » (١٥) ودفن بعض القتلى في فتنـة المستعين في قصر باب الذهب (١٦) .

سمّي هذا القصر « قصـر الذهب » أيضـا ، فقـد ذكر الخطيب ان المنصور « أنفق على مدينته وجامعها وقصر الذهب .. »(١٧) وروى عن وكيع انه قال : « كان ابو جعفر المنصور قد جعل المسجد الجامع بالمدينة ملاصـق قصره المعروف بقصر الذهب » (١٨) .

وذكر الطبري ان أولاد البعيث ــ في سنة ٢٣٥ هـ ــ «حبسوا ببغـداد في قصر الذهب »(١٩) وان المعتز بعد انتصـاره في سـنة ٢٥٤هـ تتبع أولاد عبيدالله بن طاهر « فذكر انه حبس في قصر الذهب من ولده واصحابه خمسة عشر انسانا وفي المطبق عشرة »(٢٠) .

والظاهر ان تسمية القصر أو بابه بالذهب راجعة الى كونه مذهباً ، ومن المعلوم ان التذهيب كان من ابرز الزخارف في بغداد . فيروي الخطيب قـول الامام علي بأنه سيكون لبني عمي مدينة من قبل المشرق بين دجلة و « دجيل وقطربل والصراة ، يشيد فيها بالخشـب والاجر والجـص والذهب»(٢١) . ويروي الطبري عن علي بن زيد انه عندما حاصر طاهر بن الحسين بغداد كان محمد قد اعطى بنقض قصوره ومجالسه في الخيزرانية بعد ظفر الغزاة الفي ألف

---

(١٤) كذلك ٣/٩٠٩ .
(١٥) كذلك ٣/٩٣٠ .
(١٦) كذلك ٣/١٥٢٢ .
(١٧) الخطيب ١/٦٩ .
(١٨) الخطيب ١/١٠٨ .
(١٩) الطبري ٣/١٣٨٩ .
(٢٠) كذلك ٣/١٦٩٧ .
(٢١) الخطيب ١/٣٨ .

درهم ، فحرقها أصحاب طاهر كلها ، وكانت السقوف مذهبة [٢٢] .

ونقل الخطيب عن وكيع أوسع ما وصلنا من وصف لهذا القصر حيث قال «وكانت مساحة قصر المنصور اربعمائة ذراع ، ومساحة المسجد الاول مائتين في مائتين . تحتاج القبلة الى ان تحرف الى باب البصرة قليلا »[٢٣] .

كان قصر الذهب هو القصر الوحيد الذي ذكرته المصادر في المدينة المدورة وقد شيده المنصور ليكون المقر الرسمي له ، وأبرز ما فيه الايوان والقبة الخضراء التي على الايوان ومساحة الايوان غير كبيرة نسبيا . فكأنها أعدّت لاستقبال عدد محدود من الرجال . ولم يبن المنصور في بغداد غير هذا القصر وقصر الخلد .

أورد الطبري وصفاً لغرفة نوم المنصور وهي « حجرة صغيرة وفيها بيت واحد ورواق بين يديه في عرض البيت وعرض الصحن على اسطوانة ساج ، قد سدد على وجه الرواق الواري كما يصنع بالمساجد .. ليس فيه شيء غيره الا فراشه ومرافقه ودثاره »[٢٤] .

لم تذكر المصادر احدا من الخلفاء سكن قصر الذهب بعد ابي جعفر المنصور سوى الخليفة محمد الامين ، فقد ذكر ابن الجوزي انه لما وصل خبر وفاة الرشيد بغداد «كان الامين نازلا ببغداد في الخلد ، فتحول الى قصر المنصور بالمدينة »[٢٥] ويذكر الطبري انه في اليوم التالي لبيعة الامين « أمر ببناء ميدان حول قصر ابي جعفر في المدينة للصوالجة واللعب » [٢٦] .

وفي قصر ابي جعفر سجن محمد الامين وامه زبيدة مدة يومين قبيل تقدم

---

(٢٢) الطبري ٣/٨٩٧ .
(٢٣) الخطيب ١/١٠٧ .
(٢٤) الطبري ٣/٤١٥ .
(٢٥) كذلك ٣/٧٦٤ .
(٢٦) كذلك ٣/٧٧٤ .

طاهر بن الحسين لحصاره [٢٧] ، كما حبست فيه زبيدة بعد مقتل الامين فترة نقلت بعدها الى الخلد [٢٨] ، وقد حبس فيه ايضا أولاد البعيث [٢٩] ، كما حبس المعتز فيه خمسة عشر رجلا من أولاد وأصحاب عبيدالله بن طاهر[٣٠].

الجـامع :

ذكر اليعقوبي انه « الى جانب القصر المسجد الجامع »[٣١] وذكر الخطيب انه « كان ابو جعفر المنصور قد جعل المسجد الجامع بالمدينة ملاصق قصره المعروف بقصر الذهب ، وهو الصحن العتيق»[٣٢] . ويقول الطبري ان قبلة مسجد المدينة المدورة على غير صواب « وان المصلي فيه يحتاج الى ان ينحرف الى باب البصرة قليلا .. لان مسجد المدينة بني على القصر »[٣٣] .

يذكر الطبري ان المهدي في سنة ١٦١ « أخرج المقاصير من مساجد الجماعات ، وأمر بتقصير المنابر وتصييرها على مقدار منبر الرسول » [٣٤] ، ولابد ان هذا العمل امتد الى جامع المنصور ، غير ان المصادر لم تذكر بالتخصيص ما حدث فيه زمن المهدي .

لقد كان الجامع مبنيا باللبن والطين ، ثم أمر هارون الرشيد بنقضه واعادة بنائه بالآجر والجص . ويذكر الخطبي «هدم مسجد ابي جعفر المنصور ، وزيد

---

(٢٧) كذلك ٣/٨٤٦ ، ٨٥١ .
(٢٨) كذلك ٣/٩٣٤ .
(٢٩) كذلك ٣/١٣٨٩ .
(٣٠) كذلك ٣/١٦٩٧ .
(٣١) البلدان ٢٤٠ .
(٣٢) الخطيب ١/١٠٧ .
(٣٣) الطبري ٣/٣٢٢ .
(٣٤) الطبري ٣/٤٨٦ ، الازدي : تاريخ الموصل ٢٤٠ ؛ ويلاحظ ان الطبري ذكر مع هذا الخبر توسيع المهدي المسجد الجامع بالبصرة ، واضاف مخطوط المنتظم توسيع المهدي المسجد الحرام في مكة ، ولكن الطبري وابن الجوزي لا يشيران الى توسيعه جامع مدينة المنصور .

في نواحيه وجدد بناؤه واحكم، وكان الابتداء به في سنة اثنتين وتسعين (ومائة) والفراغ منه في سنة ثلاث وتسعين (ومائة) » ، وقد كتب اسم البناء والنجار وتاريخ ذلك على الجدار خارج المسجد مما يلي باب خراسان ، وظلت هذه الكتابة ظاهرة الى أوائل القرن الرابع [٣٥] .

لم تحدد المصادر زيادة الرشيد « في نواحيه » ويبدو ان بعضها كان من جهة باب خراسان ، وظلت هذه الجهة قائمة دون ان يزاد فيها ، وكانت فيما يظهر غير بعيدة عن باب خراسان ، لان صفوف المصلين كانت تصل أحيانا الى ذلك الباب ، كما ان بعض المصلين كانوا يصلون في سميرياتهم في النهر في تلك الجهة . ويظهر من هذا ان زيادة الجامع في زمن الرشيد لم تمس قصر ابي جعفر .

وينقل ابن الفقيه عن يزدجرد بن مهبنداد ان الجامع كانت فيه رحاب يصلي فيها ، ولكنها لاتستوعب كل المصلين ويقول في ذلك «وقد حصل من ذرع المسجد الجامع الغربي دون رحابه ، وما زيد فيه مائتي ذراع ، يكون مكسرا أربعين ألف ذراع ، وجبرنا رحابه وهن دونه في الذرع فجعلناها في القسمة مثلها ، جميع ذرع المسجد الغربي مع رحابه وبنائه واركانه واساطينه ، فاسقطنا حصتها من الذرع استظهارا ، ثمانين ألف ذراع مكسرة كلها من أهل الصلاة الواجبة من عدد الناس أثنان وثلاثون ألف انسان » ثم يمضي في القول بانه لم يكن يكفي العدد الكبير من المصلين ببغداد ، رغم وجود مسجد الرصافة الذي كان يتسع لمثل ذلك العدد من المصلين [٣٦] .

وفي خلافة المعتضد جرى توسيع جديد للجامع باضافة مساحة من أرض القصر اليه ؛ وقد اورد الخطيب عن هذه الزيادة معلومات مفصّلة حيث قال

---

(٣٥) الخطيب ١٠٨/١ .
(٣٦) ابن الفقيه ٩٤ .

«كانت الصلاة في الصحن العتيق الذي هو الجامع حتى زيد فيه الدار المعروفة بالقطان ، وكانت قديما ديوانا للمنصور ، فأمر مفلح التركي ببنائها على يد صاحبه القطان فنسبت اليه وجعلت مصلى للناس وذلك في سنة ٢٦٠هـ أو ٢٦١هـ .

ثم زاد المعتضد بالله الصحن الاول، وهو قصر المنصور، ووصله بالجامع، وفتح بين القصر والجامع العتيق في الجدار سبعة عشر طاقا منها الى الصحن ثلاثة عشر والى الاروقة اربعة ، وحوّل المنبر والمحراب والمقصورة الى المسجد الجديد »(٣٧) .

لم يرد ذكر لتوسيع في جامع المنصور أو اعادة تعميره في الازمنة التالية رغم بقائه من الجوامع الكبرى في بغداد حتى سقوط الدولة العباسية .

القبة الخضراء

كانت القبة الخضراء من أبرز معالم مدينة المنصور ، قال عنها الخطيب انها « تاج بغداد وعلم البلد ، ومأثرة من مآثر بني العباس ، عظيمة بنيت أول ملكهم »(٣٨) وكان بها فخرهم (٣٩) ، وكانت تعرف ايضا بقبة الشعراء ، حيث كان الشعراء يجتمعون كل جمعة في القبة المعروفة بهم من جامع المدينة فيتناشدون الشعر (٤٠) ، وممن أنشد في قبة الشعراء بجامع المنصور الشبلي (٤١) .

وصف الخطيب موقع القبة وارتفاعها حيث قال « وكان في صدر قصر

---

(٣٧) الخطيب ١٠٨/١ ، وعن تفاصيل الجوانب المعمارية واحتمالاتها في هذا التبدل انظر ما كتبه ليسنر في كتاب « خطط بغداد في العهود العباسية الاولى » ص ١٩١ ، ٣١٨ — ٣٢٧ .
(٣٨) الخطيب ٧٣/١ ؛ المنتظم ٣١٧/٦ .
(٣٩) الخطيب ٥١/٦ ؛ المنتظم ٣١٨/٦ .
(٤٠) الخطيب ٢٤٩/٨ .
(٤١) الخطيب ٩٥/١٢ .

المنصور ايوان طوله ثلاثون ذراعا ، وعرضه عشرون ذراعا ، وفي صدر الايوان مجلس عشرون ذراعا في عشرين ذراعا ، سمكه عشرون ذراعا ، وسقفه قبة ، وعليه مجلس مثله ، فوقه القبة الخضراء ، وسمكه الى أول حد عقد القبة عشرون ذراعا ، فصار من الارض الى رأس القبة الخضراء ثمانين ذراعا ، وعلى رأس القبة تمثال فرس عليه فارس . وكانت القبة الخضراء ترى من أطراف بغداد »[٤٢] ، ويقول صاحب الحوادث الجامعة انها «من الابنية القديمة انشأها الخليفة المنصور لما عمر مدينته وكانت عالية ينظر الجالس فيها من يخرج من الانبار ، وكان المنصور يجلس فيها متنزها ، وما زال الخلفاء يجلسون فيها للفرجة الى أيام الرشيد ، ثم هجرت وصارت مأوى للبوم والغربان »[٤٣] .

وقد سقط رأس القبة يوم الثلاثاء ، سابع جمادى الاخرة من سنة ٣٢٩[٤٤] ، ولا نعلم فيما اذا كانت قد اصلحت فيما بعد ام بقيت ساقطة الرأس، ولكن المؤكد انها ظلت باقية بعد ذلك حيث يتردد ذكرها في المصادر حيث كان عند القبة الخضراء مدفن عدد من كبار رجال الاسرة العباسية المتأخرين وممن ذكر انه دفن بقربها عبدالودود الهاشمي (ت ٤٣٤) «الذي دفن في مقبرة جامع المدينة بقرب القبة الخضراء » [٤٥] . كما دفن خلف القبة الخضراء كل من محمد بن علي بن محمد بن الغريق (ت ٤٦٥) [٤٦] ، وعلي بن المهتدى ، وابنه القاضي هبةالله محمد

---

(٤٢) الخطيب ٧٣/١ . (٤٣) الحوادث الجامعة ٣٠٢ .

(٤٤) الخطيب ٧٣/١ ، المنتظم ٣١٨/٦ ، واشار المسعودي الى سقوطها والى بقاء القبة الخضراء بواسط . مروج الذهب ٢٨٧/٣ .

(٤٥) الخطيب ١٤٠/١١ ، المنتظم ١١٥/٨ .

ويذكر ابن النجار انه « دفن في مقبرة جامع المنصور وراء القبلة عند ابيه وجده » (ذيل تاريخ بغداد ١٨٨/١ ، وهذا النص يعين موقع القبة في جهة القبلة .

(٤٦) المنتظم ٢٨٣/٨ .

(ت ٤٧٩) [٤٧] ، وعلي بن ابي تمام [٤٨] .

ان قول مؤلف الحوادث الجامعة ان الخلفاء كانت تنظر عند الجلوس عندها من يخرج من الانبار ، يظهر انها كانت تقع في الطرف الجنوبي من قصر ابي جعفر ، وان المدافن عندها تظهر ان مقبرة الجامع في المدينة المدورة كانت في هذه الجهة الجنوبية ، وان كونها بلصق الجامع يدل على ان التوسع الذي حدث في الجامع زمن المعتضد شمل معظم القصر .

ظلت القبة الخضراء قائمة حتى سنة ٦٥٣ حيث وقعت [٤٩] ، فكانت نذير الشؤم على سقوط الدولة العباسية .



(٤٧) المنتظم ٩/٣٤ .
(٤٨) الجامع المختصر ٧ .
(٤٩) الحوادث الجامعة ٣٠٢ .

الفصل الخامس عشر

سكك المدينة المدورة واهلها

جعل المنصور مدينته تحقق الهدف المحدود الذي أراده منها ، وهو انشاء مركز له ولحاميته ولدواوينه ، لذلك فانها صغيرة .

بنيت المدينة المدورة في بقعة مستوية خالية من العوارض الارضيـة وهي للمنصور واتباعه ، فكان كافة سكانها الاولين مرتبطين بالخليفة نفسه . وكان التخطيط ذا ميزات خاصة ولكنه لم يكن جديدا ، فقد ذكرت المصادر عـددا من المدن المستديرة البناء أجملها كرسويل [٥] .

ولعل المنصور فضل هذا الشكل المستدير لانه أكثر انتظـاما واسـهل للدفاع . وقد اتخذ قصره في وسط المدينة ليكون على بعد واحد من كافـة ارجائها ، وظل هـذا القصر والجامع أهم ما في المدينة المدورة ، والواقع انه لم يرد في النتف المتفرقة الكثيرة عن خطط بغداد وأماكنها ، ذكر عن ابنيـة بارزة في المدينة المدورة ، الامر الذي يدل على قلة القصور والابنية فيها .

ثم ان هذه المدينة اختلطت في زمن متأخر بباب البصرة ، حتى اعتبرهـا ياقوت وابن عبدالحق بانها تقع في باب البصرة[٦]. وان كثيرا من الاماكن التي عدّها الخطيب من المدينة المدورة ذكرتها المصادر المتأخرة انهـا كانت بباب البصـرة ، ممـا يـدل علـى ان اختـلاط المدينـة ببـاب البصـرة

---

(٥) انظر ص ٢٤٩ .

(٦) سنفصل الكلام عن ذلك عند بحثنا عن انحطاط المدينة المدورة .

كان قد تم قبل زمن الخطيب .

يقول ابن الفقيه في كلامه عن المدينة المدورة ان المنصور « عمل الشوارع على ما أراد واقطعها القواد وانزل فيها خاصته واهل ثقته » [٧] .

ويقول اليعقوبي ان المنصور « اقطع مواليه وقواده القطائع داخل المدينة، فدروب المدينة تنسب اليهم ، واخذهم بالبناء ، واقطع الاخرين على ابواب المدينة ، واقطع الجند أرباض المدينة ، واقطع أهل بيته الاطراف واقطع ابنه المهدي وجماعة من أهل بيته ومواليه وقواده [٨] ويذكر ايضا « وفي كل سكة من هذه السكك جلة القواد الموثوق بهم في النزول معه ، وجلة مواليه ومن يحتاج اليه في الامر المهم وعلى كل سكة من طرفيها الابواب الوثيقة ، ولاتتصل سكة منها بسور الرحبة التي فيها دار الخلافة »[٩] .

يروى الطبري انه عندما ثار ابراهيم بن الحسن سنة ١٤٥ ، أي ابان بناء بغداد كان مع المنصور مابين ألف وخمسمائة [١٠] أو ألفين [١١]، وهم كالحرس الخاص ، لايكفون لصد الاخطار التي قد تهدده ، ولذلك فانه عندما ثار ابراهيم بن الحسن احتار وقال « والله لئن سلمت من هذه لايفارق عسكري ثلاثون ألفا » [١٢] .

غير اننا لا نعلم فيما اذا كان هذا القرار قد نفذ فيما بعد ، اي هل انه امر بان يقيم في بغداد ثلاثون الف جندي ، ام اقل ، على انه حتى لو امر باقامة هذا العدد من الجند ببغداد ، فالراجح ان اقامتهم ، او اقامة معظمهم ، لم تكن في المدينة المدورة ، بل في اطرافها ، اي في الارباض والقطائع .

ان النص الوحيد الذي لدينا عن القوات المقيمة في المدينة المدورة هي

---

(٧) البلدان ٣٦ .
(٨) تاريخ اليعقوبي ١٠٩/٣ طبعة النجف .
(٩) البلدان لليعقوبي ٢٣١ .

ما رواه الخطيب عن عبدالله بن محمد بن عياش التميمي المروروذي عن جده عياش بن القاسم حيث قال « كان على ابواب المدينة مما يلي الرحاب ستور وحجاب ، وعلى كل باب قائد فكان على باب الشام سليمان بن مجالد في الف، وعلى باب البصرة ، ابو الازهر التميمي في الف ، وعلى باب الكوفة خالد العكي في الف ، وعلى باب خراسان مسلمة بن حبيب الغساني في الف »[١٣] اي أن القوات التي على الابواب هي اربعة آلاف جندي ، والراجح انها هي كل ما كان في المدينة المدورة وانها كانت تقيم في المدينة المدورة نفسها .

اصحاب السكك

ذكر اليعقوبي في كتابه « البلدان » قائمة طويلة لسكك المدينة المدورة، فقد عدّدها وذكر مواقعها بصورة يشعر ان قائمته كاملة وانها ذكرت مرتبة تبعا لمواقعها ، فقد قال « فمن باب البصرة الى باب الكوفة : سكة الشرط ، وسكة الهيثم ، وسكة المطبق وفيها الحبس الاعظم الذي يسمى المطبق : وثيق البناء ، محكم السور ، وسكة النساء ، وسكة سرجس ، وسكة الحسين ، وسكة عطية، وسكة مجاشع ، وسكة العباس ، وسكة غزوان ، وسكة ابي حنيفة ، والسكة الضيقة .

ومن باب البصرة الى باب خراسان : سكة الحرس ، وسكة النعيمية ، وسكة سليمان ، وسكة الربيع ، وسكة مهلهل ، وسكة شيخ بن عميرة ، وسكة

---

(١٠) الطبري ٢٩٤/٣ .
(١١) كذلك ٣٠٥/٣ .
(١٢) كذلك ٣٠٥/٣ .
(١٣) الخطيب ٧٧/١ .

المروروذية ، وسكة واضح ، وسكة السقائين ، وسكة ابن بريهة بن عيسى بن المنصور ، وسكة ابي احمد ، والدرب الضيق .

ومن باب الكوفة الى باب الشام سكة العكي ، وسكة ابي قرة ، وسكة عبدويه ، وسكة السميدع ، وسكة العلاء ، وسكة نافع ، وسكة أسلم ، وسكة منارة .

ومن باب الشام الى باب خراسان : سكة المؤذنين ، وسكة دارم ، وسكة اسرائيل ، وسكة تعرف في هذا الوقت بالقواريري، قد ذهب عني اسم صاحبها وسكةالحكم بن يوسف ، وسكة سماعة، وسكة صاعد مولى ابي جعفر، وسكة تعرف اليوم بالزيادي ، وقد ذهب عني اسم صاحبها ، وسكة غزوان . وهذه السكك بين الطاقات ، والطاقات داخل المدينة وداخل السور »(١٤) .

ان هذا النص الذي ذكره اليعقوبي هو اوسع ما وصلنا عن سكك المدينة المدورة واسمائها ، ولذلك فانه جدير بالدراسة لمعرفة احوال المدينة المدورة ومستوطنيها الاولين. وقبل ان نبدأ بتحليل هذه القائمة يجدر ان نذكر انكتاب « البلدان » الذي ورد فيه هذا النص ، اعتمدت طبعته على نسخة واحدة ناقصة ، ولم تكتشف حتى الان نسخة أخرى تخالفها ولا ظهر كتاب ينقل عن اليعقوبي سكك المدينة المدورة (١٥) مما كان يتيح لنا توفره ضبط النص واصلاحه او تثبيته .

---

(١٤) البلدان ٢٤٠ ــ ٢٤١ .

(١٥) نقل دي‌غوية عددا من النصوص التي أوردتها بعض الكتب نقلا عن كتاب البلدان لليعقوبي ولم ترد في النسخة المطبوعة ، كما نقل ابن شداد في « الاعلاق الخطيرة » نصوصا اخرى من اليعقوبي لم ترد في المطبوع من =

اطلق اليعقوبي على كافة ما ذكره اسم « سكة » ، ما عدا واحدة سماها « الدرب » ، دون ان يذكر سبب افرادها بالتسمية بذلك .

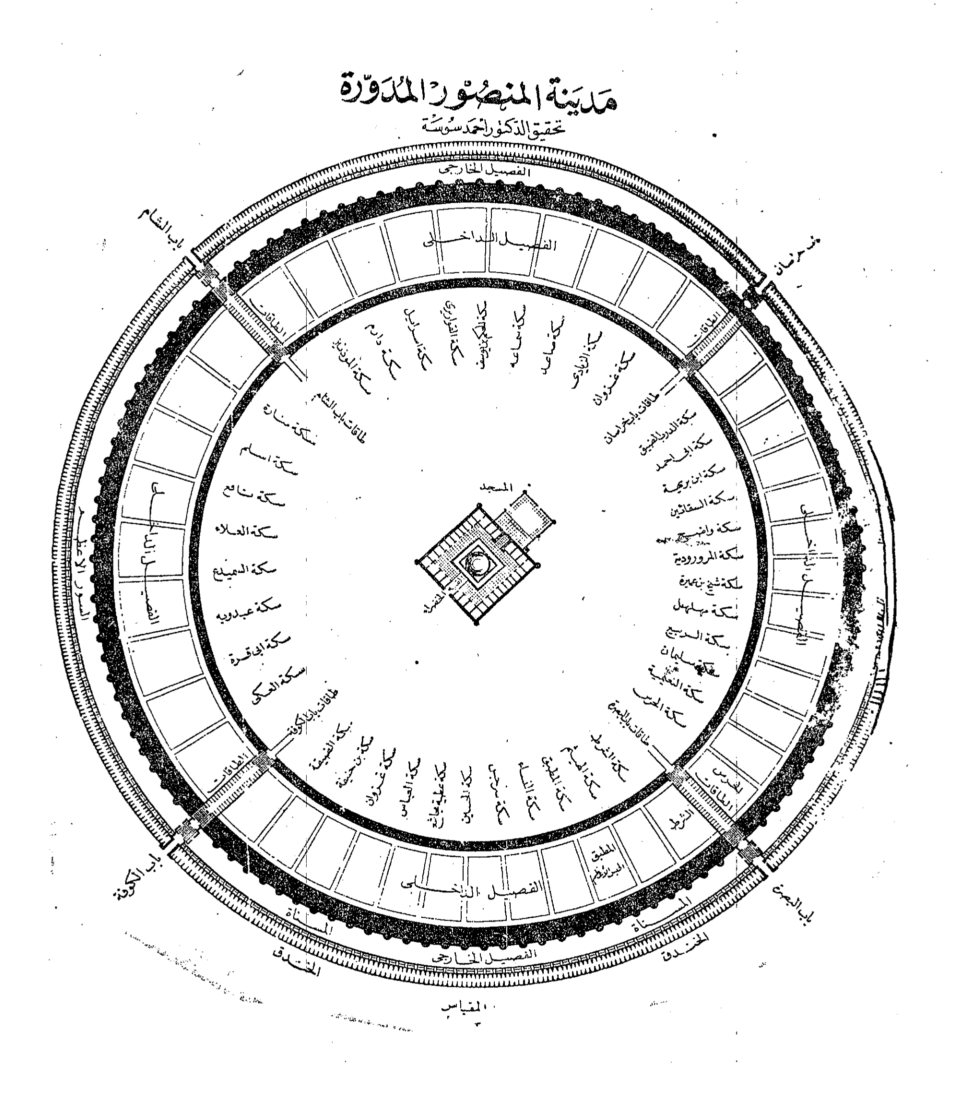
ويلاحظ ان عدد السكك التي ذكرها غير متكافئة ، فقد ذكر بين باب البصرة وباب الكوفة اثنتي عشرة سكة ، وبين باب البصرة وباب خراسان اثنتي عشرة سكة ، ولكنه ذكر بين باب الشام وباب البصرة عشر سكك ، وبين باب الشام وباب الكوفة ثماني سكك . ولانعلم فيما اذا كان هذا الاختلاف راجعا الى نقص في النسخة الفريدة المعتمدة ، ام انه يرجع الى اضطراب في التخطيط الاصلي للمدينة المدورة ، ام انه يرجع الى تطورات متأخرة زالت خلالها بعض السكك .

يوحي سياق كلام اليعقوبي ان هذه السكك هي التي كانت ايام بناء بغداد [١٦] غير انه لم يذكر فيما اذا كانت هذه السكك ظلت قائمة الى زمنه (اواخر القرن الثالث) ام انها او بعضها على الاقل تعرض الى تبدلات ، وبعبارة أخرى هل أن عدم ذكر المراجع المتأخرة ، وخاصة ماكتب في أوائل القرن الرابع الهجري ، كالطبري ووكيع الذي اعتمد عليه الخطيب ، راجع الى قصور في المراجع ام الى ان هذه السكك لم تبق قائمة في زمنهم .

=

كتاب البلدان وذكر كراتشوفسكي مخطوطة لكتاب البلدان في برلين ونسخة اخرى في استامبول (الادب الجغرافي عند العرب) ١/١٥٩ . وقد حصلت على مصورة لكل من المخطوطتين ووجدت بعد فحصهما انهما لا تختلفان عن المطبوع في نصها وفي ما فيها من نقص . ونقل الحميري في « الروض المعطار » من كتاب البلدان لليعقوبي ، ولكنه لم ينقل عنه ما يتعلق بالمدينة المدورة .

(١٦) البلدان ٢٥٤ .



مدينة المنصور المدورة
تحقيق الدكتور احمد سوسة
الفصيل الخارجي
الفصيل الداخلي
باب الشام
باب خراسان
باب الكوفة
باب البصرة
الطاقات
المسجد
طاقات باب الشام
طاقات باب خراسان
طاقات باب الكوفة
طاقات باب البصرة
سكة المؤذن
سكة دارم
سكة اسرائيل
سكة النواري
سكة غزوان
سكة الدرب الضيق
سكة السقائين
سكة المروروذية
سكة مهلهل
سكة الحرس
سكة الشرط
سكة منارة
سكة اسلم
سكة نافع
سكة العلاء
سكة الدميلع
سكة عبدويه
سكة ابي قرة
سكة العكي
سكة الضيقة
سكة بن حنيفة
سكة غزوان
سكة العباس
المطبق
الحرس
الشرط
المسناة
الخندق
الفصيل الخارجي

ذكر اليعقوبي « سكة في هـذا الوقت (أي في زمنه) بالقواريري » و « سكة تعرف اليوم بالزيادي » [١٧] ، وهذا الكلام يشعر بان اسمى هاتين السكتين جديدان ، ولكنه لا يذكر اسمهما القديم ، ولا فيما اذا كانت سكك اخرى قد تبدل اسمها قبل زمن تأليفه الكتاب ، وهذا ينطبق بوضـوح على « سكة ابن بريهة بن عيسى بن المنصور » .

لم يطلق اسم مدينة او اهلها على اية سكة في المدينة المدورة ، غير سكة سميت باسم المروروذية ، اي اهل مروالروذ ، وهذا قد يدل على ان ابا جعفر المنصور كان يعتمد على المروروذية بصورة خاصة اكثر من غيرهم ، ومما يؤيد ذلك ما ذكرناه عن دور المروروذية البارز في الثـورة العباسـية ومشاركتهم البارزة في الحوادث التي جرت في صدر العصر العباسي [١٨] .

ويلاحظ انه كانت في الاطراف الغربية خارج المدينة المـدورة ، وقرب سويقة الهيثم ، قطيعة المروروذية آل ابى خالد الأبناوي [١٩] ، وهي بعيدة عن سكة المروروذية التي كانت في الجهات الشرقية من المدينة المدورة ، بين باب البصرة وباب خراسان ، كما كانت لاحد رجالهم ، وهو شبيب بن روح ، مربعة في الاطراف الشمالية الغربية خارج المدينة المدورة [٢٠] .

من السكك التي ذكرها اليعقوبي سكتان منسوبتان الى رجلـين معروفة هويتهما وهما سكة الحكم بن يوسف ، وسكة شيخ بن عميرة ، ويمكننا ان نضيف اليهم سكة ابن بريهة بن عيسى بن المنصور .

---

(١٧) المشهور باسم القواريري فقيه رفض القول بخلق القرآن فاستاء منـه المأمون وحبسه (الطبري ٣/١١٢١ ، ١١٢٨ ، ١١٣٠) .
(١٨) انظر ص ١١٣ ــ ١١٥ .
(١٩) البلدان ٢٤٧ .
(٢٠) الخطيب ١/٨٤ .

فاما الحكم بن يوسف فقد عُرف بأنه صاحب الحراب في زمن خلافة المنصور [٢١] اي انه كان يحمل الحربة امامه ، ثم ولي الشرطة مدة قصيرة في سنة ١٥٨ [٢٢] ولم تذكر المصادر شيئا عن نسبه او اعمال بارزة له ، او مكانته ودوره . سوى ما ذكره اليعقوبي عنه حيث قال « الحكم بن يوسف البلخي صاحب الحراب وقد ولي الشرطة » وذكر له قطيعة في الاطراف الشمالية من بغداد [٢٣] .

اما ابن بريهة بن عيسى بن المنصور ـــ المشهور بهذا الاسم ـــ فالراجح أنه ابراهيم الذي ذكر الخطيب عنه « ابراهيم بن عيسى بن ابي جعفر المنصور » ، ويعرف بابن بريه الهاشمي ، نسب الى امه وهي بريه بنت ابراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب ، كان يصلي بالناس في مسجد جامع المنصور الجمعات وغيرها حتى مات » [٢٤] ولم يذكر الخطيب سنة وفاته او معلومات عن حياته ونشاطه .

وفي المصادر التاريخية بعض المعلومات المتعلقة بابن بريهة ، فقد ذكروا ان للمنصور ولدا اسمه عيسى الذي كانت امه فاطمة الطلحية [٢٥] ، وقد روى له الطبري خبرا [٢٦] .

اما « بريهة » فقد اضطرب ورودها في المصادر المطبوعة ، فقد اشار الصولي الى بريهة المنصوري عند كلامه عن شعر رواه عنه طاهر بن عبدالله الهاشمي [٢٧] .

---

(٢١) الطبري ١٨٤/٣ .
(٢٢) الطبري ١٨٤/٣ .
(٢٣) البلدان ١٤٨ .
(٢٤) الخطيب ١٣٤/٦ .
(٢٥) الطبري ٣٩٢/٣ ، ١٤٤٢ انساب الاشراف للبلاذري ٢٧٧/٣ .
(٢٦) كذلك ٣٢٦/٣ .
(٢٧) اشعار أولاد الخلفاء ٣٢٢ .

وورد في المصادر اسم « ابراهيم بن عيسى بن بريهة بن المنصور » حيث نقل عنه محمد بن الهيثم خبرا يتعلق بالمأمون [٢٨] ، وبما ان المصادر لم تذكر للمنصور ابنا أو ابنة باسم «بريهة» فالارجح ان ابن بريهة هو ابراهيم ، ابن عيسى بن المنصور . وقد نقل الطبري عن ابراهيم بن عيسى اخبارا عن المنصور وأعماله [٢٩] ، كما نقل عنه خبرا عن طريق احمد بن خالد [٣٠] ، وكل الروايات من عنده الا روايتين نقلهما عن حماد التركي [٣١] .

ليس في المصادر ما يدل على ان ابراهيم قام بدور في الحياة السياسية أو العسكرية ، ويبدو انه كان يعمل خطيبا في جامع المنصور كما ذكر الخطيب، وانه كان مؤثرا وقد ذكر طيفور من مظاهر الرياء بكاء ابراهيم بن بريهة على المنبر [٣٢] .

وقد ذكر الخطيب « محمد بن هارون بن عيسى بن ابراهيم بن ابي جعفر المنصور ويكنى ابا اسوق ويعرف بابن بريه»[٣٣] و « ابو جعفر عبدالله بن اسماعيل بن ابراهيم بن عيسى بن ابي جعفر المنصور ابن بريه » [٣٤] ، ومن الواضح ان المقصود بـ « ابن بريه » هو ابراهيم .

ووردت في قائمة اليعقوبي « السكة الضيقة » و « الدرب الضيق » وهذان الاسمان هما صفتان للسكك وليست تسمية بالمعنى الدقيق ، وهما بذلك يخالفان كافة السكك الاخرى ، ولا نعلم فيما اذا كانت لهما تسمية أخرى قديمة ونسيت ، ام ان هذه هي اسماؤها الاولى .

---

(٢٨) الطبري ٣/١١٤٢ ، بغداد لطيفور ١٤٢ .
(٢٩) الطبري ٣/٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٣٣١ ، ٢١٠ ، ٤٣٣ ، انساب الاشراف ٣/٢٦٥ .
(٣٠) الطبري ٣/٤٣٩ .
(٣١) الطبري ٣/٢٧٦ ، ٢٧٨ .
(٣٢) بغداد ٥٨ .
(٣٣) الخطيب ٣/٣٥٦ .
(٣٤) الخطيب ٩/٤١٠ .

ومن السكك التي ذكر اليعقوبي أسماءها « سكة النساء » و « سكة السقائين » و «سكة المؤذنين» ، وهي تسميات واضحة المعنى ، ولكن يصعب تبريرها أو الاعتقاد بأنها ترجع الى زمن ابي جعفر المنصور ، علما بان المدينة لم يكن فيها الا جامع واحد لايحتاج الى عدد كبير من المؤذنين وسكة خاصة بهم. ومن المحتمل أن تسمياتهم هذه متأخرة ، وان كنا لانعلم أسماءهم الاصلية أو من سكنها .

وقد ذكرت بعض المصادر سكتي النساء والسقائين ، فذكر السلمي «درب النسوة»[٣٥] دون ان يحدد موقعه ، وذكر ابن سعد «درب النسائية في ربض الطوسي»[٣٦] ، وربض الطوسي خارج المدينة المدورة .

أما درب السقائين فان ابن الفقيه ذكر ان « ربض العلاء مما يلي درب ابى حية ، وهو الشارع النافذ الى درب السقائين » ، غير انه ليس من الواضح في سياق النص انه يقصد به الدرب المسمى بهذا الاسم داخل المدينة .

وذكر الخطيب « سكة الشرط » [٣٨] التي تدل تسميتها على انها خصصت لسكنى الشرط، و «سكة المطبق»[٣٩] أي السجن ، وترجع تسميتها الى وقوع مكان السجن فيها ، ولعله كان يسكنها ايضا حراس السجن . و «سكة الحرس» التي تدل تسميتها على سكنى الحرس فيها ، غير ان حاجة ابي جعفر المنصور الى عدد كبير من الحرس تحملنا على الاعتقاد بأن هذه السكة لم يسكنها كل الحرس ، وانما بعضهم ممن أوكل اليه مهمات خاصة كحراسة القصر أو الدواوين ، ويلاحظ ان سكة الشرط وسكة الحرس متقاربتان بينهما باب البصرة . وذكر الطبري «دار الحرس من باب البصرة» في زمن الأمين[٣٩أ]

---

(٣٥) طبقات الصوفية ٢٢١ .
(٣٦) كتاب الطبقات ٧-٢/٨١ .
(٣٧) البلدان ٥٠ .
(٣٨) الخطيب ١/٨٩ .
(٣٩) ذكر البلاذري : دار العذاب وكانت الى جانب المطبق (انساب ٣/٢٦٠) .
(٣٩أ) الطبري ٣/٩١٧ .

ووردت في قائمة اليعقوبي سكتان اسم كل منهما «سكة غزوان» أحداهما بين باب البصرة وباب الكوفة ، والثانية بين باب الشام وباب خراسان ، أي أن احداهما في شمالي المدينة المدورة والاخرى في جنوبيها ، فهما متباعدتان في الموقع ، ولم يشر اليعقوبي الى هوية غزوان الذي سميت باسمه السكتان ، كما انه لم يذكر فيما اذا كانت التسمية تعود الى شخصين أم الى شخص واحد، وان كان الاخير هو الاصح ، فما سبب انفراده بتسمية سكتين باسمه ؟

ذكر اليعقوبي ثلاثا وعشرين سكة منسوبة الى أفراد لم يذكر سوى اسمهم وهم : ابو احمد ، وابو حنيفة ، وابو قرة ، واسرائيل ، واسلم ، والحسين ، ودارم ، والربيع ، وسرجس ، وسليمان ، والسميدع ، وسماعة ، والعباس ، وعبدويه ، وعطية ، والعكي ، والعلاء ، ومجاشع ، ومنارة ، ومهلهل، ونافع ، والهيثم ، وواضح ، ويمكننا ان نضيف الى ذلك سكة غزوان ، والزيادي ، والقواريري اللتين ذكرناهما اعلاه ، ويلاحظ ان كافة الاسماء عربية ، فيما عدا سرجس الذي قد يكون نبطيا من أهل العراق ، وعبدويه الذي قد يكون صاحبه اعجميا أو عربيا ،

ان ذكر اسم واحد لصاحب كل سكة يجعل من الصعب الجزم بهوية صاحبها ، وقد ذكرت المصادر دور بعض الاشخاص في حوادث خلافة ابي جعفر المنصور ، ممن يتطابق اسمهم الاول مع أسماء أصحاب السكك ، ويرجح كونهم المقصودين ، ولكن لم أجد معلومات عن أشخاص يتطابق اسمهم مع كل من ابي احمد ، واسرائيل ، والحسين ، ودارم ، وسرجس والعباس ، وعطية ، ومجاشع ، ونافع ،

ذكر اليعقوبي ان المنصور « كان عماله من مواليه : عماره بن حمزة ، ومرزوق ابو الخصيب ، وواضح ، ومنارة ، والعلاء ، ورزين ، وغزوان ، وعقبة ، وصاعد ، وقريب ، وأسد ، والربيع [٤٠] ، ويلاحظ ان ثمانية من

---

(٤٠) التاريخ ١٠٨/٣ ٠

هؤلاء ذكرت لهم سكك في المدينة المدورة ، اما الذين لم تذكر لهم سكك فهم عمارة بن حمزة، ومرزوق ابو الخصيب، ورزين، وقريب، وأسد، ويمكن ان نعلل ذلك بان هؤلاء كانت لهم في الاصل سكك في المدينة ، ثم تبدل اسمها فيما بعد ، ويجوز ايضا انهم لم يكونوا حاضرين عندما وزعت السكك على الموالي .

فيما يلي المعلومات التي توفرت لدي عن كل شخص يتطابق اسمه الاول مع الاسم الذي ذكره اليعقوبي لاصحاب السكك ، وكلهم ممن برز في أوائل سني الخلافة العباسية ، وكان له دور في الحوادث السياسية أو العسكرية والامنية ، مما يرجح انه المقصود بصاحب السكة .

فاما ابو حنيفة فهو لقب حرب بن قيس ، وهو أحد الاربعة الموثقين من رجال الحرس الذين اوكل اليهم المنصور قتل ابى مسلم الخراساني [٤١] ، ثم عينه الخليفة المهدي على حرس ابنه موسى عندما عزل علي بن عيسى [٤٢] ، وارسله هارون الرشيد للقبض على محمد بن فرّوخ والي الجزيرة في سنة ١٧١ [٤٣] ، وكان في هذه السكة منزل رجل «من اهل خراسان من بني قريع ، وهم من بني تميم ، أرسل معه رأس محمد النفس الزكية ورأس أخيه فطرحهما تحت درجة منزل في سكة ابى حنيفة من مدينة ابي جعفر مما يلي باب المنصور »[٤٤] ، وكان محمد بن الحسن الشيباني الفقيه المشهور « يسكن درب ابى حنيفة بباب الشام »[٤٥] . ويذكر ابن الفقيه لابى حنيفة ربضا وشارعا عند باب التبن خارج المدينة المدورة [٤٦] .

---

(٤١) الطبري ٣/١١٠ ، ١١٤ ؛ انساب الاشراف ٣/٢٠٧ ؛ تاريخ الموصل ١٦٥ .
(٤٢) الطبري ٣/٤٥٦ .
(٤٣) الطبري ٣/٦٠٧ .
(٤٤) تاريخ الموصل ١٩٤ . وذكر البلاذري هذا الخبر دون ذكر اسم حامل الرأس . أنساب الاشراف ٢ - ٢/١٣٣ (طبعة المحمودي) .
(٤٥) الفهرست ٢٥٧ .
(٤٦) ابن الفقيه ٤٨ ، ياقوت ٢/٧٥٠ .

اما ابو قرّة فان الخطيب ذكر في كلامه عن مربعة ابى قرّة أنه « عبيدة ابن هلال الغساني من أصحاب الدولة »[47] ، وذكر البلاذري ان ابا جعفر المنصور أرسل لقتال حسّان بن غسان الهمداني الخارجي ابا قرّة صاحب المربعة ببغداد في أربعة الاف [48] وذكر كتاب « أخبار بني العباس » ان ابا قرّة كان من الدعاة في خراسان [49] ، وانه لما اعلنت الثورة العباسية في خراسان كان ممن قدموا على ابى مسلم [50] .

أما أسلم فقد ذكر الطبري بهذا الاسم مولى لابى جعفر وان ابا جعفر استخلفه على الاشراف على بناء بغداد عندما بلغه خروج محمد بن عبدالله[51]؛ ولعله نفس اسلم بن حسان الذي كان ممن أرسلهم قحطبة بن شبيب لقتال القائد الاموي ابن ضبارة عندما تقدم الجيش العباسي الى العراق [52] ، ومما تجدر الاشارة اليه ان من رجال الثورة العباسية في خراسان اسلم بن صبيح ، وكان على الرسائل لنصر بن سيار ، ولكنه كان يؤيد العباسيين[53]؛ وأسلم بن سلام البجلي الذي كان ممن انضم الى ابى مسلم [54] .

أما الربيع ، فان اشهر من عرف بهذا الاسم هو الربيع بن يونس حاجب

---

(٤٧) الخطيب ١/٨٤ ؛ ويلاحظ ان الطبري ذكر مربعة ابى فروة في قرية لبني زرارة قرب مربعة ابى العباس (٣/٢٧٩) ، ويبدو أن كلمة «ابى فروة» من خطأ الناسخ وان اصلها « ابى قرة » .

(٤٨) انساب الاشراف ٣/٢٥١ .

(٤٩) أخبار بني العباس ٢٢٢ .

(٥٠) أخبار بني العباس ٢٧٧ .

(٥١) الطبري ٣/٢١٩ .

(٥٢) الطبري ٣/٤ ، وذكر البلاذري «سلام صاحب المنصور» الذي كان حاضرا وفاة قحطبة (انساب الاشراف ٣/١٤٨) ؛ وذكر أيضا «سلم مولى قحطبة» (٣/١٣٨ ــ ١٣٩) ، و « اسلم بن ابراهيم بن بسام» وكان حاضرا وفاة قحطبة (٣/١٣٧) .

(٥٣) أخبار بني العباس ٢٧٩ ، ٣٠٥ ، ٢٨٣ .

(٥٤) أخبار بني العباس ٢٨٢ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ .

ابى جعفر ، والذي اسند اليه عدد من الاعمال الادارية ، فكانت له قطيعة مشهورة بالقرب من الكرخ •

أما سليمان ، فهو اسم عدد من الاشخاص الذين ذكرت المصادر لكل منهم دورا في السنين الاولى من بناء بغداد ، فممن ذكرهم الطبري سليمان بن ابي جعفر ، وسليمان بن جعفر بن ابي جعفر ، وسليمان بن حسان الهرمزي ، ولعل أقربهم الى المقصود هو سليمان بن ايوب المورياني الذي وزر للمنصور مدة من الزمن ؛ ويلاحظ ان فيما عدا سليمان بن حسان ، فان الثلاثة الباقين كانت لهم دروب وقطائع في أطراف المدينة المدورة •

أما السميدع ، فقد ذكر الطبري رجلا من بني العدوية كان يقاتل مع الكرماني ضد الحارث بن سريج في خراسان [٥٥] ، وذكر اليعقوبي قطيعة قابوس بن السميدع قرب سويقة عبدالوهاب [٥٦] ، غير ان المصادر التي اطلعت عليها لم تذكر هوية السميدع أو قابوس ابن السميدع وهل ان الاخير هو والد صاحب السكة ، أو ان السميدع هذا هو نفس العدوى الذي كان يقاتل مع الكرماني •

أما سماعة فلعلها هي التي ذكر الخطيب «سكة سيابة» منسوبة اليه ، وهو أحد أصحاب المنصور [٥٧] ، غير اني لم أجد في المصادر معلومات عن «سماعة» أو سيابة •

أما عبدويه فلعله الذي ذكر الخطيب قصره حيث قال «قصر عبدويه من الازد من وجوه الدولة ، تولى بناءه أيام المنصور»[٥٨]، ولكن المصادر لم تذكره

---

(٥٥) الطبري ١٩٣٢/٢ •
(٥٦) البلدان ٢٤٧ •
(٥٧) الخطيب ٨٩/١ •
(٥٨) الخطيب ١٧/١ وقد ذكر الطبري رجلا من أهل مكة اسمه عبدويه أراد قتل ابي جعفر في مكة (١٥٦/٣) ، وعبدويه كردام الخراساني الذي كان =

ولم تشر الى حوادث شارك فيها .

أما العكي ، فالمشهور بهذه الكنية مقاتل بن حكيم الذي كان من أوائل من أعلن تأييده للثورة العباسية في نسا (٥٩) ، وكان من القواد المرافقين لقحطبة في زحفه على العراق (٦٠) ، ثم شارك في حصار ابن هبيرة في واسط (٦١) ، وصار مع عبدالله بن علي ابان ولايته الشام ، وايده في عصيانه على المنصور (٦٢) ، ثم انفصل عن عبدالله وانضم الى المنصور (٦٣) ، ثم قتله عبدالله بن علي(٦٤) ، ويقول ابن الفقيه ان « العكي واسمه مقاتل بن حكيم ، واصله من الشام ، ومخرجه من خراسان من مرو ، وهو من السبعين وله قطيعة في المدينة بين باب البصرة وباب الكوفة ودرب ينسب اليه الى اليوم(٦٥) .

أما العلاء فهو العلاء بن موسى صاحب الربض المعروف باسمه (٦٦) .

أما غزوان فقد ذكر الطبري انه كان عبدا لابى القعقاع بن ضرار ثم اشتراه المنصور (٦٧) ، وذكر الازدي فضل بن غزوان «ضمه المنصور الى جعفر ابنه والي الموصل» وجعله كاتبه وولاه أمره ، وكان منه بمنزلة ابى عبدالله من المهدي (٦٨) .

= مع هارون بن سعد العجلي والي البصرة عندما ثار محمد النفس الزكية (٣٠٢/٣) ، كما ذكر عبدويه الأبناوي الذي غلب على افريقية في زمن خلافة هارون الرشيد ثم استسلم (١٠٣٥/٣) وذكر ابن الفقيه عبدويه الازدي وهو من وجوه رجال الدولة (٤٥) .

(٥٩) الطبري ١٩٧٢/٢ .

(٦٠) الطبري ٢٠٠٠/٢ ، ٢٠٠٢ ، ٢٠٠٥ ، ٢٠١٦ ، ٤/٣ .

(٦١) الطبري ٢٠/٣ أنساب الاشراف ١٣٥/٣ .

(٦٢) أنساب الاشراف ١٠٦/٣ .

(٦٣) الطبري ٤٧٥/٣ أنساب الاشراف ١٠٩/٣ .

(٦٤) أنساب الاشراف ١٠٩/٣ .

(٦٥) ابن الفقيه ٤٩ .

(٦٦) الخطيب ٨٣/١ ويقول ابن الفقيه ان ربضه مما يلي درب ابى حية وهو الشارع النافذ الى درب السقائين (٥٠) .

(٦٧) الطبري ٢٩٦/٣ . (٦٨) تاريخ الموصل ١٩٨ .

أما مجاشع فلعله مجاشع بن يزيد الضبعي الذي ولاه المنصور أذربيجان والري [٦٩] ، وكان على شرطة عيسى بن موسى بالكوفة [٧٠] .

أما منارة فهو مولى ابي جعفر المنصور ، ومما ذكرت المصادر عنه انه جاء الى المنصور بخبر مقتل ابي ايوب المورياني [٧١] ، وان ابا جعفر ارسله مع قوة الى الاهواز لمقاتلة عطية بن بعثر التغلبي الخارجي ، ولكنه انهزم بعد ان قتل من أصحابه اكثر من مائتين [٧٢] ، وقد رافق منارة ابا جعفر في حجته الاخيرة ، وجاء الى المهدي بخبر وفاة المنصور [٧٣] .

أما مهلهل فهو «مهلهل بن صفوان مولى علي بن عبدالله»[٧٤] وكان من القواد وقد وجهه المنصور في ألفين من نخبة الجند لقتال ملبد بن حرملة الشيباني ولكن ملبد هزمه[٧٥] وقد عينه واليا على جرجان في سنة ١٦٢[٧٦]، ثم عزله في السنة التالية [٧٧] .

أما نافع فلم تذكره المصادر ، ولعله والد الخطاب بن نافع الطحاوي الذي كانت له قطيعة بين باب الكوفة وباب الشام [٧٨] .

اما الهيثم فلعله الهيثم بن معاوية العتكي . وكانت الراوندية تزعم انه جبريل [٧٩] وقد ولي مكة مدة سنتين [٨٠] ، ثم ولي البصرة سنتين [٨١] ، وكان

---

(٦٩) الطبري ٧٥/٣ .
(٧٠) أنساب الاشراف ٢٤٧/٣ .
(٧١) كذلك ٢٤٤/٣ .
(٧٢) كذلك ٢٥٠/٣ .
(٧٤) الخطيب ٨٧/١ .
(٧٣) الطبري ٤٥٥/٣ .
(٧٥) الطبري ١٢٠/٣ ، انساب الاشراف ٢٤٩/٣ .
(٧٦) الطبري ٤٩٤/٣ .
(٧٧) الطبري ٥٠١/٣ .
(٧٨) البلدان ٢٤٧ .
(٧٩) الطبري ١٥٩/٣ .
(٨٠) الطبري ٣٨/٣ ، ٤٢ .
(٨١) الطبري ٣٧٤/٣ ، ٣٧٨ .

له في أرباض بغداد سويقة مشهورة باسمه [٨٢] • ويلاحظ ان من الشخصيات المشهورة آنذاك الهيثم بن شعبة الذي كان مع ابي جعفر المنصور في حصار ابن هبيرة [٨٣] وشارك في قتال الراوندية [٨٤] ، ومحمد النفس الزكية [٨٥] ، واستاذسيس[٨٦] وقد قلده الاشراف على ربع بغداد من باب الكوفة الى باب الشام[٨٧] ، وكانت له قطيعة عند شارع الانبار [٨٨] واخرى عند ربض سليمان بن مجالد [٨٩] •

اما واضح فان اليعقوبي ذكر انه «مولى صالح بن المنصور الذي يعرف بالمسكين ، وكان واضح يتشيع وكان على البريد »[٩٠] ، وذكر البلاذري انه عمل على سفر علي بن محمد بن عبدالله بن الحسن الى المغرب ، ولما علم الرشيد فيما بعد بذلك قتله [٩١] •

ذكرت بعض الكتب دروبا في المدينة المدورة لم يرد لها ذكر في قائمة اليعقوبي ومنها ماذكر الهمداني ان عتيك بن هلال الفارسي صاحب الربض المسمى باسمه ، وله في المدينة ايضا درب ينسب اليه [٩٢] ، ولكن لم يرد لعتيك عند اليعقوبي ذكر •

وذكر الخطيب « واما سكك المدينة فمنسوبة الى موالي ابي جعفر

---

(٨٢) البلدان ٢٤٧ الخطيب ١/٨٥ .
(٨٣) الطبري ٣/٦٩ .
(٨٤) الطبري ٣/١٣٠ .
(٨٥) الطبري ٣/٢٣٨ .
(٨٦) الطبري ٣/٣٥٦ .
(٨٧) البلدان ٢٤١ ــ ٢٤٢ .
(٨٨) البلدان ٢٤٧ .
(٨٩) البلدان ٢٤٦ .
(٩٠) تاريخ اليعقوبي ٣/١٠٨ .
(٩١) أنساب الاشراف ٢ــ٢/١٣٧ (طبعة المحمودي) .
(٩٢) ابن الفقيه ٤٥ ، وانظر ياقوت ٣/٦١٤ .

وقواده ، منها سكة شيخ بن عميرة ، وكان يخلف البرامكة على الحرس وكان قائدا . واما درب الابرد فانه الابرد بن عبدالله قائد من قواد الرشيد ، وكان يتولى همدان ، واما درب سليمان فمنسوب الى سليمان بن ابي جعفر المنصور.

وسكة الشرط في المدينة كان ينزلها اصحاب شرط المنصور .

وسكة سيّابة منسوبة اليه ، وهو احد أصحاب المنصور (٩٣) .

يتبين من النص المذكور اعلاه ان الخطيب لم يذكر عدد سكك المدينة وذكر بعضا من أسماء اصحابها ، غير انه ذكر هوية من سماهم من هؤلاء ، وقد اقتصر على ذكر اربع سكك مما ذكره اليعقوبي (شيخ بن عميرة ، والشرط ، وسيابة (سماعة عند اليعقوبي) وسليمان (٩٤) .

وذكر الخطيب في نصه المذكور اعلاه «درب الأبرد» بما يشعر انه في داخل المدينة ، غير ان اليعقوبي لم يذكره من سكك المدينة ، ولم أجد في المصادر اشارة الى درب الابرد ، اما دار خازم ، والزبيدية ، وقصر وضاح ، ودور بني نهيك ، ودرب جميل المذكورين في النص فكلها تقع خارج المدينة المدورة ، والثلاثة الاخيرة قرب باب البصرة ، ولعلها حسبت معها عندما أصبحت تدعى باب البصرة .

ذكر الخطيب في مواضع متفرقة من كتابه عددا من السكك التي ذكرها اليعقوبي وذلك في معرض كلامه عن تراجم من سكنها ، فمما ذكر :

١ ـ سكة شيخ بن عميرة : فقد ذكرها واشار الى ان ممن كان ينزلها الحسين ابن محمد بن سليمان الكاتب (ت ٢٠٢) (٩٥) ، وخلف بن عمرو العكبري (ت ٢٩٦) (٩٦) .

---

(٩٣) الخطيب ٨٩/١ .

(٩٤) لابد ان يكون هذا الدرب هو غير درب سليمان المشهور الذي يقع في الاطراف الشمالية خارج المدينة المدورة .

(٩٥) الخطيب ١٠٢/٨ . (٩٦) كذلك ٣٣٢/٨ .

٢ ــ سكة النعيمية ، ذكر الخطيب انه كان ينزلها عبدالله بن الحسن البجلي (ت ٣٠٧)[٩٧] ومحمد بن عبدالوهاب الشاطر [٩٨] . وكانت هذه السكة قائمة الى زمن العباسيين ، حيث ذكر المنذري ممن سكنها سلمان بن يوسف الطحان (ت ٥٩٠) [٩٩] .

٣ ــ سكة المطبق ، ذكر الخطيب ان ابا زبيد حدّث فيها الهيثم بن سهل التستري [١٠٠] .

٤ ــ سكة منارة ، وكان فيها منزل الفرج بن فضالة (ت ١٧٦)[١٠١]، وحدّث فيها سنة ٣٠١ ابو الحسن احمد بن الحصين الصوفي الصغير [١٠٢] .

٥ ــ سكة غزوان : وكان ممن يقيم فيها عبدالعزيز بن جعفر الخرقي[١٠٣]

ويتبين من ذلك ان مجموع ما ذكره الخطيب من سكك المدينة المدورة مما ذكرها اليعقوبي يبلغ عددها خمسة. غير ان الخطيب ذكر في المدينة المدورة دروبا وسككا لم يذكرها اليعقوبي وهي :

١ــ درب الابرد ، ولم اجد لهذا الدرب او لصاحبه ذكراً في المصادر.

٢ــ درب خازم[١٠٤] ، وذكر في مكان آخر ان «درب خزيمة ببغداد» ينسب الى خازم بن خزيمة [١٠٥] .

٣ــ سكة ابي العباس الطوسي حيث يذكر انها سكة في المدينة ، وكان

---

(٩٧) الخطيب ٤٤٠/٩ ، المنتظم ١٥٥/٦ .
(٩٨) الخطيب ٣٨٣/٢ .
(٩٩) التكملة رقم ٢٣١ .
(١٠٠) الخطيب ٣١١/٢ .
(١٠١) الخطيب ٣٩٤/١٢ .
(١٠٢) الخطيب ٩٩/٤ .
(١٠٣) الخطيب ٤٦٣/١٠ .
(١٠٤) الخطيب ٨٩/١ .
(١٠٥) الخطيب ٣٤١/٣ .

يسكنها البهلول بن محمد ابو القاسم الطوسي (تـ ٣٨٠)[١٠٦] ، وان جعفر بن محمد التنوخي « دفن الى جانب داره بسكة ابي العباس الطوسي »[١٠٧] .

٤ـ سكة عيّاش الشرابي ، فقد ذكر انها « بمدينة المنصور » وانه كان يسكنها عبدالله بن محمد الفزاري (تـ ٣٠٠) [١٠٨] .

٥ـ سكة الخرقي . ذكر ابن النديم انها نسبت الى رجل بهذا اللقب كان تلميذاً لجابر بن حيان [١٠٩] ، اي ان تسميتها متأخرة ، ولكن المصادر لم تذكر اسمها قبل ذلك ، علما بانه لايعقل ان تكون قد سميت قبل ذلك . وكانت تقع قرب مقبرة جامع المنصور [١١٠] ، واعتبرت من نواحي باب البصرة [١١١] وممن ذكر نزوله فيها الحسين بن محمود الدقاق [١١٢] واحمد بن محمد البرقاني (ت ٤٢٥) [١١٣] ويحيى بن الحسن الدوسي (ت ٤٤٥) [١١٤] وعبدالخالق بن عيسى الهاشمي (٤٢١ ـ ٤٧٠) الذي بنى مسجدا فيها [١١٥] ، وقد ظلت هذه السكة قائمة حتى أواسط القرن السادس الهجري حيث يذكر ابن الجوزي ممن سكنها أسعد بن عبدالله

---

(١٠٦) الخطيب ١١١/٧ .

(١٠٧) الخطيب ٢٣٣/٧ ، وانظر ٢٦/١٢ ؛ وهذه السكة هي غير سكة الطوسيين التي ذكر الخطيب انها بناحية الحربية ٤٩/١٣ .

(١٠٨) الخطيب ١٠٣/١٠ .

(١٠٩) الفهرست ٤٢١ .

(١١٠) الخطيب ٣٧٦/٤ ؛ المنتظم ٨٠/٨ ، ١٠٠ ، ١٢٧ .

(١١١) الخطيب ١٤٢/٨ ، ٢٤١/١٤ .

(١١٢) الخطيب ١٤٢/٨ .

(١١٣) الخطيب ٣٧٦/٤ ، المنتظم ٨٠/٨ .

(١١٤) الخطيب ٢٤١/١٤ .

(١١٥) المنتظم ٣١٥/٨ ؛ طبقات الحنابلة ١٣٨/٢ ؛ ذيل طبقات الحنابلة ١٦ .

(ت ٥٤٥) (١١٦) ثم اختفى ذكرها بعد ذلك مما يدل على زوالها أو تناقص أهميتها .

السكك ودلالات أسمائها :

ذكرنا ان اليعقوبي قال ان المنصور اقطع مواليه وقواده القطائع داخل المدينة ، فدروب المدينة تنسب اليهم ؛ وقد ذكر الخطيب فصلا عنونه « ذكر محال مدينة المنصورة طاقاتها وسككها ودروبها وارباضها ومعرفة من نسبت اليه من ذلك نواحي الجانب الغربي»(١١٧)، وظاهر العنوان ومحتواه واضح في انه قصد كل الجانب الغربي ، ولم يقصر ما اورده على المدينة المدورة . غير انه ذكر في هذا الفصل « سكك المدينة » ، وعدّد منها خمس سكك ودروب ودار (١١٨) ، ولم يرد في المدينة المدورة ذكر لاي درب ، أما السكك فقد اشتهرت فيها، وتكاد تكون مقتصرة عليها ، اذ لم تذكر في أطرافها سكك، وانما ذكرت القطائع والدروب .

وذكرنا أيضا ان اليعقوبي أورد أطول قائمة في أسماء السكك ، وادعى ان هذه الاسماء كانت منذ زمن ابى جعفر ، وانه حدثت عليها تبدلات تالية ؛ غير انه يعترف بانه « غاب عنه » اسم بعض السكك ، كما ان المصادر التالية ، ومنها الخطيب ، تذكر اسماء سكك في المدينة المدورة لم يرد اسمها في قائمة اليعقوبي ؛ يضاف الى ذلك ان عدداً من اسماء السكك لم ينسب الى اشخاص، ولا نعلم فيما اذا كان هذا التبدل راجعاً الى ايام ابى جعفر المنصور ، ام الى ازمنة تالية .

ان تسمية السكك باسماء اشخاص ترجح وجود علاقة سكنية بين السكة

---

(١١٦) المنتظم ١٠/١٢٧ .
(١١٧) الخطيب ١/٨٣ .
(١١٨) الخطيب ١/٨٩ .

ومن سميت باسمه ، اي ان الشخص سكن في السكة المسماة باسمه ؛ غير انها لا تستلزم قطعاً انها اقتصرت عليه، فمن المحتمل ان يكون قد سكنها مع اسرته، وربما مع اتباعه . غير ان المصادر لم تذكر اسماء من سكن هذه السكك ، وعلاقتهم بمن سميت السكة باسمه ؛ فاذا كانت اسماء السكك تبين مكانة الافراد في تنظيم المدينة المدورة ، فان المعلومات التاريخية تظهر ان هذه المكانة قائمة على خدماتهم للدولة او على مدى اتصالهم بالمنصور ، وليس على كثرة اتباعهم المرتبطين بهم . والراجح ان التسمية تظهر مكانة اسم صاحب السكة، ولا تدل على كثرة اتباعه او ان السكة وما حولها اصبحت « اقطاعاً مملكاً له »

ولا بد ان الاراضي التي كانت حول كل سكة ، مقسمة الى وحدات سكنية، وفيها تفرعات من دروب وشوارع لم تفصلها المصادر، وذكرت المصادر تعديلات ادخلت منذ زمن ابي جعفر المنصور على القطائع وعلى الطرق في المدينة المدورة وأطرافها . فذكر الطبري انه بعد الاضطراب الذي أثاره الراوندية، وبعد عودة محمد المهدي وجيشه من الري سنة ١٥١، خشي المنصور التياث الجند عليه ، فنصحه قثم بن العباس بالعمل على اثارة الانقسام القبلي في الجيش ليأمن عدم تكتلهم ويضمن السيطرة عليهم « فقبل وامره ورايه ، فاستوى له ملكه وكان ذلك سبب البناء في الجانب الشرقي وفي الرصافة واقطاع القواد هناك .

قال وولى صالح صاحب المصلى القطائع في الجانب الشرقي ، ففعل كفعل ابى العباس الطوسي في فضول القطائع في الجانب الغربي ، فله بباب الجسر وسوق يحيى ومسجد خضير ، وفي الرصافة وطريق الزواريق على دجلة مواضع بناء بما استوهب من فضل الاقطاع عن اهله » (١١٩) .

ان هذا الخبر ذكره الطبري في حوادث سنة ١٥١ ، وصرح بانه كان سبب

---

(١١٩) الطبري ٣٦٧/٣ .

بناءالرصافة؛ غير انالعملالذي ذكر قيام صالحصاحبالمصلى به هو تعديل مساحات القطائع ، وشمل الرصافة ، وانه حصل على فضول قطائع ، أيانبعض القطائع كانت اوسع من الحد المقرر ؛ ولم يذكر الطبري الحدد المقرر للقطائع، غير ان الخطيب ذكر ان المنصور « اقطع اصحابه خمسين في خمسين » (١٢٠) وهي تبلغ قرابة ١٠٠٠ م٢ ، وهي مساحة تكفي لاقامة دار لذى مكانة مع مايتبع ذلك من اصطبلات لدوابه ومسقفات لحشمه ، ولكنها لا تكفي لاقامة عدد كبير من اتباعه •

ان الطبري ذكر في نصه ان صالحا صاحب المصلى استوهب لنفسه فضول القطائع فكانت ملكا له ، ولابد انها كانت قطعا صغيرة ومتفرقة في أماكن متعددة •

ذكر الطبري في نصه الذي نقلناه أعلاه ان صالح صاحب المصلى فعل في قطائع الجانب الشرقي « كفعل ابي العباس الطوسي في فضول القطائع في الجانب الغربي » ، اي ان ما فعله ابو العباس الطوسي في الجانب الغربي كان سابقاً لما فعله صالح في الجانب الشرقي ؛ ولم اجد في الكتب ما يوضح عمل الطوسي في الجانب الغربي ، كما أن المصادر الخططية لم تذكر للطوسي غير مربعة واقطاع في الاطراف الشمالية من الجانب الغربي ، وبالقرب من مربعة الفرس؛ ومع ان هذا الاقطاع ظل يتردد ذكره في الاخبار المتأخرة ، الا انه لم يكن واسعا ، اذ يذكر ابن الفقيه ان الدهقان الذي نصح الخليفة ابا جعفر المنصور بتشييد مدينته في الرقعة التي اقيمت عليها ، كانت « قريته قائمة في مربعة ابي العباس الطوسي ، وداره على حالها (١٢١) » ، واشار الخطيب الى قرية « الوردانية في مربعة ابي العباس » (١٢٢) ، ولم تذكر للطوسي اراضي واملاك في غيرها •

---

(١٢٠) الخطيب ٧٥/١ . (١٢١) ابن الفقيه ٣٠ . (١٢٢) الخطيب ٤٢/١ .

يوحي ذكر الطبري خبر تعديل القطائع في سنة ١٥٠ ، ان فعل ابى العباس الطوسي تم في تلك السنة أو قبلها ، أي خلال بناء بغداد أو بعد اكتمالها بقليل؛ فكان أثرها مبكرا ووقتيا ، وهو على أي حال تعديل فرعي وتنسيق اكثر مما هو تبديل اساسي • ان الطبري لا يحدد موضع القطائع التي اعيد تعديلها ؛ ولابد ان معظمها كان خارج المدينة المدورة ، ولكن هذا لا يمنع ان يكون امتد الى المدينة المدورة نفسها ، خاصة وانه حدث عند عودة المهدي وجيشه الى بغداد وما رافق ذلك من تحديد مكان لاقامة هذا الجيش ومن يتبع المهدي من حرس وحشم •

وفي سنة ١٥٧ تم تعديل واسع امتد الى مدينة المنصور ، فيذكر الخطيب عن يعقوب بن سفيان ان المنصور في تلك السنة «وسّع طرق المدينة وأرباضها، ووضعها على مقدار اربعين ذراعاً ، وامر بهدم ما شاع من الدور عن ذلك القدر » ، ويروى عن محمد بن عرفة الازدي ان المنصور « وسع الطرق بمدينة السلام وجعلها على اربعين ذراعاً ، وامر بهدم ما شاع من الدور عن ذلك المقدار » (١٢٣) •

يتفق يعقوب بن سفيان ومحمد بن عرفة ان التوسيع امتد الى المدينة المدورة ، وانه كان « في الطرق » ، ولم يذكر انه شمل السكك ، اي ان التخطيط العام احتفظ بصورته العامة • ويلاحظ ان هذا التعديل حدث بعد اخراج أهل السوق من المدينة المدورة الى الكرخ، ولابد ان هذا يسّر التوسيع ، حيث وفر اراضي خلت من السكان فكان بالامكان اجراء التوسيع ، وان كانت المصادر لم تذكر من حل محل من اخرج الى الكرخ • ولم يرد ذكر لاستياء او اضطراب ولّده هذا التعديل ، أو مصير الاراضي التي حصلت ، أو التعويض الذي اعطى لمن هدمت دورهم •

---

(١٢٣) الخطيب ١/٧٩ •

الطاقــات :

ومن المعالم البارزة في مدينة المنصور المدورة هي الطاقات التي فيهـا ؛ وقد وصفها اليعقوبي والخطيب فذكرا أنها تقع على المسالك الرئيسة بين أبواب المدينة المدورة وبين الرحبة الداخلية ، ولكنهما ميزاها عن السكك لما في عمارتها من سمات أوضحاها ولم يذكرا مثلها في السكك مما يدل على انفرادها في طاقات المسالك الاربعة فحسب .

ذكر اليعقوبي بعد كلامه عن الاسوار ان الداخل الى المدينة يسلك دهليزا يخترق السور الخارجي ويصل الى رحبة في الفصيل الاول ، ومنه الى دهليز في السور الداخلي ، ثم يذكر « فاذا دخل من دهليز السور الاعظم (الداخلي) سار في رحبة الى طاقات معقودة بالآجر والجص ، فيها كوات رومية يدخل فيها الشمس والضوء ، ولايدخل منها المطر ، وفيها منازل الغلمان . ولكل باب من الابواب الاربعة طاقات [١٢٤] . ثم يقول « وعلى المصعد ابواب تغلق ، فـاذا خرج الخارج من الطاقات خرج الى رحبة ، ثم دهليز عظيم ازج معقود بالآجر والجص عليه بابا حديد يخرج من الباب الى الرحبة العظمى ، وكذلك الطاقات الاربعة على مثال واحد ، وفي وسط الرحبة القصر .. » [١٢٥] .

ويذكر الخطيب « ..ثم يدخل من الرحبة التي وصفنا الى الطاقات ، وهي ثلاثة وخمسون طاقا سوى طاق المدخل اليها من هذه الرحبة ، وعليها بـاب ساج كبير فردين ، وعرض الطاقات خمسة عشر ذراعا ، وطولها من أولها الى الرحبة التي بين الطاقات الصغرى مائتا ذراعا وفي جنبتي الطاقات بـين كـل طاقين فيها غرف للمرابطة ، وكذلك لسائر الابواب الباقية ، فعلى هذه الصفة سوار ، ثم يخرج من الطاقات الى رحبة مربعة عشرون ذراعا في عشرين ذراعا ،

---

(١٢٤) البلدان ٢٣٩ .
(١٢٥) البلدان ٢٤٠ .

فعن يمينك طريق يؤدي الى نظيرتها من باب الشام ، ثم تدور الى نظيرتها من باب الكوفة ، ثم الى نظيرتها من باب البصرة. وفي هذا الفصيل تشرع أبواب لبعض السكك .

وتجاهك الطاقات الصغرى التي تلي دهليز المدينة الذي منه يخرج الى الرحبة الدائرة حول القصر والمسجد »[١٢٦] .

ان هذين النصين كانا أساس دراسات آثارية قام بها كل من هرزفيلد وكريسويل [١٢٧] ، وقد أثار اقتضاب النصين ، وهما كل مايتوفر لنا حاليا ، اختلافات بينهما عن تطور الطاقات ؛ وهي خارجة عن نطاق اختصاصي لذلك اقتصر على التعليق على نصيهما .

١ ــ يتفق اليعقوبي والخطيب على وجود طاقات بين كل من الابواب الأربعة الرئيسة في المدينة ، وبين الرحبة التي فيها قصر المنصور والجامع ، أي انها على الشوارع الاربعة الرئيسة .

٢ ــ ينفرد الخطيب بذكر طاقات صغرى تلي دهليز المدينة الذي يخرج منه الى الرحبة الثالثة حول القصر والمسجد ، غير انه لايذكر عدد الطاقات الصغرى وانما يذكر ان بينها وبين الطاقات الكبرى رحبة .

٣ ــ يذكر الخطيب ان طول الطاقات من أولها الى الرحبة التي بين الطاقات والطاقات الصغرى مائتا ذراع ، وان عرض الطاقات خمسة عشر ذراعا

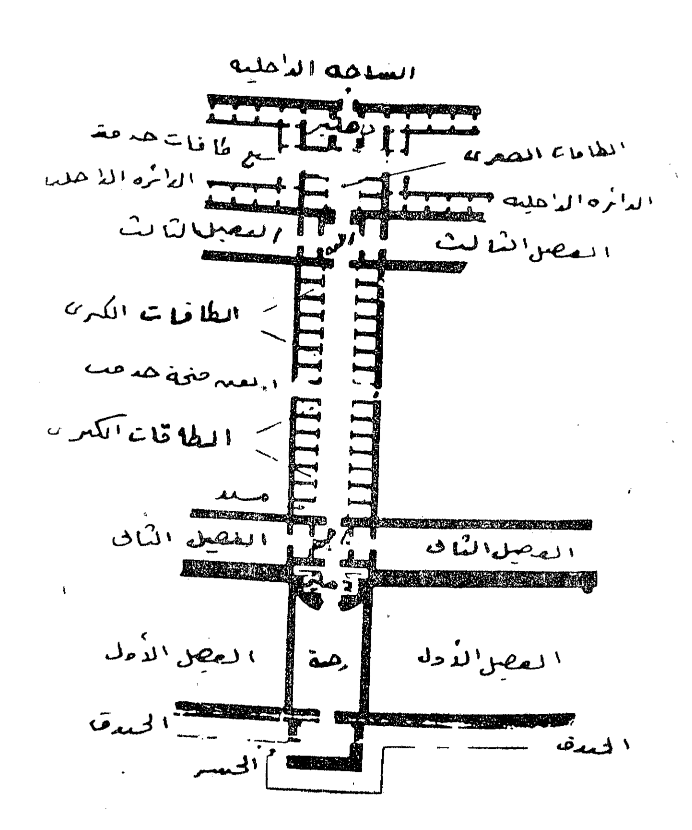
٤ ــ يذكر اليعقوبي ان الطاقات معقودة بالاجر والجص فيها كوات رومية يدخل منها الشمس والضوء ولايدخل منها المطر .

٥ ــ يذكر اليعقوبي ان الطاقات «فيها منازل الغلمان» ويذكر الخطيب ان في جنبتي الطاقات بين كل طاقين فيها غرفاً للمرابطة .

---

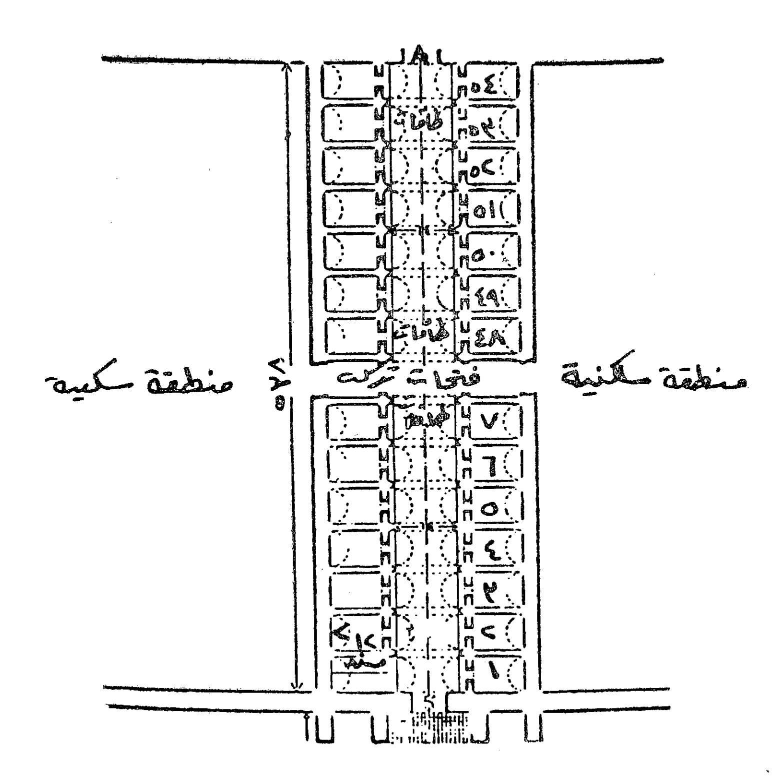
(١٢٦) الخطيب ١/٧٦ .

(١٢٧) انظر تلخيصا ومناقشة لارائهما في التعليقات التي كتبها ليسنر « خطط بغداد في العهود العباسية الاولى» ص ١٥٣ ــ ٤ .



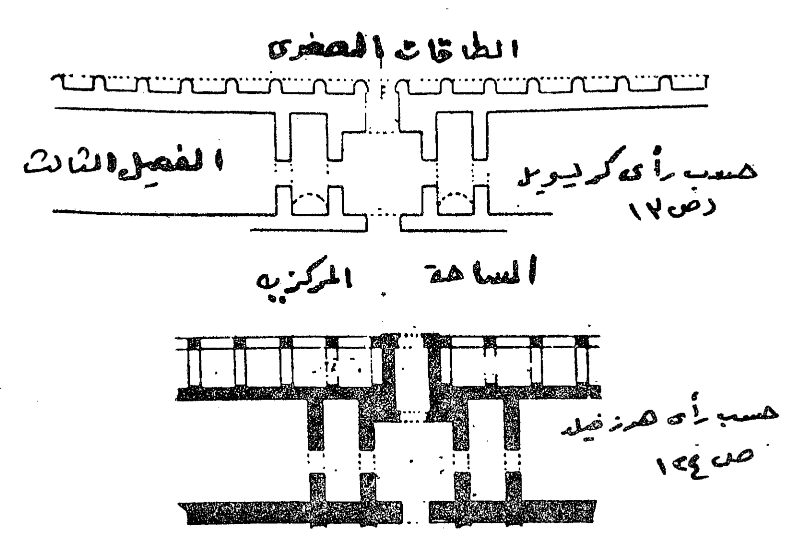
الطاقات الكبرى

منقولة عن ليسنر

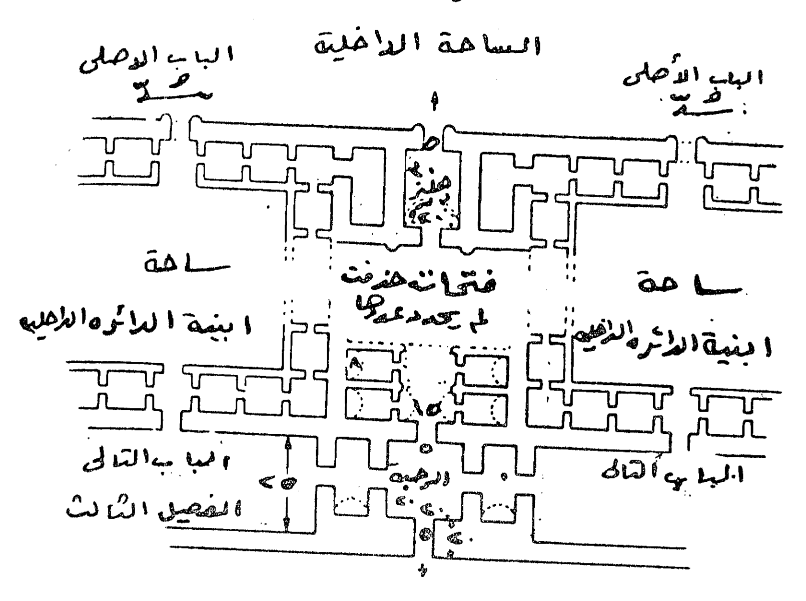


الطاقات الكبرى

حسب راي كريسويل



الطاقات الصغرى والحلقة الداخلية



الطاقات الصغرى

ويتبين من كلام اليعقوبي والخطيب ان الطاقات هي ليست اقواسا بين جهتي الشارع الذي تقع عليه والا لم تكن حاجة الى وجود كوات فيه ، غير ان هذين المصدرين لاينصان بصراحة ان هذه الطاقات ممتدة على طول كل شارع من جانبيه ؛ علما بانه ليس من المستساغ فنيا ان تكون الطاقات على جهة واحدة من الشارع وليس على جهتيه . غير ان عدد الطاقات الثلاثة والخمسين التي يبلغ مجموع طولها مائتي ذراع ، يجعل كل طاق حوالي أربعة أذرع ، أي قرابة مترين ، وهو قوس ضيق .

والمهم في بحثنا هو ماذكره اليعقوبي ان الطاقات «فيها منازل الغلمان» وان الخطيب قال ان في جنبتي الطاقات بين كل طاقين فيها غرفاً للمرابطة ؛ ومع انهما لم يحددا حجم هذه الغرف ، الا أن ضيقها يرجح انها كانت مكانا لاقامتهم ابان عملهم ، وانها لم تكن «مساكن» لهم .

ينقل الخطيب عن محمد بن خلف ان المنصور «صيّر الاسواق في طاقات مدينته من كل جانب»[(١٢٨)] ، ويقول ابن الفقيه ان المنصور « أمر ان تجعل الاسواق في طاقات المدينة ازاء كل باب سوق»[(١٢٩)]، ولم تذكر المصادر في المدينة المدورة غير هذه الطاقات للاسواق ، مما يرجح انها وضعت في التصميم الاصلي لتكون سوقا ، ومما يؤيد هذا ان الغرف كانت اصغر من ان تكفي لتكون مساكن ، وهي أقرب الى الحوانيت ، خاصة وان كثيرا من السلع تتطلب حوانيت وغرفا للحفاظ عليها ؛ ولايعقل ان تنقل سلع هذه المدينة من السوق الى بيوت التجار والباعة يوميا ؛ وان وصف اليعقوبي انها غرف للغلمان ، أو قول الخطيب انها غرف للمرابطة حدث بعد ان اخرج السوق من المدينة .

لم يكن أهل السوق ممن وضعوا في خطة المنصور ، ولذلك كانوا

---

(١٢٨) الخطيب ١/٨٠ .   (١٢٩) ابن الفقيه ٣٧ .

منوعين ، وقد أشار وافد الروم الى خطرهم عندما انتقد وضع المدينة بقوله «ان الاسواق غير ممنوع منها احد فيدخل العدو كأنه يريد ان يتسوق»(١٣٠)؛ ويلاحظ ان يحيى بن زكريا المحتسب أغرى أهل السوق في اثارة الاضطراب (١٣١) ، ولم يكن ليفلح لولا ان أهل السوق لم يكونوا وثيقي الارتباط بالخليفة •

ان أغلب الاشخاص الذين سميت بهم السكك كانت لكل منهم اقطاعات أو منشآت باسمهم خارج المدينة ، مما يدل على ان كلا منهم لم يقتصر في اقامته الدائمة على سكته في داخل المدينة ، ولم اجد اشارة او دليلا على اقامتهم مع اسرهم في داخل مدينة المنصور ، الامر الذي يدل على ان اطلاق أسمائهم على السكك كان عملا رسميا يعبر عن مكانتهم وعن عملهم الرسمي أكثر من كونه دليلا على مقامهم الدائم فيها •

والراجح ان كل سكة كان يقيم فيها الحرس والجند الذي كان صاحب السكة يتولى قيادته عندما بنيت المدينة • والواقع ان قليلا من أصحاب السكك اسندت اليهم أعمال دائمة خارج بغداد تستلزم اقامتهم الطويلة في الخارج •

أما أفراد الحرس فلابد انهم كانوا يقيمون دائما عند السكك في أبنية بنوها لسكناهم مع عوائلهم •

ويلاحظ ان الكتب لم تذكر في داخل مدينة المنصور قطائع اقطعها الخلفاء للافراد ، كما ان الفقهاء لم يبحثوا حكم أرض بغداد سوى قولهم ان أرض بغداد « حر » أي انه لاتعتبر أرضا خراجية ولاتسري عليها الاحكام التي تسري على أراضي الخراج (١٣٢) •

ومن المعلوم ان للقطائع احكاما خاصة في الفقه ، من أهمها ان للمقطع

---

(١٣٠) الخطيب ١/ ٨٠ ، الطبري ٣/ ٣٢٢ •
(١٣١) الخطيب ١/ ٨٠ ، الطبري ٣/ ٣٢٤ •
(١٣٢) انظر عن أرض الحر كتاب الشروط للطحاوي •

استرجاعها اذا لم تستغل للغرض الذي اقطعت له • أما الاراضي التي داخل مدينة المنصور فلم يتطرق الفقهاء والباحثون الى نوع ملكيتها ومدى حقوق شاغليها ، وهل ان بقاءها بايديهم متوقف على العمل المسند اليه والذي كان سبب اعطائهم الارض ، وبذلك يمكن ان تؤخذ منهم عند تركهم العمل وتعطى لغيرهم ، ام ان الارض تبقى لمن اشغلها أول مرة ، وفي هذه الحالة هل تخضع لقانون الارث الذي يحصر الملكية عند وفاة صاحبها بالورثة حيث توزع عليهم طبقا لقواعد ثابتة مقررة •

ان سكنى الحرس في المدينة المدورة يشوه منظرها الجمالي ، اذ لابد ان تكون ابنيتهم بسيطة لايراعى فيها الجمال والترف حتى في حالة قيام الدولة بيناء هذه الابنية وطبقا للخطط التي رسمتها •

ثم ان سكان السكك من الحرس الذين يقومون بخدمات للدولة ، وهذا يقتضي ان يكون لهم عطاء خاص تدفعه لهم الدولة مقابل خدماتهم الدائمة ، الامر الذي يؤمن مواردهم ويزيد من قوتهم الشرائية ويساعد على خلق حركة اقتصادية ونشاط في التجارات وخاصة المواد التي يحتاجونها لاستهلاكهم الخاص ، وهي توازي ماتحتاجه الفئات الحاكمة من مواد كمالية مما يحدث نوعا من التناسق في ميادين النشاط الاقتصادي ، ولكنه يجعله متوقفا على الدولة من حيث قدرتها على الصرف ورغبتها فيه ، ولابد ان الاحوال كانت تقضي ان يدفع للحرس عطاءهم مما ساعد على ازدهار الحياة في المدينة المدورة في زمنه •

كانت واجبات الحرس عسكرية مقصورة على بغداد ، وهي تفرض عليهم حياة عسكرية تتميز عن الحياة المدنية وقد تطغى على أسس الحياة المدنية • غير انه لم تتوفر معلومات عن التكوين العرقي للحرس ، أي من أي الاقوام أو القبائل جمعوا ، وعلى أي الاساس نظموا ، اللهم الا ماذكره ابن النديم من ان عيسى بن ابان بن صدقة الذي كان يلي الجهبذة وابواب الاستخراج للمنصور

« أشار على المنصور وقد شكا اليه لين حجابه ، استخدم قوما وقاحا ، قال ومن هم ، قال : اشتر قوما من اليمامة فانهم يربون الملاقيط ، فاشتراهم وجعل حجابه اليهم ومنهم الربيع »(١٣٣) ومن هؤلاء المبارك جد احمد بن الحارث وهو ممن اسرى للمنصور ليجعل في البوابين وكان يقال له حسان ومن سبى اليمامة (١٣٤) ، غير انه يلاحظ ان اليعقوبي وغيره لم يذكرا في مدينة المنصور سكة لعيسى بن ابان بن صدقة او لأهل اليمامة أو للحجاب والبوابين ، علما بان عملهم يقتضي اقامتهم في داخل المدينة .

يقول الخطيب ان السكك سميت بموالي المنصور وقواده ، وهذا القول يفترض بان القواد تابعون له ، والراجح ان أفراد الحرس كانوا يتبعون المنصور أيضا ، لانهم موالي ، فالرابطة النهائية تكون مع الخليفة ، واذا غادر المولى الأعلى أو القائد المدينة فان ولاء الافراد الباقين يظل قائما للخليفة أي ان استقرار السكنى في المدينة المدورة لم يتوقف على بقاء القواد فيها .

من الواضح ان المقيمين الاولين في سكك المدينة المدورة هم حرس ابي جعفر الذي ظل طوال خلافته مقيما في مدينته ، ماعدا فترات سفره الوقتية ، وبذلك كان الحرس قريبين منه ليقوموا بحراسته .

غير ان الاحوال كانت تتطلب التبديل عندما ولى محمد المهدي ثم موسى الهادي الخلافة ، حيث نقلا مقر اقامتهما الى الجانب الشرقي في الرصافة وقصر الطين وعيساباد ، ولم ينشآ جسرا يربط المدينة المدورة بهذه الاماكن ، وهذا يقتضي ان يكون للمهدي والهادي حرس خاص يقيم معهما في الجانب الشرقي. ولكن المصادر لاتبين هل ان المهدي نقل حرس والده المنصور من المدينة المدورة ؟ وفي هذه الحالة من حل محلهم في سكناهما ؟ ام انه ابقى حرس

---

(١٣٣) الفهرست ٢٥٨ .
(١٣٤) الفهرست ١١٧ .

والده المنصور في مكانهم بالمدينة المدورة ، واتخذ له حرسا خاصا ، وفي هذه الحالة هل ان المقيمين في المدينة المدورة ظلوا يستلمون عطاءا دون خدمة ام أن العطاء قطع عنهم الامر الذي كان يؤثر في الوضع الاقتصادي للمدينة المدورة ، ويتطلب منهم ايجاد مورد جديد لاعاشتهم ، مما يؤدي بدوره الى حدوث تطورات تخالف ما أراد ابو جعفر ايقافه بنقل التجار الى الكرخ .

ثم ان سؤالا آخر تصعب الاجابة عليه وهو : هل كان عمل الحراسة وراثيا ، وهل كان الابن يخلف اباه في عمله وعطائه ، أم ان ذلك لم يكن شرطا ضروريا ، وفي هذه الحالة يكون التطور الذي يرافقه سببا في تطور لازم في أوضاع الحياة فيها .

يقتضي سياق التاريخ انه ليس من الضروري ان يرث الابن اباه في الحرفة وخاصة في الجندية والحراسة ، وهذا يؤدي الى تزايد عدد الشبان ممن ليسوا في الجندية ولا يأخذون العطاء . ولعل المنصور اخرج عددا منهم عندما قرر اخراج التجار واصحاب المهن من مدينته في سنة ١٥٧ أي بعد أكثر من عشر سنوات من انشائها . ولكن لا توجد اشارة الى محاولة اخرى في اخراج جماعة من مدينة المنصور ، الامر الذي يستلزم حدوث تطور في سماتها وطابعها .

لم يكن لأهل المدينة المدورة دور كبير في الحوادث المتعددة التي تعرضت لها بغداد ، فلم تحدث فيها ثورة داخلية أو شغب ، ولم تدخلها قوات طاهر بن الحسين عندما حاصر الامين في الجانب الغربي ، حيث ان اغلب المعارك والدفاع جرى في اطرافها ولكنها كانت قلعة صمد فيها الامين ، ثم استسلم قبل ان تدخل جيوش خصمه المدينة .

والواقع ان مدينة المنصور صار يسكنها على ممر الايام منذ أوائل عهود بنائها اناس منوعون ، وممن ذكرت المصادر سكناهم فيها الفرج بن فضالة[١٣٥] ،

---

(١٣٥) كتاب الطبقات لابن سعد ٧ـ٢/٧١ .

والمسيب بن شريك [١٣٦] ، وكلاهما ممن ولى بيت المال لهارون الرشيد ، كما سكنها داوود بن رشيد [١٣٧]، وابو نصر البزاز [١٣٨] ، ومحمد بن ابراهيم الخلال [١٣٩] ، ومحمد بن ناصح البغدادي [١٤٠] ، ومحمد بن المؤمل غلام الابهري [١٤١] .

والواقع ان تبدلا حدث في سكان المدينة المدورة منذ زمن ابي جعفر حيث كثر أهل السوق فأمر ابو جعفر «باخراج السوق من المدينة وجعلها للشرط والحرس ، وبنى للتجار بباب طاق الحراني وباب الشام والكرخ» ، ولما قضى ابو جعفر على ثورة زكريا المحتسب « أمر ابو جعفر بهدم ما شخص من الدور في طرق المدينة ووضع الطريق على مقدار اربعين ذراعا ، وهدم مازاد على ذلك المقدار وأمر بنقل الاسواق الى الكرخ »[١٤٢] .

★ ★ ★

---

(١٣٦) كذلك ٧ـ٢/٧٥ .
(١٣٧) كذلك ٧ـ٢/٨٨ .
(١٣٨) الخطيب ١٤/٤٢١ .
(١٣٩) كذلك ١/٤١٢ .
(١٤٠) كذلك ٣/٣٢٤ .
(١٤١) كذلك ٣/٣١٢ .
(١٤٢) الطبري ٣/٣٢٤ .

الفصل السادس عشر

الخندق والاسوار والمساحة

ان المعلومات التي وصلتنا عن المدينة المدورة التي شيدها ابو جعفر المنصور مقصورة على نصوص قليلة دوّنها في نهاية القرن الثالث مؤرخون عاشوا متعاصرين وهم اليعقوبي الذي ذكر في الفصل الذي كتبه عن بغداد في كتابه « البلدان » اوسع قائمة باسماء سكك المدينة وطاقاتها والاقطاعات التي في أطرافها ، ثم الطبري وابن الفقيه والرواة الذين نقل عنهم الخطيب وقد قدم هؤلاء المؤرخون معلومات متشابهة ، ولكنها متباينة في كميتها ، وقد قدم الطبري معلومات اقل من الآخرين ، اما ابن الفقيه فقد ذكر معظم ما ذكره الطبري ، ولكنه اضاف معلومات كثيرة عن اسوارها والاقطاعات التي حولها . اما الخطيب فقد أورد عن رواته معلومات واسعة ، فيها كثير مما أورده الطبري وابن الفقيه ، وفيها اضافات قيمة وخاصة عن وصف الابواب والاسوار وقصر المنصور وجامعه ، واعتمد في كثير من معلوماته على محمد بن خلف وكيع (ت ٣٠٥) الذي كان معاصرا للطبري وابن الفقيه ، وربما كان مصدرهما فيما ذكرا من معلومات [1] .

ومما يلفت النظر تباين المعلومات التي قدمها هؤلاء المؤرخون عن مقاسات الاسوار والفصائل والطرق ، رغم ان هذه معالم مادية بارزة وثابتة ، واذا كان

(١) لقد فصلنا البحث في ذلك بمقالنا «مصادر دراسة خطط بغداد» المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي م١٤ سنة ١٩٦٧ .

فقدان المعلومات أو اقتضابها يرجـع الى « امزجة الكتاب » في اختيـار مـا يذكرون او يحذفون ، فانه يصعب معرفة المبرر لاختلافهم في قياسات كثير من المعالم التي كان كثير منهـا قائما في زمنهم • وهـذا الاقتضاب والتباين في معلوماتهم كان من عوامل الاختلافات بين الباحثين المحدثين في وصف المدينة المدورة [٢] •

لن ندخل في دراستنا الحالية الجوانب المعمارية والفنية ، وانما نكتفي بالكلام عن الخندق وأسوار المدينة وأبعاد محيطها وطرقها ، لما لذلك من صلة وثيقة في بحثنـا •

وضع ابو جعفر المنصور بنفسه تصميم المدينة الجديدة وتخطيطها ، فهي تعبر عن خبراته وآرائه واهدافه الخاصة من تأسيسها ، وقد جعلها منذ البداية محاطة باسوار وخندق يحدد رقعتها ويحصر امتدادها ويعرقل توسعها ويساعد على فرض سمة خاصة تتميز بها •

الخنـدق :

اشارت بعض المصادر الى الخندق ، فذكر الطبري ان ابا جعفر « خط بالرماد مكان ما يريد بناءه •• ودار عليهم ينظر اليهم والى ما خط من خنادقها» وامر ان يحفر اساس ذلك على الرسم »[٣] ، وذكر ايضا ان ابا حنيفة تولى عد اللبن » حتى فرغ من بناء حائط المدينة مما يلي الخندق « وقيل ان ابا جعفر لما امر بحفر الخندق وانشاء البناء واحكام الاساس •• » [٤] •

وذكر اليعقوبي ان ابا جعفر وضع خارج الفصيل كما يدور مسناة بالآجر والصاروج ، متقنة محكمة عالية ، والخندق بعد المسناة قد اجرى فيه الماء من القناة التي تأخذ من نهر كرخايا ، وخلف الخندق الشوارع العظماء [٥] ، وذكر

---

(٢) انظر ص ٢٢٦ • (٣) الطبري ٣/٢٧٧ •
(٤) كذلك ٣/٣٧٨ الطبري ٣/٢٧٨ ابن الفقيه ٢٣ •
(٥) البلدان ٢٣٩ •

ابن رسته ان « خارج السور خندق قد بنى حافتاه بالجص والآجر »[٦] .

وذكر الخطيب ان ابا جعفر « عمل عليها (مدينته) الخنادق ، وعمل لها سورين وفصيلين»[٧] وان مساحة خنادقها وسورها ثلاثون جريبا[٨] وانه في سنة ١٤٥ « استتم سور خندق مدينة السلام » [٩] وذكر « الدور التي بين الخندق مما يلي باب البصرة وشط الصراة » [١٠] .

وذكر ابن الفقيه الهمداني نقلا عن الشروي من بعض مشايخ الموالي « ان المنصور لما اراد بناء بغداد وسط المكان الذي قدر ان يجعله مدينة ، وامر ان يوتد هناك وتدا ، واخذ حبلا فمد على المقدار الذي أراد ان تكون استدارتها ، ثم امر بطرح الرماد فخرج ، ثم نقص من مقداره اربعين ذراعا ، ثم ادار خطا آخر ، وجعل بين الخطين الخندق ، وجعل فتحه اربعين ذراعا»[١١].

يتبين من كلام الهمداني ان عرض الخندق اربعون ذراعا ، ومن كلام اليعقوبي انه كانت للخندق مسناة مبنية بالاجر والصاروج اقيمت على جهتها الملاصقة للمدينة ، وهي لمنع تسرب الماء الى اسس الاسوار .

ولاريب في ان الخندق حاجز اضافي يحدد المدينة ويثبت رقعتها ، غير انه لا توجد اشارة الى عمقه ، ولم يتردد ذكره في المصادر المتأخرة ، ولم ترد اشارة الى جسر او قنطرة عليه ، او انه كان عائقا عن الدخول الى المدينة . ولعل ترابه استخدام في بناء السور وبقية أبنية المدينة .

ويلاحظ ان المدينة كانت قريبة من مجرى دجلة في شرقيها ، كما ان نهر الصراة كان يجرى جنوبيها وقريبا من اسوارها ، وكلا النهرين يزيد ان في تحصينها وعزلتها ، اما جهاتها الشمالية والغربية فكانت مكشوفة قد يكون

---

(٦) الاعلاق النفسية ١٠٨ .

(٧) الخطيب ١/٧٢ .

(٨) كذلك ١/٦٩ .

(٩) كذلك ١/٦٧ .

(١٠) كذلك ١/٨١ .

(١١) ابن الفقيه ٣٥ . ويلاحظ ان الرصافة كان لها سور وخندق الطبري ٣/٣٧٩ ، الخطيب ١/٨٥ ، ابن الفقيه ٣٩ ، ولكن المصادر لم تشر الى سعته أو عمقه أو اهميته .

للخندق أهمية في تحصينها في تلك الجهات ، ويذكر الطبري ان عيسى بن محمد بن خالد عندما ثار على ابراهيم بن المهدي قبيل قدوم المأمون الى بغداد «أمر بحفر خندق بين باب الجسر وباب الشام»[11أ] مما يشير الى انه لم يكن في تلك المنطقة خندق ينتفع منه في الدفاع .

ويلاحظ ان ابن سيرابيون وصف بتفصيل دقيق خروج نهر كرخايا والانهار التي تأخذ منه وتجرى قريبا من المدينة المدورة [12] ، ولكنه لم يذكر نهرا يصب في الخندق ، ولم يشر الى الخندق او الى جسر عليه .

ان قلة تردد ذكر الخندق المحيط بالمدينة المدورة يدل على اندثاره من زمن مبكر ، ولعل هذا الاندثار راجع لقلة اهميته بعد تزايد السكان وكثافتهم، وخاصة في الاطراف الشمالية ، وربما كان في الأصل غير عميق ، وانه احدث من الحفر لاستخدام ترابها في عمل اللبن الذي كان يستعمل في البناء .

الاسوار :

تتفق المصادر على ان المنصور احاط مدينته المدورة باسوار ، غير انها اختلفت في عدد ووصف هذه الاسوار ، فروى الخطيب وابن الفقيه ان المنصور « عمل لها سورين وفصيلين بين كل بابين فصيلان ، والسور الداخل أطول من الخارج » [13] ، ويذكر الطبري ان المنصور عمل لها سورين ، فالسور الداخل اطول من السور الخارج ، «وبنى قصره في وسطها »[14] ، ومن الواضح ان كلمة « أطول » يقصد بها أكثر ارتفاعا .

غير ان بعض المصادر لم تذكر الا سورا واحدا للمدينة، فيقول الطبري في احدى رواياته « وقيل ان ابا جعفر لما امر بحفر الخندق وانشاء البناء

(11أ) الطبري ٣/١٠٣١ .
(١٢) سهراب ١٣٢ ـ ١٣٣ .
(١٣) الخطيب ١/٧٣ ، ابن الفقيه ٣٥ .
(١٤) الطبري ٣/٣٢١ .

واحكام الاساس ، أمر أن يجعل عرض السور من اسفله خمسين ذراعاً [١٥] •
ويقول اليعقوبي «ان المنصور جعل سورها باللبن العظام•• وجعل عرض أساس السور تسعين ذراعا بالسوداء• «ثم يقول» وحول السور فصيل عظيم جليل، بين حائط السور وحائط الفصيل مائة ذراع بالسوداء، وللفصيل ابرجة عظام، وعليه الشرافات المدورة ، وخارج الفصيل كما يدور مسناة •• » [١٦] ، وذكر وكيع « السور الاول سور الفصيل دون الخندق » [١٧] ويمكننا ان نستخلص من هذه النصوص ان السور الخارجي ، او الاول ، لم يكن مرتفعا ، ولم يكن مهما ، وانه هو الذي سماه اليعقوبي « حائط الفصيل » •

ويقول اليعقوبي « وحول السور فصيل جليل عظيم ، بين حائط السور وحائط الفصيل مائة ذراع بالسوداء ، وللفصيل أبرجة عظام ، وعليه الشرافات المدورة ، وخارج الفصيل كما يدور مسناة» [١٨] ويتبين من هذا ان اليعقوبي لم يصف حائط الفصيل الذي ذكرت المصادر الاخرى انه السور الاول •

ويقول ابن الفقيه انه بعد الخندق السور الذي خلف الفصيل وعرضه من اسفله ثمانية عشر ذراعا ، وعرض اعلاه ستة اذرع ، وجعل على ذراع منه مما يلي الخندق الشرافات ، فصار الباقي خمسة اذرع يمشي عليها الناس [١٩]، ان هذا الوصف يظهر ضعف هذا السور الذي يبلغ عرض اعلاه ستة اذرع بما فيها الشرافات •

اما الفصيل الذي بين السورين فيذكر وكيع ان عرضه ستون ذراعا [٢٠]

---

(١٥) الطبري ٣/٢٧٩ •
(١٦) البلدان ٢٣٩ •
(١٧) الخطيب ١/٧٤ •
(١٨) البلدان ٢٣٩ •
(١٩) ابن الفقيه ٣٥ •
(٢٠) الخطيب ١/٧٤ •

أما اليعقوبي فيقــول انــه « بين حائط الســور وحائط الفصيل مائــة ذراع بالسوداء » (٢١) .

يروى ابن الفقيه عن حماد التركي انه قال ان المنصور « امر ان لا يبنى انسان تحت السور شيئا من المنازل ، وامر ان يبنى في الفصــيل الثــاني مع السور المنازل لان ذلك احصن للسور » (٢٢) وقد روى الخطيب هذا النص بالصيغة التالية « وامر ان لا يسكن تحت السور الطويل الداخل احــد ، ولا يبني منزلا » (٢٣) ، ولاريب في ان كلا النصين غامضان لا يحددان مكان البناء المباح .

ذكرنا ان السور الداخل كان الأهم والأكثر ارتفاعا ، غــير ان المصادر ذكرت ارقاما مختلفة عن ابعاده : فقد ذكر وكيع « سمك ارتفاع هذا السور الداخل ، وهو سور المدينة ، في السماء ٣٥ ذراعا » وعرض السور من اسفله نحو عشرين ذراعا (٢٤) اي انه ذكر عرض قاعدته وارتفاعه ، ولم يذكر عرض اعلاه .

ويقول اليعقوبي ان المنصور جعل سورها باللبن العظام التي لم ير مثلها قط على ما ما وصفناه من مقدارها والطين ، وجعل عرض أساس السور تسعين ذراعا ثم ينحط حتى يصير في اعلاه على خمس وعشرين ذراعا ، وارتفاعه ستون ذراعا مع السور (٢٥) .

ويقول الطبري وابن الفقيه « قيل ان أبا جعفر لما أمر بحفر الخندق وانشاء البناء واحكام الأساس أمر أن يجعل عرض السور من أسفله خمســين ذراعاً

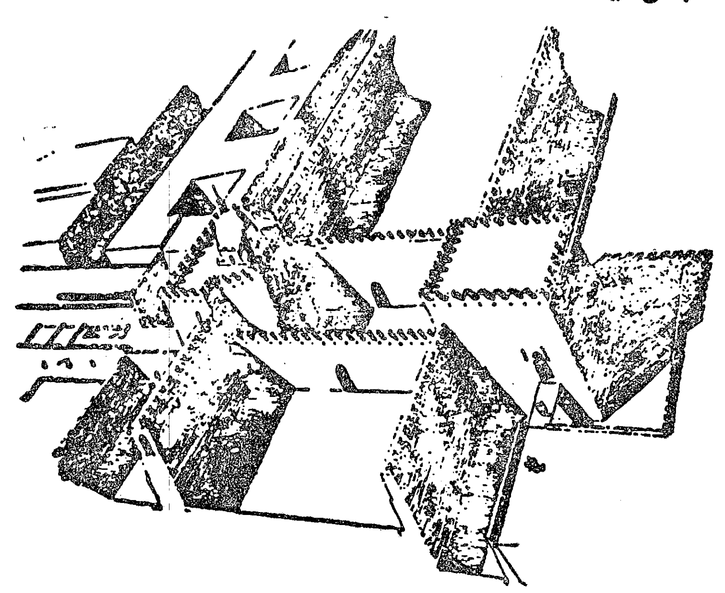
---

(٢١) البلدان ٢٣٩ .
(٢٢) ابــن الفقيه ٣٥ .
(٢٣) الخطيب ٧٣/١ .
(٢٤) كذلك ٧٤/١ .
(٢٥) البلدان ٢٣٩ .

وقدر أعلاه عشرين ذراعاً ، وجعل في البناء جوائز قصب مكان الخشب»(٢٦) .

ومما يعين على توضيح الأسوار وأبعادها ما ذكرته المصادر عن مداخل المدينة. فقد ذكر اليعقوبي أن أبا جعفر المنصور « جعل لأبواب المدينة أربعة دهاليز عظاماً ، آزاجا كلها ، طول كل دهليز ثمانون ذراعاً ، كلها معقودة بالآجر والجص فاذا دخل من الدهليز الذي على الفصيل وافى رحبه مفروشة بالصخر، ثم دهليز على السور الاعظم عليه بابا حديد جليلان عظيمان ، لا يغلق كل باب ولا يفتحه الا جماعة رجال . والابواب الاربعة كلها على ذلك .

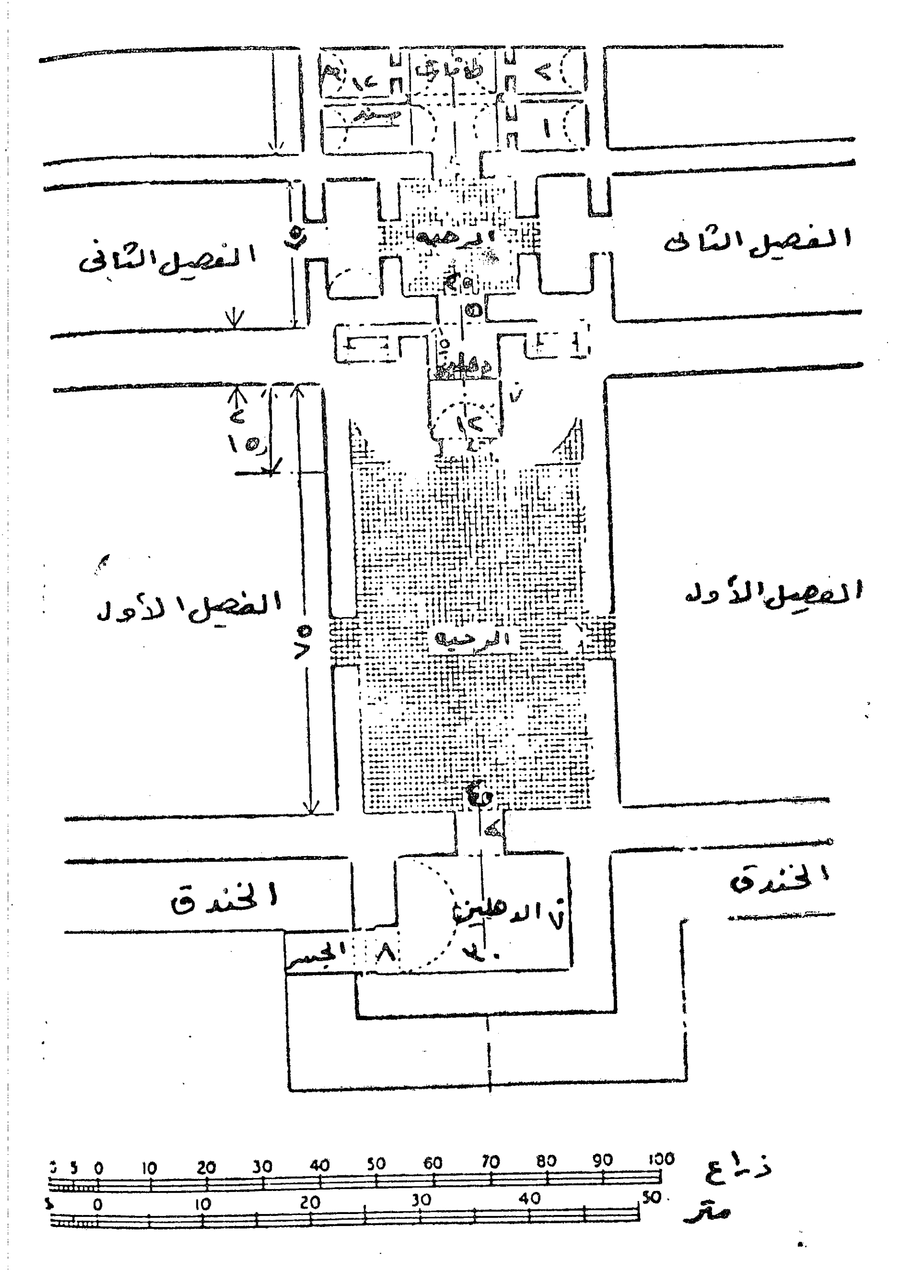
فاذا دخل من دهليز السور الاعظم سار في رحبـة الى طاقات معقودة بالاجر والجص فيها كو"ات رومية يدخل منها الشمس والضوء ولا يدخل منها



تصميم الابواب (برأي هرزفيلد ١١٧

---

(٢٦) الطبري ٢٧٩/٣ ابن الفقيه ٢٣ .



الابواب (برأي كريسويل ص ١٢)

المطر ، وفيها منازل الغلمان » (٢٧) ، ويقول أيضاً « وعلى كل سكة من طرفيها الابواب الوثيقة ، لا تتصل سكة منها بسور الرحبة التي فيها دار الخلافة ، لان حوالي سور الرحبة كما تدور الطرق » (٢٨) .

وقال الخطيب أن للمدينة أربعة أبواب « لكل باب منها بابان : باب دون باب ، بينهما دهليز ورحبة يدخل الى الفصيل الدائر بين السورين ، فالاول باب الفصيل ، والثاني باب المدينة .

فاذا دخل الداخل من باب خراسان الاول عطف على يساره في دهليزازج معقود بالاجر والجص عرضه عشرون ذراعا وطوله ثلاثون ذراعا ، المدخل اليه في عرضه والمخرج منه في طوله ، يخرج الى رحبة مادة الى الباب الثاني طولها ستون ذراعا وعرضها أربعون ذراعاً ، ولها في جنبتيها حائطان من الباب الاول الى الباب الثاني ، في صدر هذه الرحبة في طولها البابالثاني وهو باب المدينة، وعن يمينه وشماله في جنبتي هذه الرحبة بابان (الى الفصلين) ، فالأيمن يؤدي الى فصيل باب الشام ، والايسر يؤدي الى فصيل باب البصرة

.. ثم الباب الثاني وهو باب المدينة ، وعليه السور الكبير الذي وصفناه، فيدخل من الباب الكبير الى دهليز ازج معقود بالاجر والجص طوله عشرون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا .. ثم يدخل من الدهليز الثاني الى رحبة مربعة عشرون ذراعا في مثلها ، فعلى يمين الداخل اليها طريق ، وعلى يساره طريق ، يؤدي الايمن الى باب الشام والايسر الى باب البصرة ، والرحبة التي وصفنا ، ثم يدور هذا الفصيل على سائر الابواب بهذه الصورة ، وتشرع في هذا الفصيل أبواب السكك ، وهو فصيل ماد مع السور ، وعرض كل فصيل من هذه الفصلان من السور الى أفواه السكك خمسة وعشرون ذراعا .

---

(٢٧) البلدان ٢٣٩ .
(٢٨) البلدان ٢٤١ .

ثم يدخل من الرحبة التي وصفنا الى الطاقات ، وهي ثلاثة وخمسون طاقا سوى طاق المدخل ، المدخل اليها من هذه الرحبة ، وعليه باب ساج كبير فردين • وعرض الطاقات خمس عشرة ذراعا ، وطولها الى الرحبة التي بين هذه الطاقات والطاقات الصغرى مائتا ذراع ، وفي جنبتي الطاقات بين كل طاقين منها غـرف كانت للمرابطة وكذلك لسائر الابواب الباقية فعلى هذه الصفة سواء •

ثم يخرج من الطاقات الى رحبة مربعة عشرون ذراعا في عشرين ذراعا ، فعن يمينك طريق يؤدي الى نظيرتها «من باب الشام ، ثم تدور الى نظيرتهـا من باب الكوفة ، ثم الى نظيرتها باب البصرة »•

ثم نعود الى وصفنا لباب خراسان ، كل واحدة منهن نظيرة لصواحبتهـا وفي هذا الفصيل تشرع أبواب لبعض السكك ، وتجاهك الطاقات الصغرى التي تلي دهليز المدينة الذي منه يخرج الى الرحبـة الدائـرة حـول القصر والمسجد (٢٩) •

في نص اليعقوبي الذي أوردناه اعلاه بعض الغموض ، فهو يذكر ان المنصور «جعل لأبواب المدينة أربعة دهاليز عظاما » ، غير أنه يذكر أن الداخل الى المدينة من أي باب يمر بثلاثة دهاليز أحدها على الفصيل، والثاني على السور الأعظم ، والثالث عند سور الرحبة •

ثم أن اليعقوبي لم يذكر لمدينة المنصور الا « السور الأعظم » الذي عليه أحد الدهاليز ، أما الدهليزان الآخران فلم يذكر أنهما على سور، في حين أنـه يصعب تصور وجود دهليز على أرض مستوية • ويبدو أن الدهليز الأول كان

---

(٢٩) الخطيب ١/٧٤ ــ ٧٥ •

على سور أيضا ، ولكن اليعقوبي أغفل الاشارة اليه بسبب زواله في زمنه ، أو بسبب عيب في نسخة الكتاب ، أو أنه أغفل ذلك سهوا • ثم أنه ذكر أن طول الدهليز ثمانون ذراعا أيضا •

أما الخطيب فان التفاصيل الواسعة التي أوردها تتفق في بعض جزئياتها مع اليعقوبي ، ولكنها تختلف في جزئيات أخرى وفي مقاساتها •

١ ـ ذكر الخطيب أن الدهليز الأول عند الباب طوله ثلاثون ذراعا يخرج الى رحبة طولها ستون ذراعا • ومن الواضح أن الدهليز الأول يقع على السور الخارجي ، ولايمتد الى الفصيل كما يدعى اليعقوبي ، ولكن طوله مع طول الفصيل يبلغ ٩٠ ذراعا وهو قريب مما ذكر اليعقوبي •

٢ ـ ذكر الخطيب ان الدهليز الثاني يقع على السور الكبير وطوله عشرون ذراعا تتلوه رحبة مربعة ضلعها عشرون ذراعا ، وهي تختلف عما ذكره اليعقوبي •

٣ ـ ذكر الخطيب ان طول الطاقات مائتا ذراع ، تنتهي برحبة ضلعها عشرون ذراعا •

أما وسط المدينة فقد ذكر الخطيب «وتجاهك الطاقات الصغرى التي تلي دهليز المدينة الذي يخرج منه الى الرحبة الدائرة حول القصر والمسجد»[٣٠] • ولكنه لم يذكر سعة هذه الرحبة ، كما انه لم يشر الى وجود سور يخترقه الدهليز الذي يخرج اليها •

ويقول اليعقوبي متمما كلامه الذي ذكرناه من قبل « فاذا خرج الخارج

---

(٣٠) الخطيب ١/٧٦ •

من الطاقات خرج الى رحبة ، ثم الى دهليز عظيم ازج معقود بالاجر والجص ، عليه بابا حديد ، يخرج من الباب الى الرحبة العظمى ، وكذلك الطاقات الاربعة على مثال واحد .

وفي وسط الرحبة القصر الذي يسمى بابه الذهب ، والى جنب القصر المسجد الجامع ، وليس حول القصر بناء ولا دار ولا مسكن لأحد الا دار من ناحية باب الشام للحرس وسقيفة كبيرة .. وحول الرحبة كما تدور منازل أولاد المنصور الاصاغر ومن يقرب من خدمته من عبيده وبيت المال..»[٣١] .

ويلاحظ ان اليعقوبي يتفق مع الخطيب على وجود دهليز يؤدي الى الرحبة الداخلة التي فيها القصر والجامع ، ولكنه لايشير الى وجود سور حول الرحبة الداخلية ، رغم ان وجود الدهليز قد يدل على وجود سور ربما زال واختفت معالمه في زمن مبكر فنَسِيَه الناس. كما انالمصدرين لايذكران أبعاد هذه الرحبة التي لابد انها كانت واسعة ، لانها تضم القصر الذي طوله اربعمائة ذراع ، والجامع الملاصق له والذي طوله مائتا ذراع [٣٢] .

يقول الطبري «وكانت مقاصير جماعة من قوّاد ابي جعفر وكتّابه تشرع أبوابها الى رحبة المسجد .. فأمر (المنصور) الناس بتحويل أبوابهم الى فصلان الطاقات ، فكان لا يدخل الرحبة أحد الا ماشيا ، ولما أمر المنصور بسد الأبواب بما يلي الرحبة وفتحها الى الفصلان صيرت الأسواق في طاقات المدينة الاربعة ، في كل واحد سوق [٣٣]، ويظهر من هذا النص أن الرحبة كانت فيها أبواب ، ولم يكن عليها سور والا لم يكن يمكن للناس أن يجعلوا أبوابهم تشرع الى الرحبة .

---

(٣١) البلدان ٢٤٠ .
(٣٢) الخطيب ١٠٧/١ .
(٣٣) الطبري ٣٢٢/٣ .

يتبين من كلام الخطيب ان المسافة بين الباب الخارجي والدهليز الثالث الذي يؤدي الى الرحبة الداخلية تبلغ ٣٥٠ ذراعا ٠ أما الرحبة الداخلية ودهليزها فلم يذكر طولها الخطيب ولا غيره من المصادر ، ولعل طول الدهليز الداخلي كان يبلغ ٣٠ ــ ٢٠ ذراعا شأن الدهليزين الاخرين ، واما الرحبة فقد كان في داخلها القصر الذي طول ضلعه ٤٠٠ ذراع والمسجد الجامع الذي ضلعه مائتا ذراع ، أي ستمائة ذراع ، فلابد ان يكون قطر الرحبة أكثر من ذلك لتتسع لهذين البناءين الواسعين ، خاصة وان المهدي انشأ فيها ميدانا ٠

السور في العهود العباسية المتأخرة :

وردت في المصادر اشارات الى بقاء السور وأبوابه في الأزمنة المتأخرة فقد نقل الخطيب عن علي بن عبيد الزجاج الشاهد أنه في سنة ٣٠٧ «كسرت العامة الحبوس بمدينة المنصور ، فأفلت من كان فيها ، وكانت الأبواب الحديد التي في المدينة باقية ، فغلقت وتتبع أصحاب الشرط من أفلت من الحبوس ، فأخذوا جميعهم حتى لم يفلت منهم أحد »[٣٤] ٠ وقد ظلت الأبواب الحديد الى سنة ٣٥٠ التي فيها «قلع معز الدولة أبواب الحديد التي على باب البصرة »[٣٥] ؛ أما الابواب الاخرى فلم يرد في المصادر ذكر لمصيرها ٠

اما السور فان الخطيب يذكر ان «كثير بن هشام (ت ٢٠٧) نزل بغداد باب الكرخ في السور » [٣٦] ؛ ويذكر الصولى انه في سنة ٣٢٤ امر الوزير « من كان ينزل بسور المدينة ان ينتقل لتباع المنازل » [٣٧] ويذكر ابن الجوزي ان عبيدالله بن الحسن البزاز المعروف بابن حبابة (ت ٣٨٩) « ودفن في

(٣٤) الخطيب ٧٥/١ ــ ٦ ؛ المنتظم ١٥٣/٦ ٠
(٣٥) المنتظم ٢/٧ ؛ تكملة تاريخ الطبري ٢١٨ ٠
(٣٦) الخطيب ٤٨٣/١٢ ٠
(٣٧) الصولي : الاوراق ٧٦ ٠

تربة ملاصقة بسور باب البصرة مقابل جامع المنصور»[٣٨] ؛ ويذكر سبط ابن الجوزي انه في سنة ٥٩٠ « زادت دجلة ووصل الماء الى سور بغـداد العتيق الذي بناه المنصور »[٣٩] غير ان كل هذه المصادر تذكر سوراً واحداً وليس عدة اسوار •

الابعـاد والمسـاحة :

يتبين مما ذكرناه عن الاسوار ان المصادر قدمت معلومات متباينة عن عدد الاسوار والرحاب وابعادها ، ويمكن اجمالها كالآتي :

المصدر	الخندق	السور الاول	الفصيل الاول	السور الداخل	الفصيل	الطاقات	الرحبة
اليعقوبي	×	٨٠(الدهليز	١٠٠	٩٠	—	×	—
الطبري	×	٥٠	—	—	×	—	×
ابن الفقيه	٤٠	١٨	—	—	—	—	—
الخطيب	×	×	٦٠(الرحبة	٢٠(الدهليز			
	—	٣٠(الدهليز	٦٠	—	٢٥	٢٠٠	

ان هذه الاختلافات تدل على عدم اعتماد الرواة على القياسات الفعلية ، وقد تدل على زوال كثير من معالم الاسوار في أواخر القرن الثـالث الهجري وهي لا تيسر لنا معرفة دقيقة بقطر ومساحة المدينة المدورة •

ان هذا الاختلاف يمتد الى الروايات التي وصلتنا عن ابعـاد المدينـة ومساحتها ، فيروى الخطيب عن رباح البناء ان المسافة من باب خراسان الى باب

(٣٨) المنتظم ٢٠٧/٧ ، وذكر الخطيب : ان عبيدالله دفن في تربة عند بـاب البصرة (٣٧٧/١٠) دون ان يشير الى السور •

(٣٩) مرآة الزمان ٤٣٧/٨ •

الكوفة ثمانمائة ذراع ، ومن باب الشام الى باب البصرة ستمائة ذراع [٤٠] • ومن الواضح ان قلة هذه الارقام تباعدها عن المعقول ، حيث ان قطر القصر والجامع فقط يبلغ ستمائة ذراع •

ويروى عن وكيع ان قطرها من باب البصرة الى باب الكوفة الفا ذراع ومائتا ذراع ، ومن باب البصرة الى باب الشام الف ذراع ومائتا ذراع [٤١] • ان هذا النص يجعل المدينة بيضوية وليست مدورة الا اذا افترضنا ان النص خطأ وان بين باب البصرة وباب الشام الفا ذراع ومائتا ذراع •

فاذا افترضنا انالابعاد ١٢٠٠ × ١٢٠٠ فالمساحة ٠٠٠ر٤٤٠ر١ ذراع مربع
واذا كانت الابعاد ٢٢٠٠ × ٢٢٠٠ فالمساحة ٠٠٠ر٨٤٠ر٤ ذراع •

وينقل الخطيب عن محمد بن خلف عن يحيى بن الحسن بن عبدالخالق ان المنصور «خط المدينة ميل في ميل»[٤٢] ، والميل العربي يساوي ٤٠٠٠ ذراع أي ألفي متر •

وينقل عن رباح البناء انه « كان بين كل باب من ابواب المدينة الى الباب الاخر ميل » [٤٣] ، وهو يحتمل ان يكون محيطها الخارجي ٤ اميال او ان قطر ميل • ولما كان الميل العربي يساوي اربعة الاف ذراع بالسوداء فيكون قطرها أربعة الآف ذراع ، ومساحتها ٠٠٠ر٠٠٠ر١٦ ذراع أي مايساوي ٣/١٤١/٥٩٢ متر مربع •

ويقول اليعقوبي انه كان بين كل باب منها الى الاخر خمسة الاف ذراع بالسوداء من خارج الخندق [٤٤] فاذا اسقطنا عرض الخندق ومقداره اربعون

---

(٤٠) الخطيب ٧٢/١ .
(٤١) الخطيب ٧٣/١ .
(٤٢) الخطيب ٧١/١ .
(٤٣) الخطيب ٧١/١ .
(٤٤) البلدان ٢٤٠ .

ذراعا ، كان قطرها من الاسوار ٤٤٢٠ ذراعا ، وهو قريب من الرواية السابقة ٠

فتكون مساحتها الكلية ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٢ ذراع مربع ٠

ونقل الخطيب روايتين عن مساحتها الاجمالية ، فهو يروي عن احمد بن البربري ان « مدينة ابي جعفر ثلاثون ومائة جريب ، خنادقها وسورها ثلاثون جريبا » [٤٥] ، والجريب = ٦٠×٦٠ = ٣٦٠٠ ذراع وهو يساوي ١٥٩٢ مترا مربعا فتكون مساحتها الكلية ٣٦٠٠ × ١٣٠ = ٠٠٠ر٤٦٨ ذراعا أو ما يعادل ٢٠٦/٧٠٠م٢ ، فاذا اخرجنا منها الخنادق والسور ، فان المساحة للباقي = ٠٠٠ر٣٦٠ ذراعا مربعا ، أو ما يساوي ١٧٠/٢٠٠ م٢ ٠

وينقل الخطيب عن بدر غلام المعتضد « قال امير المؤمنين (المعتضد) انظروا كم هي مدينة ابي جعفر ، فنظرنا وحسبنا فاذا هي ميلين مكسرين» [٤٦] وبموجب هذه الرواية يقدر كرسويل مساحتها الكلية ٠٠٠ر٠٠٠ر٦٤ ذراع مربع ، أما هرزفيد فيرى ان المقصود هو ميلان مربعان وان مساحتها ٠٠٠ر٠٠٠ر٦ ذراع مربع [٤٧] ، وهي تساوي ٠٠٠ر٠٠٠ر٤ م٢ ٠



(٤٥) الخطيب ٦٩/١ ٠
(٤٦) الخطيب ٦٩/١ ،
(٤٧) انظر تقديرات هرزفيلد وكريسويل في : ليسنر : بغداد في العهود العباسية الاولى ص ٤٢ وقد اعتمدنا في تقدير الذراع والجريب وما يعادله بالأمتار على كتاب هينز : المكاييل والمقاييس الاسلامية ٠

الفصل السابع عشر

ابواب المدينة المدورة

لأبواب مدينة المنصور المدورة أهمية خاصة في تطورها العمراني ، فهي المنافذ الوحيدة لحصن محصور بالاسوار والخنادق ، مما يجعل حركة الناس فيها أوسع وأكثر نشاطا ، ثم ان اتصال الأبواب بالمدينة المـدورة من جهـة ، وبالارباض من جهة أخرى يكسب الحياة فيها خصائص تميزها عن كلا الطرفين . والواقع أن كلا من الأبواب الأربعة صار اسمه يطلق على المنطقة التي حوله من كلا طرفيه ، بحيث أن بعض المعالم التي تذكر المصادر وقوعها في بـاب ما لا يمكن التثبت من معرفة موقعها بدقة : هل كانت في داخل المدينة أم في خارجها .

والواقع انه منذ بداية تخطيط بغداد وبنائها كانت الابواب تتميز عمارتها باسلوب خاصها وصفه كل من اليعقوبي والخطيب .

تتفق المصادر على أن المدينة المدورة كانت لها أربعة أبواب ، أو مخارج هي: باب خراسان وباب الشام ، وباب الكوفة ، وباب البصرة ، وقد سمي كل باب باسم الاقليم او المدينة الرئيسة التي يقابلها . غير أنه مع كل من هذه المخارج كانت توجد أبواب على طرفي كل سور ، وعلى الدهاليز .

وتتفق المصادر على ان كل مخرج كان له بابان ، هما الداخل والخارج ، كما انها تتفق على ان كلا من هذين البابين كان « من حديد ، عظيمة جليلة لا يغلق الباب الواحد منها ولا يفتحه الا جماعة رجال » وأن هذه الأبواب كانت عالية بحيث أنه يدخلها الفـارس بالعلم ، وبالرمح الطويل من غير ان يميـل العلم ولا يثني الرمح وان كل باب فردان[1] .

---

(١) البلدان ٢٣٨ وانظر الخطيب ١/٧٥ .

وتتفق المصادر على ان المنصور وضع للمدينة المدورة ثمانية أبواب عظام، خمسة منها جلبها من واسط حيث كان الحجاج قد نقلها اليها من الزندورد ، وان كلا من هذه الابواب قديمة محكمة من حديد «لايمكن للناس اليوم عمل مثلها » .

غير ان المصادر تختلف في تعبيراتها عن مكان وضع كل من هذه الابواب

فالطبري يقول «وللمدينة ثمانية أبواب : أربعة داخلة واربعة خارجة»[٢] دون ان يحدد مكان كل من الابواب الداخلة او الخارجة ، وهذا ينطبق على ابن الفقيه الذي يقول «وللمدينة ثمانية ابواب : خمسة منها .. (من واسط) وهي الابواب الاربعة الداخلة من كل باب ، ومنها باب البصرة الخارج[٣] ».

ويقول اليعقوبي «وجعل لأبواب المدينة اربعة دهاليز عظاما آزاجا كلها.. ثم دهليز على السور الأعظم عليه بابا حديد جليلان عظيمان » ثم يكمل كلامه بالقول «... فاذا خرج الخارج من الطاقات خرج الى رحبة ثم الى دهليز عظيم ازج معقود بالاجر والجص ، عليه بابا حديد يخرج من الباب الى الرحبة العظمى ، وكذلك الطاقات الاربعة على مثال واحد»[٤] وفحوى كلامه ان الباب الاول على السور الاعظم ، والباب الثاني على السور المحيط بالرحبة الداخلة التي في وسطها قصر الخليفة وجامعه ، وهو يقول ان على كل دهليز بابين ، وهو قول معقول ، ولكنه يؤول الى وجود ٤ × ٤ = ١٦ بابا في المدينة، وهو مالم يقله مؤرخ ، أما اذا افترضنا انه يقصد من البابين بابا ذا فردين ، فان هذا يثير السؤال كيف يعقل ان يكون للدهليز باب واحد من جهة واحدة وتترك الاخرى مفتوحة ؟ ويلاحظ ان اليعقوبي يذكر دهليزا ثالثا عند مدخل المدينة ويقول انه على الفصيل ، ولايذكر سورا عليه [٥] .

(٢) الطبري ٣/٣٢١ .
(٣) ابن الفقيه ٤١ .
(٤) البلدان ٢٣٩ ــ ٢٤٠ .
(٥) البلدان ٢٣٩ .
(٦) الخطيب ١/٧٤ ، ابن الفقيه ٤١ .

أما الخطيب فيقول «وللمدينةأربعةأبواب : شرقي وغربي وشماليوجنوبي لكل باب منها بابان ، باب دون باب ، بينهما دهليز ورحبة يدخل الى الفصيل الدائر بين السورين فالأول باب الفصيل والثاني باب المدينة [٦] وهذا القول يظهر ان البابين كانا على طرفي الدهليز الذي تحت السور . وهو قول معقول، ولكنه يظهر ان الابواب كانت على سور واحد ، أما السور أو السوران الآخران فلم يكن عليهما أبواب ، وهو مايصعب قبوله .

تتفق المصادر ان الابواب الاربعة الداخلة كانت مما جلب من واسط[٧] التي وضع خامسها على باب البصرة الخارج[٨] ، أما الابواب الثلاثة الاخرى فقد جلب احدهما من الكوفة حيث كانت على قصر خالد بن عبدالله القسرى، وجلب الثاني من الشام فوضع على باب خراسان [٩] ، أما باب الشام الخارج فانه «عمل للمنصور ببغداد ، وهو اضعفها [١٠] ويضيف ابن حيان على هذه الاقوال : فمن الابواب الثمانية خمسة مما كان على مدينة الزندورد ... وهي الابواب الاربعة الداخلة من كل باب ، والخامس باب البصرة ، والسادس الخارج من باب خراسان من عمل الشام ، فهو من عمل الفراعنة ، وبابه الخارج من باب الكوفة عمله خالد بن عبدالله القسرى ، وباب الشام الخارج عمله المنصور فهو اضعفها [١١] ، فلما كانت الحرب أيام فتنة الحسن بن سهل قبل دخول المأمون الى بغداد فاحرق وسقط احد المصراعين وانصدع فضب من جانبه »[١٢] .

وكان اقفال هذه الابواب ضامنا لسد مخارج المدينة ، ففي سنة ٣٠٧

---

(٧) ابن الفقيه ٤١ ، الخطيب ٧٥/١ عن وكيع ، الطبري ٣٢١/٣ .
(٨) ابن الفقيه ٤١ وقد جاء في الطبري ان الباب الخامس وضع على باب القصر الخارج ٣٢١/٣ ولاريب في أن ذلك خطأ في النسخ .
(٩) ابن الفقيه ٤١ ، الطبري ٣٢١/٣ .
(١٠) الخطيب ٧٥/١ .
(١١) جذوة المقتبس ٣٠٨ .
(١٢) ابن الفقيه ٤١ .

كسرت العامة الحبوس بمدينة المنصور ، فأفلت من كان فيها ، وكانت أبواب الحديد باقية ، فغلقت ، وتتبع أصحـاب الشرطـة من افلت ، فلم يفلت منهم أحد »[13] •

وقد ظلت هذه الابواب الى سنة ٣٥٠ حيث قلعها معز الدولة ، كما قلـع الابواب التي على الرصافة ، ونقلها الى قصره بالشماسية [14] •

ويلاحظ ان مدينة المنصور كانت فيها مداخل (١) على الدهليز والسور الذي يتصل برحبة قصر الخليفة • (٢) على طرفي كل سور • (٣) بين الدهاليز والرحاب وبين الفصلان • (٤) على مداخل السكك وخارجها • وكل هـذه كانت تقتضي أبوابا عليها ، ولكن المصادر لم تشر الا الى الأبواب الثمـانية التي ذكرناهـا •

ان السور الخارجي والخندق اللذين كانا يحيطان مدينة المنصور المدورة جعلا هذه المدينة متميزة عما حولها ، وقد ظل السور والخندق قائما حـتى أواخر العصر العباسي وان لم يحتفظ بتماسكه وقوته وشكله في العهـود الاخيرة ، أما الابواب فكانت فتحات تصلها بما حولها وقد ذكرت المصـادر أبواب المدينة المدورة وبعض المعالم القريبة من كل باب ، غير انه من الصعب الجزم بموقع هذه المعالم ، وما اذا كانت داخل المدينة المدورة أو خارجهـا ، علما بان كثيرا من السكك القريبة منها لم يرد ذكرها في المصادر ، وان كثـيرا من الاقطاعات والمعالم العمرانية الاولى اختفى ذكرها في اخبار القرن الرابع الهجري وما بعـده •

---

(١٣) الخطيب ٧٥/١ المنتظم ١٥٣/٦ •

(١٤) المنتظم ٢/٧ تكملة تاريخ الطبري ٢١٨ •

فاما باب البصرة فقد ظل يتردد ذكره في الاخبار لما كان بينه وبين القنطرة الجديدة ودجلة خارج المدينة المدورة من معالم عمرانية بارزة ومزدهرة ثم أصبح اسمه يطلق منذ أواخر القرن الرابع الهجري على كل المدينة المدورة ، وان لم تشر المصادر الى الحدود الدقيقة التي كان يشملها باب البصرة في تلك الفترة المتأخرة ، ولذلك سنفرده بفصل خاص نربطه مع تطور أحوال المدينة المدورة .



الفصل الثامن عشر

باب البصرة وتطور مدينة المنصور

اصاب مدينة المنصور المدورة الضعف والانحطاط ، فيقول المقدسي (تـ ٣٩٠) « وكانت احسن شيء للمسلمين واجل بلد وفوق ما وصفنا حتى ضعف امر الخلفاء ، فاختلت وخسف اهلها . فأما المدينة فخراب ، والجامع فيها يعمر في الجمع ثم يتخللها بعد ذلك الخراب » (١) .

ويذكر هلال بن المحسّن (تـ ٤٤٦) « واما مابين باب البصرة والعتابيين والخلد وشارع دار الرقيق من الجانب الغربي فقد اندرس اندراسا كليا ، وصار الجامعان بالمدينة والرصافة في الصحراء بعد ان كانا وسط العمارة»(٢) .

ويذكر ابن الجوزي « الصحراء التي بين باب البصرة والحربية » (٣) .

ويلاحظ ان آخر قاض ولى قضاء مدينة المنصور هو محمد بن علي بن عبدالله بن الغريق الذي وليها سنة ٤٠٥(٤) ، أما القاضي التالي وهو محمد بن عبدالله بن احمد البيضاوي فلم تحدد سنة ولايته ولكنه بقي في القضاء الى سنة ٤٢٤ وكانت ولايته على « ربع الكرخ والفانب الغربي» ، وقد ظل

---

(١) احسن التقاسيم ١٢٠ .
(٢) مناقب بغداد ٣٣ .
(٣) المنتظم ٢٤٣/١٠ .
(٤) الخطيب ١٠٨/٣ المنتظم ٢٨٣/٨ الوافي بالوفيات ١٣٧/٤ (وهو يذكر انه ولى في سنة ٤٠٩) .

هذا التعبير مستعملا حتى زوال الخلافة العباسية ، ولم يرد ذكر تعيين قاض لمدينة المنصور [٥] .

كانت « مدينة المنصور » منذ بداية تأسيسها مدينة حكومية تأسست لتكون مركزا للخليفة وحرسه ودواوينه ، وكانت اسوارها تحد من توسعها وتبقيها متميزة عن غيرها . وقد افتقدت منذ بداية تأسيسها مظاهر الازدهار المادي ، فكانت خالية من الحدائق والبساتين ، لا تجرى فيها انهار ، وليس فيها برك ، وقد ادرك ابو جعفر ذلك فبنى قصر الخلد خارجها ليكون له مركز للترفيه والمتعة ، ولم يبن ابو جعفر لأولاده قصورا فيها ، ولم يقطع ابناء أسرته قطائع داخلها ، والواقع ان الخلفاء الذين اعقبوا ابا جعفر لم يقم منهم فيها سوى الرشيد في بعض سنى خلافته ، والأمين [٦] ، والراجح ان الدواوين لم تبق فيها ، وانما نقلت الى حيث كان يقيم الخلفاء .

ولاريب في ان سكانها الاولين ذوي السمة العسكرية كان لهم اثر في تقوية طابعها الجدي ، كما ان اخراج اهل السوق والتجار منها ونقلهم الى الكرخ في سنة ١٥٧ كان من العوامل التي قللت فيها النشاط الاقتصادي وما يرافقه من ثروة واعمار الى مناطق اخرى خارجها ، الامر الذي زاد من جمودها بالرغم من احتفاظها بمكانة محترمة .

ويدل قول المقدسي وهلال بن المحسن ، وكلاهما ممن كتب في اواخر القرن الرابع الهجري ، ان الانحلال الذي شاهداه واضحا ومثبتا قد حدث قبل زمنهم ، ولعله قد بدأ منذ نهاية الربع الاول للقرن الرابع الهجري ، حيث بدأ يعم الجانب الغربي كله ، وقد رافقه او كان سببه البثوق التي حدثت ، والفتن

---

(٥) انظر مقالنا عن « قضاة بغداد » مجلة المجمع العلمي العراقي مجلد ١٨ سنة ١٩٦٩ .

(٦) انظر مقالنا « منازل الخلفاء وقصورهم في بغداد » مجلة سومر م ١٧ سنة ١٩٧٢ .

التي تتابعت ، والاوبئة التي ازداد تكرارها ، وكان اثرها على المدينة المدورة اقوى منه على غيرها ، لانها كانت منذ البداية مدينة رسمية جامدة .

يقول ياقوت ان مدينة ابي جعفر التي بناها ببغداد « وهي باب البصرة اليوم في الجانب الغربي وما يقاربها » [٧] ، ويروى السمعاني عن ابي بكر محمد بن عبدالباقي الانصاري قوله « اذا جاوزت جامع المنصور فجميع ذلك يقال له الحربية » [٨] .

ومما يظهر ان المدينة المدورة اصبحت تسمى باب البصرة ، ما ورد في الخطيب عن بعض السكك المعروف موقعها في مدينة المنصور ، ولكن الخطيب ذكر انها في باب البصرة ، فقد ذكر ان محمد بن عبدالوهاب الدلال (ت ٤٣٧) (٢/٢٨٣) كان يسكن سكة النعيمية في باب البصرة [٩] ويحيى بن الحسن الانباري (ت ٤٤٥) كان يسكن سكة الخرقي في باب البصرة [١٠] .

ذكر ابو الوفا « باب البصرة ذات السكك البعيدة » [١١] ، وترجم الخطيب لرجال ذكر عن كل منهم انه كان يسكن بباب البصرة في بعض سككها، فممن ذكرهم القاضي محمد بن عمر الجعابي (ت ٣٥٠) كان «يسكن بعض سكك باب البصرة[١٢] واحمد بن عمر بن الغريق (ت ٤١١)[١٣] ومكي بن عبدالرزاق (ت ٤٢٢) [١٤] وكان كل منهما يسكن بباب البصرة في بعض سكك المدينة » .

وذكر الخطيب عددا من الرجال قال عن كل منهم انه كان يسكن بباب

---

(٧) معجم البلدان ٣/٦٧٥ .
(٨) الانساب ٤/١١١ (طبعة حيدراباد) ، ياقوت ٢/٢٣٤ .
(٩) الخطيب ٢/٢٨٣ .
(١٠) كذلك ١٤/٢٤١ ذيل طبقات الحنابلة ١/٢٠ .
(١١) مناقب بغداد ٢٧ .
(١٢) الخطيب ٣/٢٦ المنتظم ٧/٣٨ .
(١٣) كذلك ٤/٢١٤ .
(١٤) كذلك ١٣/١٢ .

البصرة : فممن ذكر عبدالعزيز بن محمد بن شبان (ت ٤١٥)[١٥] ، واحمد بن عيسى السلمي (ت ٤٢١) [١٦] ومحمد بن عبدالوهاب الدلال (ت ٤٣٧) [١٧]، والحسن بن محمد الخلال (ت ٤٣٩) [١٨] ، واحمد بن عبدالله بن البقال (ت ٤٤٠) [١٩] وعبدالغفار بن محمد الاموي (ت ٤٤٧) [٢٠] والحسين بن احمد القادسي (ت ٤٤٧) [٢١] وعمر بن احمد الهاشمي (ت ٤٥٣) [٢٢] والحسن بن عبدالودود الهاشمي (ولد ٣٨٠) [٢٣] .

ذكر الخطيب ان حبشون بن موسى الخلال (ت ٣٣١) كان يسكن باب البصرة [٢٤] ولما كان المصادر الكثيرة المؤلفة في هذه الفترة تذكر مدينة المنصور ، فالراجح انه كان يسكن قرب باب البصرة وليس في مدينة ابي جعفر بعد تبدل اسمها .

يتبين مما نقلناه اعلاه عن الخطيب ان تعبير « باب البصرة » اصبح شائع الاستعمال على مدينة المنصور منذ اوائل القرن الخامس الهجري ، ومن المؤكد انه لم يستعمل فجأة ولا كان تنفيذا لقرار رسمي محدد التاريخي ، وانما بدأ يسود تدريجيا خلال مدة من الزمن ربما تجاوزت اكثر من عقد كانت قبلة تمر بتدهور تدريجي عزز تجاهل اسمها . ويدل قوله ان الجعابي المتوفي في سنة ٣٥٥ كان يسكن باب البصرة [٢٥] ، ان هذا التعبير كان يطلق على مدينة

---

(١٥) كذلك ١٣/١٢ .
(١٦) كذلك ٤٦٧/١٠ .
(١٧) كذلك ٣٨٤/٢ .
(١٨) ٤٢٥/٧ المنتظم ١٣٢/٨ .
(١٩) ٢٣٩/٤ ، طبقات الحنابلة ١٨٩/٢ .
(٢٠) ١١٧/١١ المنتظم ١٦٨/٨ .
(٢١) ١٧/٨ .
(٢٢) ٢٧٦/١١ .
(٢٣) ٣٤٤/٧ .
(٢٤) الخطيب ٢٩٠/٨ المنتظم ٣٣٢/٦ .
(٢٥) الخطيب ٢١٤/٤ .

المنصور المدورة في هذا التاريخ ، اي انه بدأ يظهر ويتثبت عند الناس بين سنتي ٣٣٠ ــ ٣٥٠ . ويلاحظ ان اول قتال ذكره ابن الجوزي في الفتن الطائفية التي تكررت بين اهل الكرخ واهل باب البصرة نشب في سنة ٣٨٠ [٢٦] ، الامر الذي يؤيد ان باب البصرة صار يطلق على المدينة المدورة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري .

ذكرنا ان تعبير « باب البصرة » عم انتشاره منذ اواخر القرن الرابع الهجري ، فكان كتلة سكنية متميزة نشبت بين اهلها واهل الكرخ فتن متكررة وقتال ذكر منه ابن الجوزي تسعة عشر حدثا في كل من سنة ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٤ ، ٣٩٨ ، ٤٢٢ ، ٤٢٥ ، ٤٣٢ ، ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٥٨ ؛ ٤٦٥ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٦ [٢٧] .

وظلت « باب البصرة مأهولة، فذكر ابن الجوزي ممن كان يسكنها محمد ابن علي بن طراد الهاشمي (ت ٤٧١)[٢٨] ، وابنه طراد »[٢٩] .

وذكر ابن النجار ممن يسكنها عبدالواحد بن علي الدينوري (ت ٥٦١) و عبدالواحد الاسلي ، وعبدالواحد بن معلي (ت ٦٠١) وعبدالواحد بن نزار ابن عبدالواحد (ت ٦٣٤) وعبدالودود بن احمد (ت ٥٠٥) ، وعبدالوهاب بن احمد الصحنالي ، وعبدالوهاب بن منصور الزجاج ، وعبدالوهاب بن هبةالله (ت ٥٨٨) ، وعبدالواحد بن محمد بن عبدالسميع (ت ٤٧٩) وعبدالواحد بن علي بن عبدالواحد (ت ٥٦١) وعبدالوهاب بن هبةالله (ت ٥٨٨) ، وعبدالواحد

---

(٢٦) المنتظم ١٥٣/٧ .
(٢٧) ذكرها في المنتظم بالتتابع ١٥٣/٧ ، ١٦٣ ، ١٧٤ ، ٢٣٧ ج ٥٦/٨ ، ٧٨ ، ١٠٥ ؛ ١٢٧ ، ١٣٦٠/٣٢ ، ١٤٥ ، ١٥٤ ، ٢٠٤ ؛ ٣٨/٩ ، ١٦ ، ٤٣ ، ٧٧
(٢٨) المنتظم ٣٤٢/٨ .
(٢٩) المنتظم ١٠٦/٩ .

ابن سنان بن عبدالواحد (ت ٦٣٤) ، وعثمان بن محمد الدقاق[٣٠] .

وذكر ابن الدبيثي ممن سكنها ممن اسمه محمد ، كلاً من ابن المطروح ، وابن حفصة ، وابو الفتح الجزار، وابن اكمل الهاشمي، وابن الشنكاني،ومحمد ابن عبدالمتكبر الهاشمي، ومحمد بن عبدالودود الهاشمي، وابن المزارع [٣١].

وذكر المنذري ممن سكنها درة بنت عثمان ، وابن اخي الجويصر ، وابو حفص المروزي ، وابن الشنكاني[٣٢] ، كما ذكر مقبرة باب البصرة في عشرة مواضع من كتابه ، وسمى من دفن فيها [٣٣] .

وذكر في الجزء الثاني كلاً من محمد بن عبدالمتكبر الهاشمي، ومحمد بن عبدالودود الهاشمي ، وابن المزارع ، علما بأنه ذكر ايضا مقبرة جامع المنصور، فكأن المقبرتين متمايزتان ، ولعل هذه المقبرة هي امتداد لمقبرة باب الكوفة ، لانه لم تذكر في باب البصرة مقبرة في العهود الاولى .

لقد ذكرنا من قبل قول المقدسي ان مدينة المنصور كانت في زمنه خرابا، وان الجامع فيها يعمر في الجمع ثم يتخللها بعد ذلك الخراب ، كما ذكرنا قول هلال بن المحسن ان جامع المدينة صار في الصحراء ، وان مابين باب البصرة والعتابيين والخلد وشارع دار الرقيق من الجانب الغربي فقد اندرس اندراسا كليا .

ولاريب في ان الخراب الذي يشيران اليه انما هو خلوها من السكان ،

---

(٣٠) ورد ذكرهم في ذيل تاريخ بغداد في الصفحات التاليـة بالتتابع ج١ ص ١٤٦ ، ١٧٣ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ٢٣٨ ، ٢٤٤ ، ٢٦٩ ، ٢٦٥ ، ٢٤٤ ، ٢٩٧ .

(٣١) ورد ذكرهم بالتتابع ج ١ ص ٩٨ ، ١٠١ ، ١٢٤ ، ١٨٠ ، ٢١٧ ج٢/٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٩ ج ٢/٢٣٢ .

(٣٢) التكملة رقم ١٠٣٥ ، ١١٣٤ ، ١٨٢٨ ، ٢٣١ .

(٣٣) التكملة رقم ٤٣٣ ، ٤٤١ ، ١٤١٨ ، ١٤٢٠ ، ٢٠٥٥ ، ٢٠٦٤ ، ٢٣٩٩ ، ٢٧١٩ ، ٢٨٠٧ ، ٢٨٤٠ .

وليس تدمر معالمها فقد ذكرنا ان معالم السكك فيها ظلت باقية ومميزة لها ، كما ان قول هلال بن المحسن ان جامع المدينة صار في الصحراء ، انما هو قول فيه مبالغة لوجود رباط الزوزني قرب الجامع وكان مركز حياة نشطة .

والواقع ان تسمية المدينة المدورة «باب البصرة» يدل على ان أطرافها الجنوبية ظلت عامرة مزدهرة ، ويلاحظ ان هذه المنطقة كان يحدها جنوبا نهر الصراة القريب من سور المدينة ، والذي كان يأخذ ماءه من اعلى نهر عيسى ، مما يجعل الماء فيه متوفرا اكثر مما في الانهار الاخرى التي تأخذ من نهر عيسى بعد الصراة ، كما ان عددا من السكك القريبة من باب البصرة ظلت مسكونة حتى القرن الرابع الهجري .

السكك والمحلات

ومن ابرز سمات مدينة المنصور المدورة هي السكك التي كانت فيها ، وقد ظلت هذه المدينة تحتفظ بهذه السمة حتى في العهود المتأخرة التي انحطت فيها وغلب عليها اسم « باب البصرة » ، وقد اشار ابو الوفا الى « باب البصرة ذات السكك البعيدة» [٣٤] وذكر الخطيب عددا ممن كان يسكن «بعض سكك باب البصرة » ، وممن ذكرهم محمد بن عمر الجعابي (ت ٣٥٥) [٣٥] ، واحمد ابن عمر الغريق (ت ٤١١)[٣٦] ومكي بن عبدالرزاق (ت ٤٢٢)[٣٧] والحسين ابن احمد الفارسي (ت ٤٤٧)[٣٨] ، وذكر ايضا ان ابراهيم بن محمد الدمشقي (ت ٤٠١) دفن في مقبرة جامع المنصور قريبا من السكك [٣٩] .

ذكرنا ان السكك كانت أبرز ما يميز مدينة المنصور المدورة التي

---

(٣٤) مناقب بغداد ٢٧ .
(٣٥) الخطيب٣/٢٦ .
(٣٦) الخطيب ٤/٢٩٤ .
(٣٧) الخطيب ١٣/١٢١ .
(٨٣) الخطيب ٨/١٧ .
(٣٩) الخطيب ٤/٣٧٦ .

اصبحت تسمى في العهود العباسية المتأخرة « باب البصرة » ، الا انه لم يذكر من سككها ومحالها سوى سكة الخرقي وسكة النعيمية اللتين تحدثنا عنهما سابقا ، والمحلة العمرية .

فأما سكة الخرقي فقد ذكر الخطيب اثنين ممن سكناها في القرن الخامس الهجري وهما احمد بن محمد البرقاني (ت ٤٢٥) (٤٠) ويحيى بن الحسن الدوسي (ت ٤٤٥) (٤١) وقد اقام فيها عبدالخالق بن عيسى الهاشمي وشيد لنفسه مسجدا فيها (٤٢) وكانت هذه السكة معروفة في القرن السادس الهجري حيث ذكر ابن الجوزي ممن يسكنها اسعد بن عبدالله (ت ٥٤٥) (٤٣) ، ثم اختفى ذكرها من المصادر في السنين التالية ، مما يدل على زوالها أو تناقص أهميتها .

أما النعيمية فقد ذكر المنذري ان ابا عبدالله الطحان النعيمي كان يسكن النعيمية محلة بباب البصرة (٤٤) .

اما المحلة العمرية فقد ذكر ياقوت انها « محلة من محال باب البصرة ، منسوبة الى رجل اسمه عمر ، لا اعرفه ، ينسب اليها محمد ابو الكرم وابو الحسن عبدالرحمن ابنا احمد بن محمد العمري ، كان ابو الحسن قاضيا شاهدا ، روى الحديث ، وسمع ابو الكرم ابا القاسم هبةالله بن الحصين وغيره، وابنه ابو الحارث علي بن محمد العمري ، سمع الحديث ورواه (٤٥) . وذكر ابن الدبيثي محمد بن احمد بن محمد العمري « نسبة للعمرية ، وهي

---

(٤٠) الخطيب ٣٧٦/٤، المنتظم ٨٠/٨ ؛ ويذكر الخطيب في هذا النص « مقبرة الجامع مما يلي سكة الخرقي » .

(٤١) الخطيب ٢٤١/١٤ .

(٤٢) ذيل طبقات الحنابلة ١٦ طبعة الفقي .

(٤٣) المنتظم ١٢٧/١٠ .

(٤٤) المنذري ٢٣١/١ .

(٤٥) ياقوت ٧٢٦/٣ وانظر ايضا المنذري ١٨٩٤ .

محلة بباب البصرة»[٤٦]، ويلاحظ ان ياقوتا لم يذكر مصدره فيما ذكره ، كما انه لم يذكر وفاة من ذكرهم ، وكذلك اغفل ابن الدبيثي ذكر وفاة محمد ، كما ان السمعاني وابن الاثير لم يذكرا العمرية ، مما قد يدل على زوالها أو تناقص اهميتها في القرن السابع الهجري .

وفي باب البصرة بنى الوزير ابن هبيرة مدرسة سميت باسمه [٤٧] وقد كمل بناء هذه المدرسة سنة ٥٧٧ ورتب فيها ابن هبيرة « القراء ودرس بها ابو الحسن البراندسي الحنبلي، ثم خربت بعد الوزارة وذهبت أوقافها»[٤٨] وقد دفن في هذه المدرسة الوزير ابن هبيرة [٤٩] ، وابنه [٥٠] .

غير ان ابرز المعالم التي بقيت في باب البصرة هي القبة الخضراء وقد تحدثنا عنها سابقا [٥١] ، وجامع المنصور ، ورباط الزوزني والمقبرة .

الجامع والمقبرة

ظل المسجد الجامع في مدينة المنصور يسمى جامع المنصور احيانا ، ويسميه جامع المدينة ، كما ان المقبرة التي كانت بقربه كانت تسمى في كثير من النصوص مقبرة جامع المدينة .

فاما جامع المدينة فقد ذكر في الخطيب ج١ ص ٤٧ ، ٢٤٤ ، ٣١٥ ، ٣٥١ ، ٣٦٣ ، ٣٩٠ ، ج ٢ ص ٢٤٤ ، ٣٤٩ ، ٣٦٢ ، ج ٣ ص ١١٩ ، ج ٤ ص ٣٧ ، ٥٥ ، ١١١ ، ٢١٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٦١ ، ٣٠٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣ ، ج٥ ص ١٢٥ ، ج ٦ ص ٢٠ ج ٧ ص ٢٢٠ ، ٢٣٦ ، ٣٦٣ ، ٤٢٥ ، ج ٨ ص ١٩ ، ٢٤٩ ، ج ٩

---

(٤٦) ابن الدبيثي ١٢٦/١ وانظر تعليق الناشر الدكتور بشار عواد .
(٤٧) المنتظم ٢١٧/١٠ ابن الاثير ٣٩/١١ .
(٤٨) مرآة الزمان ٢٤١/٨ .
(٤٩) المنتظم ٢١٧/١٠ .
(٥٠) المنذري ١١٧١ .
(٥١) انظر ص ٢٥٧ .

ص ٣٥٢ ، ٤١١ ، ج ١١ ص ٥٨ ، ٨٠ ، ج ١٢ ص ١٠٣ ، ١٢٣ ، ج ١٣ ص٥٨ ، ١٧٠ ج ١٤ ص ٧٨ ، ٣٩٣ ، ٤٠٥ ، كما ذكر في المنتظم ج ٥ ص ٦٨/٧٥ ج٦/١٧٢ ، ج ٧ ص ١٧١ ، ٢٢٣ ، ج ٨ ص ٥ ، ١٠ ، ٢٧٤ .

اما مقبرة جامع المدينة فقد ورد ذكرها الخطيب ج ٢ ص ٣٣٨ ، ج ٣ ص ٣٠١ ، ج ٤ ص ١١١ ، ١٢٦ ، ٢٩٤ ، ج ٥ ص ١٢٥ ، ج ٧ ص ٤٢٥ ، ج١١ ص ١٤٠ ، ٣٣٤ .

وورد ذكرها في المنتظم ج ٧ ص ١٧١ ، ٢٧٩ ، ج ٨ ص ٢٧٤ ، ٢٩١ ، ٢٩٧ ، ٣٣٣ ، ١٨٧ ، ج ٩ ص ٥٢ ، ٣٢ ، كما ذكرها ابن الدبيثي في عدة أماكن من كتابه (١/٨١/١٠٠/١٤٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٤٦ .

وذكر المنذري اسماء خمسة وعشرين ممن دفنوا فيها [٥٢] .

ان اول ذكر للدفن عند جامع المنصور ورد عند الخطيب في سنة ٣٨٩ حيث ذكر ان عبدالله بن محمد بن حبابة البزاز المتوفي في تلك السنة « دفن في تربة عند جامع المنصور»[٥٣] ، وهذا النص يظهر ان التربة كانت قائمة زمن الدفن ويشعر بانها كانت موجودة قبل ذلك التاريخ .

ويذكر الخطيب ان محمد بن عمر الوكيل (ت ٣٩٦) « دفن بباب الجامع » [٥٤] وان عبدالله بن احمد الكاتب (ت ٤٠١) دفن « وراء الجامع بمدينة المنصور [٥٥] غير انه يقول في ترجمته لابراهيم بن محمد الدمشقي (ت ٤٠١) انه « دفن في مقبرة الجامع قريبا من السكك »[٥٦] ، ويدل هذا النص الاخير على ان التربة التي عند الجامع اصبحت كبيرة ، واصبحت تسمى

---

(٥٢) انظر فهرست كتاب المنذري .
(٥٣) الخطيب ٣٧٧/١٠ .
(٥٤) كذلك ٣٦/٣ .
(٥٥) كذلك ٣٨٠/١٠ .
(٥٦) كذلك ١٧٣/٦ .

« مقبرة الجامع » والواقع انه منذ ذلك التاريخ اصبح يتكرر ذكر « مقبرة جامع المنصور » او « مقبرة جامع المدينة » •

وفي الخطيب اشارات تساعد على تحديد موقع المقبرة وتدل على انها تقع في الجهة الجنوبية من الجامع • فقد ذكر الخطيب ان عبدالله بن احمد الكاتب (تـ ٤٠١) « دفن وراء الجامع بمدينة المنصور » [٥٧] ، ولما كان باب الجامع يواجه باب خراسان الواقع في الجهة الشمالية الشرقية ، فيكون مؤخر الجامع مواجها للجنوب ، وتكون هذه الجهة التي تقع فيها المقبرة ويذكر ابن النجار ان عبدالودود الهاشمي « دفن في مقبرة جامع المنصور وراء القبلة عند ابيه وجده»[٥٧أ] ثم ان الخطيب يقول ان ابراهيم بن محمد الدمشقي (تـ ٤٠١) «دفن في مقبرة الجامع قريبا من السكك »[٥٨] اي ان المقبرة كانت عند المنطقة المعمورة من مدينة المنصور وهي التي قرب باب البصرة ، ولذلك اصبحت المدينة تسمى في العهود الاخيرة باب البصرة •

ويلاحظ ان الخطيب قال ان عبدالله بن محمد بن حبابة « دفن في تربة عند جامع المنصور»[٥٩] أما ابن الجوزي فيقول ان ابن حبابة « دفن في تربة ملاصقة بباب البصرة مقابل جامع المنصور» [٦٠] ويلاحظ ان النصين متكاملان، وان هذه التربة التي صارت تسمى فيما بعد مقبرة الجامع ، كانت ملاصقة لباب البصرة مقابل جامع المنصور •

كما ان مقبرة الجامع كانت « بقرب القبة الخضراء » [٦١] التي كانت في صدر مجلس قصر ابي جعفر ، اي في جهته الجنوبية •

اطلق الخطيب على هذه المقبرة ثلاث تسميات هي (١) مقبرة الجامع[٦٢]

---

(٥٧) الخطيب ٣٨٠/١٠ •

(٥٧أ) ابن النجار ١٨٦/١ •

(٥٨) الخطيب ١٧٣/٦ •

(٥٩) الخطيب ٣٧٧/١٠ •

(٦٠) المنتظم ٢٠٧/٧ •

(٦١) الخطيب ١٤٠/١١ •

(٦٢) كذلك ٣٧٦/٤ ؛ ١٧٣/٦ •

(٢) مقبرة جامع المنصور [٦٣] (٣) مقبرة جامع المدينة [٦٤] .

اما ابن الجوزي فقد اطلق عليها « مقبرة جامع المدينة » .

ووردت عند ابن الدبيثي باسم « مقبرة جامع المنصور » .

رباط الزوزني

وكان مقابل جامع المنصور يقع رباط الزوزني الذي بنى لابي الحسن علي ابن ابراهيم الحصري (تـ ٣٧١) [٦٥] ، وكان شيخ الصوفية في زمنه ، ويذكر ابن الجوزي « وبلغني انه كبر سنه فصعب عليه المجيء الى الجامع ، فبنى له الرباط المقابل لجامع المنصور » [٦٦] ولعله هو الرباط الذي ذكر الخطيب انه كان عند جامع المنصور ، وانه سمع فيه من المالينى [٦٧] .

وقد نسب الرباط الى ابي الحسن علي بن محمود بن ابراهيم الزوزني (٣٦٦ ــ ٤٥١) [٦٨] وهو من كبار صوفية بغداد ، وينقل ابن الجوزي عن الزوزني انه « كان يقول صحبت الف شيخ احدهم الحصري ، احفظ عن كل شيخ حكاية » [٦٩] غير اننا نشك في هذا القول ، لان الزوزني كان عمره خمس سنوات عند وفاة الحصري ، وهي سن لا تسمح بالصحبة [٧٠] .

---

(٦٣) كذلك ٣ / ٣٠١ ، ٣٣٦ ؛ ٤ / ٣٧٦ ، ٧ / ٣٠٥ ؛ ١١/٣١٤ ، ٣٤٣ ؛ ٣٣٤/١٣ .

(٦٤) كذلك ٣٣٨/٢ ؛ ١١١/٤ ؛ ٤٢٥/٧ ؛ ١٤٠/١١ .

(٦٥) المنتظم ١١١/٧ الانساب للسمعاني ١٧٢/٤ ــ ٣ طبعة حيدر اباد .
وقد ترجم الخطيب للحصري (٣٤٠/١١ ــ ١ غير انه لم يشر الى رباطه

(٦٦) المنتظم ١١١/٧ .

(٦٧) الخطيب ٣٧٢/٤ .

(٦٨) المنتظم ١١١/٧ ؛ ٢١٤/٨ ؛ الانساب ٣٤٤/٦ طبعة الهند ، مرآة الزمان ١٨٠/٨ .

(٦٩) المنتظم ٢١٤/٨ .

(٧٠) ترجم الخطيب للزوزني (١١٥/١٢) ولكنه لم يشر الى صحبته للحصري.

كان رباط الزوزني مقابل جامع المنصور [٧١] وذكر السمعاني ان رباط الزوزني هو « الرباط الذي على باب جامع المنصور » [٧٢] ولما كان باب الجامع في الجهة الشمالية الشرقية ، فيكون موقع الرباط في الجهة الشمالية الشرقية من الجامع .

لم يكن الرباط ملتصقا بالجامع ، وانما كانت بينهما فسحة كان من عادة الصوفية ان يقيموا فيها مأدبة للطعام اذا مات رجل منهم [٧٣] .

وتقع قرب رباط الزوزني مقبرة الرباط [٧٤] ، وتسمى ايضا مقبرة الصوفية [٧٥] ، وبلصقها التربة التي دفن فيها عبدالله بن هبةالله بن رئيس الرؤساء [٧٦] ، وهذه المقبرة مقابل جامع المنصور [٧٧] ومحاذية للجامع [٧٨] .

اول من ذكر دفنه قرب الرباط هو محمد بن علي الزوزني (ت ٤٧٢) [٧٩] ، ثم احمد بن محمود الزوزني (ت ٥٣٦) [٨٠] ، غير ان اول ذكر « للمقبرة » يرجع الى سنة ٥٥٠ التي توفى فيها حمد بن محمد ودفن في « مقبرة الرباط جامع المنصور » [٨١] ثم يتتابع منذ ذلك التاريخ ذكر الدفن في المقبرة ، وهذا

---

(٧١) المنتظم ٣٢٥/٨ ، ١٣٦/١٠ ـ ١٢٩ ، ١٥٥ ، ١٦٠ ، ٢٢٤ طبقات الحنابلة ٢١٩/٢ ابن الدبيثي ١٤٦/٦٥ ، ٢٧٣ ، ٣٨٠ ، ٣٩٧ .

(٧٢) الانساب ١٧٢/٤ . ويذكر سبط ابن الجوزي انه « حذاء جامع المنصور » مرآة الزمان ١٨٠/٨ .

(٧٣) المنتظم ٣٧/١٠ مرآة الزمان ١٤٩/٨ .

(٧٤) المنتظم ١٦٢/١٠ ، ٢٨٠ ابن الدبيثي ٦/٢ .

(٧٥) الجامع المختصر ٣٢ ابن الدبيثي ١٤٦/٢ .

(٧٦) المنتظم ١٥٩/١٠ .

(٧٧) المنتظم ١٦٢/١٠ ، ابن الدبيثي ٢٧٣/٢ ، ٣٩٧ ؛ طبقات الحنابلة ٢١٩/٢ ؛ مرآة الزمان ١٤٩/٨ المنصور ، انظر ايضا المنتظم ٩٨/١٠ .

(٧٨) ابن الدبيثي ٢١١/٢ ؛ المنتظم ٢٨/١٠ مرآة الزمان ١٨٠/٨ .

(٧٩) المنتظم ٦٢٥/٨ . (٨٠) كذلك ١٩٨/١٠ .

(٨١) المنتظم ١٦٢/١٠ ويلاحظ ان ابن الدبيثي ذكر مقبرة باب البصرة عند رباط الزوزني المخطوط ١٧٨/٣ .

يدل على ان الدفن في رقعة المقبرة بدأ مبكرا منذ سنة ٤٧٢ او ربما قبل ذلك ، ولكن لم يطلق على هذه المدافن اسم «مقبرة» الا منذ منتصف القرن السادس.

وممن وجدت اسماءهم من شيوخ رباط الزوزني ابو القاسم عبدالله بن عبدالرحمن الفارسي[٨٢] (ت ٥٢٦) [٨٣] ، وكامل بن سالم التكريتي (ت ٥٤٨) [٨٤] ، وعبدالله بن محمد بن عبدالله المصري (ت ٥٩١) [٨٥] ، وعمر ابن احمد بن سالم (ت ٦٠٢)[٨٦] وابو جعفر عمر بن ابراهيم بن عثمان (ت٦٠٢)، وناب عنه مدة اخوه ابن التركي [٨٧] ، وعبدالرحمن بن علي بن التامرايا [٨٨] ، وشهاب الدين عمر السهروردي (ت ٦٣٢) ، وقد صرف عن مشيخته وجعل بعده عبدالرحمن بن علي ابن التانرايا « شيخا للرباط المذكور وينظر في اوقافه » [٨٩] .

وممن أقام برباط الزوزني ابو الحسن الهكاري (ت ٤٨٦)[٩٠] وابراهيم ابن علي[٩١] ، ومحمد بن الحسين الصوفي ابن اخت كامل بن الحسين [٩٢] ومحمد بن عبدالله بن عبدالمجيد (ت ٥٤٣) [٩٣] ومحمد بن علوان الحوطي[٩٤]، وموجود بن عبدالله الخراساني [٩٥] ، وعمر بن محمد الفرغاني [٩٦] والحسن ابن عبدالرحمن الصوفي[٩٧] ، واحمد بن ابراهيم الفيروزابادي (ت ٥٢٩)[٩٨].

---

(٨٢) ابن الدبيثي ٢١١ .
(٨٣) ابن الدبيثي ٢٢٠ ويقول ابن الاثير انه توفى سنة ٥٧٥ (الكامل ١١/٤٦١).
(٨٤) المنتظم ١٠/١٥٥ ، الانساب للسمعاني ٣/٦٤ (طبعة حيدراباد) .
(٨٥) ابن الدبيثي ٢٤٠ ، المنذري رقم ٢٩٠ ، ١٣٠٣ .
(٨٦) المنتظم ١٠/١٥٥ .
(٨٧) ابن الدبيثي ٧٥ .
(٨٨) المنذري ٢٢٤٧ .
(٨٩) الجامع المختصر ٧٤ .
(٩٠) المنتظم ١٠/٧٩ .
(٩١) المنتظم ٩/٢٠٧ .
(٩٢) ابن الدبيثي ١٥٥ .
(٩٣) ابن الدبيثي ٢١١ ، ٢٤٠ .
(٩٤) ابن الدبيثي ٣٩٧ .
(٩٥) ابن الدبيثي ٣٩٧ . الجامع المختصر ١٣٩ .
(٩٦) الحوادث الجامعة ٧٥ .
(٩٧) الجامع المختصر ٣٢ .
(٩٨) المنتظم ١٠/٤٩ مرآة الزمان ٨/١٤٩ .

ظل رباط الزوزني قائما حتى سنة ٦٥٤ حيث هدمه الفيضان العارم الذي حدث في تلك السنة (٩٩) ، ولانعلم عن تاريخه بعد ذلك .

ولابد ان الاضطرابات التي رافقت الفتن الطائفية كان لها تأثير سيء على اعمار باب البصرة ، وان كان من المحتمل ادت الى تكتل اهلها وزيادة تماسكهم على اسس طائفية ومما زاد في تدهورها الاوبئة التي اجتاحت بغداد وافنت عددا من أهلها وقد ذكر ابن الجوزي بصراحة ان الطاعون في سنة ٤٧٨ « أفنى عامة أهل باب البصرة » (١٠٠) .

ويذكر ابن الجوزي «كانت الشرطة قد تركت من الجانب الغربي لاستيلاء العيارين عليه ، وكانت الشحن تعجز عن العيارين فلا يقع بايديهم الا الضعفاء، فيأخذون منهم ويحرقون بيوتهم ، فرد الى النقيبين ، الى ابي القاسم باب البصرة» كما أحرق عددا من المحلات الاخرى والى الرضا الكرخ ورواضعه ، فانكف الشر (١٠١) ، وقد ظل النقيب يتولى امرها الى سنة ٥٣٨ حيث فوض فيها « الى حاجب الباب النظر في محلة باب البصرة ، فرتب فيها اصحابه، وانما كان أمر هذه المحلة الى النقيب » (١٠٢) .

وفي سنة ٥٩٧ وثب اهل باب البصرة على حامي محلتهم فقتلوه وقتلوا اربعة معه (١٠٣) .

ومن المحتمل ان محلة باب البصرة امتدت الى باب الكوفة وشملت المقبرة المنسوبة الى هذا الباب ، اذ لم تذكر المصادر من دفن فيها بعد منتصف القرن الرابع .

---

(٩٩) الجامع المختصر ٣١٨ ، ويلاحظ انه في سنة ٦٤٦ حدث فيضان و « دخل الماء الجامع وهدم رباط الزوزني » . الجامع المختصر ٢٣٣ .
(١٠٠) المنتظم ١٥/٩ .
(١٠١) المنتظم ١٣٧/٩ .
(١٠٢) المنتظم ٢٠٦/١٠ .
(١٠٣) الجامع المختصر ٤٦ .

الفصل التاسع عشر

باب الكوفة وباب الشام

بـاب الكوفـة :

أصبح « باب الكوفة » يطلق على منطقة سكنية تردد ذكرها في المصادر فذكر الخطيب ممن كان يسكن باب الكوفة كلا من عمرو بن هارون البلخي (ت ١٩٤) (١٥) وأحمد بن الحارث الخزاز (ت ٢٥٨) (١٦) .

ومن ابرز المعالم العمرانية التي ذكرت مقترنة بباب الكوفة هو شـارع المنار ، فذكر الخطيب عن وكيع ان «اقطاع المسيب بن زهير كان في شارع باب الكوفة مابين حد دار الكندي الى حـد سويقـة عبدالوهـاب الى داخـل المقابر (١٧) ؛ وقد ذكر «شارع باب الكوفة» عند الطبري (١٨) ، وورد ايضا ذكر « الشارع الكبير » عند مقابر باب الكوفة (١٩) .

وذكر الخطيب ان جعفر بن محمد الفريابي (ت ٣٠١) عندما قدم بغداد استعد الناس «ووعدوا له الى شارع المنار بباب الكوفة ليسمعوا منه»(٢٠) . ولعل كل هذه التسميات هي لشارع واحد يدل تردد اسمه على اهميته .

---

(١٥) الخطيب ١١/١٨٩ . (١٦) الخطيب ٤/١٣٣ .

(١٧) الخطيب ١/٨٥ ، الطبـري ٣/١٠٠٥ ؛ وانظر عن شـارع المنار : المنتظم ٦/١٢٤ .

(١٨) الطبري ٣/٢١١٨ . (١٩) الخطيب ٧/١٨٧ .

(٢٠) الخطيب ٧/٢٠٢ وينبغي ان يميز هـذا عن « المنـائر التي في شـارع الانبار» والتي بناها طاهر بن الحسين عندما كان يحاصر بغداد حيث انه « من أول حصاره الامين كلما بلغ الى موضع من ذلك الشارع بنى فيـه مسجدا ومنارا » ، ابن الفقيه ٤٩ وانظر الخطيب ١/٨٥ .

ان ابرز المعالم عند باب الكوفة هي المقبرة المسماة باسم ذلك البـاب ، ويبدو من استقراء تاريخ من دفن فيها ، ان الدفن فيها بدأ منذ أواسط القرن الثالث الهجري ، وقد ذكر الخطيب ممـن دفن فيها : احمد بن الحارث الخزاز (ت ٢٥٨)[٢١] ، ومحمد ابن ابراهيم الصوفي (ت ٢٦٩)[٢٢] ، وعبدالرحمن ابن محمد بن كريزان (ت ٢٧١)[٢٣] ، وجعفر بن محمد الصائغ (ت ٢٧٩)[٢٤]، ومعاذ بن المثنى العنبري (ت ٢٨٨)[٢٥] ، وابو معشر الحسـن بن سـليمان الدارمي (ت ٣٠١)[٢٦] ، والقاسم بن زكريا المطرز (ت ٣٠٥)[٢٧] ويحيى بـن محمد بن صاعد (ت ٣١٤)[٢٨] ، وعمر بن احمد بن شاهين (ت ٣١٨)[٢٩] ، وابراهيم بن محمد بن عرفة (ت ٣٢٣)[٣٠] ، وعبدالله بن الفقيه (ت ٣٢٤)[٣١]، وعبدالله بن محمد بن زياد (ت ٣٢٤)[٣٢] ، ويوسـف بن يعقـوب البهلول (ت ٣٢٩)[٣٣] ، وهبةالله بن جعفر المقري (ت ٣٥٠)[٣٤] ، ولم يذكر دفـن فيها بعد ذلك التاريخ الذي يختفي بعده ذكرها ممـا قد يـدل على زوالها واندماجها بباب البصرة ، ولعل من المفيد ان نذكر ان عضد الدولة اعاد اعمار الجانب الغربي واحياء ترعة قريبا من ذلك الزمن .

---

(٢١) الخطيب ١٢٣/٤ .
(٢٢) كذلك ٣٩٣/١ ، المنتظم ٦٩/٥ .
(٢٣) الخطيب ٢٧٤/١٠ .
(٢٤) كذلك ١٨٧/٧ .
(٢٥) كذلك ١٣٦/١٣ .
(٢٦) كذلك ٣٢٧/٧ ، المنتظم ١٢٥/٦ .
(٢٧) كذلك ٤٤١/١٢ ، المنتظم ١٢٦/٦ .
(٢٨) كذلك ٢٣٢/١٤ .
(٢٩) كذلك ٢٦٦/١١ .
(٣٠) كذلك ١٦٢/٦ ، المنتظم ٢٧٨/٦ .
(٣١) كذلك ٢٦٦/١١ .
(٣٢) كذلك ١٢٢/١٠ ، المنتظم ٢٧٨/٦ .
(٣٣) كذلك الخطيب ٣٢٢/١٤ .
(٣٤) كذلك ٦٩/١٤ .

بـاب الشـام :

كان باب الشام ابرز المعالم العمرانية في الجهات الغربية من المدينة المدورة وذكرت المصادر كثيراً من المعالم منسوبة اليه ، كما ذكرت عدداً من الاشخاص نسبوا اليه ومنهم .

ويبدو ان معظم المعالم التي اقترنت بباب الشام تقع خارج المدينة المدورة. وقد ذكرت مقترنة مع اقطاع القحاطبة .

غير ان كافة هذه الاسماء لم تتردد في المصادر مما يدل على اختفاء معالمها الاولى ، واندماجها بالمنطقة .

وكانت عند باب الشام في العهود الاولى مناطق زراعية وبساتين ، ومن هذه المناطق الخطابية ، وهي من القرى القديمة وتقع « على باب درب النورة الى درب الاقفاص .. وكان بعض نخلها في شارع باب الشام الى ايام المخلوع (الامين) حتى قطع في ايـام الفتنة .. وكانت لقـوم من الدهاقين يقال لهم بنوفروة وبنوا فنورا منهـم اسـماعيل من دينـار ويعقـوب بن سـليمان واصحابهم»[1] ، وذكر ابن عبدالحق ان الخطابية « موضع المحلة التي كانت تسمى الكبش والاسد » [2] ولم يذكر الخطيب الخطابية ولكنه ذكر الكبش والاسد وكثافة السكان بينه وبين دجلة ثم تدهوره .

غير ان الخطابية تحولت في زمن لم تحدده المصادر الى منطقة سكنية ، فقد ذكر ابن الدبيثي من سكانها احمد بن علي بن مسـعود ت ٦١٣ [3] وان احمد بن مسعود المعروف بابن السقا تولى الخطابة .

ويلاحظ انه كانت في هذه المنطقة قرية تسمى الترابية ، وقرية الوردانية

---

(١) الطبري ٣/٧٩ ، ابن الفقيه ٢٤٢ .
(٢) مراصد الاطلاع ١/٤٧٣ .
(٣) ابن الدبيثي ٢/٨٢ .

التي كانت لدهاقين يقال لهم بنوزراري عند مربعة ابي العباس ، والسرقانية وهي مما يلي مربعة ابي قرة ، وكان نخلها قائماً في اواخر القرن الرابع[٤] ويلاحظ ان مربعتي ابي العباس وابي قرة، وقنطرة ابي الجون تقع على ذنائب الدجيل قرب باب الشام • وان وجود النخل فيما دليل على انها كانت منطقة زراعية •

وبالقرب من باب الشام يقع أحد سجون بغداد[٥] ولابد انه السجن الذي سماه اليعقوبي سجن باب الشام وقال انه عند اقطاع الفضل بن سليمان[٦]

وبقرب باب الشام بستان أم القاسم زوجة ابى جعفر المنصور [٧] كما كان عند هذا الباب بستان مؤنسة [٨] •

مقبرة باب الشام

ومن ابرز المعالم الخططية في باب الشام مقبرة ابي سويد [٩] وهو من قواد المنصور ، ويذكر اليعقوبي انه عندما ثار ابراهيم بن الحسن في البصرة أرسل اليه ابو جعفر «ابو سويد صاحب طاقات ابى سويد ببغداد في باب الشام »[١٠] •

ويقول الخطيب ان مقبرة باب الشام عند طاقات ابى سويد [١١] ويقول ابن الفقيه ان « طاقات ابى سويد ، واسمه الجارود ، مما يلي مقابر باب الشام، وقطيعته وربضه هناك » [١٢] ، ويقول البلاذري « ابو سويد صاحب المقبرة عند باب الشام » [١٣] وان « عبدالله بن علي دفن في مقابر ابي سويد بباب الشام » [١٤] هذا يظهر ان المقبرة كانت في اول الامر تسمى باسم ابي سويد ،

---

(٤) ابن الفقيه ٤٢ ، الطبري ٣
(٥) الطبري ١٧٢٧/٣ .
(٦) البلدان ٢٤٨ .
(٧) الطبري ٤٤٥/٣ .
(٨) الطبري ٩١٧/٣ .
(٩) الطبري ٣١٦/٣ .
(١٠) تاريخ اليعقوبي ١٢/٣ .
(١١) الخطيب ٨٣/١ .
(١٢) البلدان ٥٠ .
(١٣) أنساب الاشراف ١٣٩/٣ .
(١٤) أنساب الاشراف ١٠٢/٣ ، وانظر مروج الذهب ٣٠٥/٣ .

ثم غلب عليها فيما بعد اسم « مقبرة باب الشام » .

وعلى اي حال فان المقبرة خارج باب الشام ، وفي الجهة الشمالية منه .

كانت مقبرة باب الشام من أقدم مقابر الجانب الغربي ، وأول من دفن فيها عبدالله بن علي عم المنصور (ت ١٤٧) ، ثم تتابع الدفن فيها وممن ذكر الخطيب انهم دفنوا فيها : محمد بن سعد (ت ٢٣٠) [١٥] وبشر ابن الوليد الكندي (ت ٢٣٨) [١٩] وأحمد بن ابي طاهر طيفور (ت ٢٨٠) [١٧] وثعلب النحوي (ت ٢٩١)[١٨] ، ومحمد بن احمد بن النظر (ت ٢٩١) [١٩] وعبدالله بن ابي الشوارب (ت ٣٠١)[٢٠] ومحمد بن عبدالله الأحنف (ت ٣٠١) [٢١] ومحمد بن ابي السكري (ت ٣٥٩)[٢٢] وحمزة بن محمد الدقاق (ت ٤١٤)[٢٣] ومحمد بن احمد بن الصابوني (ت ٤١٥)[٢٤] وابو يعلى الصيرفي (ت ٤٢٧)[٢٥] .

تتابع الدفن في مقبرة باب الشام في العهود العباسية المتأخرة فذكر ابن الجوزي ممن دفن فيها عبدالباقي بن محمد (ت ٤٨٥) [٢٦] ومحمد بن احمد

---

(١٥) الخطيب ٣٢٢/٥ .
(١٦) الخطيب ٨٤/٧ ، وانظر ابن سعد ٧ ــ ٩٩/٢ .
(١٧) الخطيب ٢١٢/٤ .
(١٨) الخطيب ٢١٣/٥ ، وانظر المنتظم ٤٥/٦ ؛ مروج الذهب ١٩٥/٤ .
(١٩) الخطيب ٣٦٤/٢ .
(٢٠) الخطيب ١٠/١٠ ، وانظر المنتظم ٤٨/٦ .
(٢١) الخطيب ٤٣٦/٥ ، وانظر المنتظر ١٢٧/٦ .
(٢٢) الخطيب ٤٠/٣ .
(٢٣) الخطيب ١٨٤/٨ .
(٢٤) الخطيب ٢١٨/١ ، وانظر المنتظر ٢٠/٨ .
(٢٥) الخطيب ٢٤٢ .
(٢٦) الخطيب ٦٩/٩ .

الزبيدي (ت ٥٥٥)[٢٧] ، وذكر القفطي ممن دفن فيها ابن ناقيا [٢٨] .

وذكر المنذري ممن دفن فيها ابن شدقيني (ت ٦٠٠)[٢٩] ، وابن الامين (ت ٦٠٦)[٣٠]، وابن الشنكاني (ت ٦٠٧)[٣١] وابن المطرز (ت ٦٣٥)[٣٢] .

سوق باب الشام

وعند باب الشام السوق المسماة باسمه ، ولعلها السوق التي ذكر الطبري انها احد الاسواق الثلاثة التي بناها ابو جعفر المنصور للتجار بعد ان اخرجهم من المدينة المدورة [٣٣] ووصف اليعقوبي هذه السوق بانها «سوق عظيمة فيها جميع التجارات والبياعات ، ممتدة ذات اليمين وذات الشمال آهلة عامرة الشوارع والدروب والعراص ، وتمتد في شارع عظيم فيه الدروب الطوال ، كل درب ينسب الى أهل بلد من البلدان ، ينزلون في جنبتيه جميعا الى ربض حرب [٣٥] . وذكر « وليس ببغداد ربض أوسع ولا أكبر ولا أكثر دروبا وأسواقا في الحال منه ، وأهله أهل بلخ ، وأهل مرو ، وأهل الختل ، وأهل بخارا، وأهل اسبيشاب، وأهل اشتاخنج، وأهل كابلشاه ، وأهل خوارزم، ولأهل كل بلد قائد ورئيس»[٣٤] . ولعل كثيرا منهم من أهل قطائع تلك المنطقة، ويبدو ان هذه السوق طغت على القطائع الاولى فاختفى اسمها ؛ ولابد ان نمو هذه السوق يرجع الى ازدحام السكان في هذه الرقعة والى حاجتهم الى السلع، وان عددا غيرقليل منهم كانوا صناعا أو من أصحاب الحرف، وكذلك المقاتلة الذين

---

(٢٧) الخطيب ١٠/١٩٨ .
(٢٨) انباء الرواة ٢/١٣٣ .
(٢٩) التكملة في وفياة التقلة رقم ٧٨٨ .
(٣٠) كذلك ١٧٧ .
(٣١) كذلك ٢٢٨٣ .
(٣٢) كذلك ٢٧٨٧ .
(٣٣) الطبري ٣/٣٢٥ ، الخطيب ١٠/٧٩ .
(٣٤) البلدان ٢٤٨ .

تحولوا على مر الزمن الى حرفيين ولكن لم تذكر تفاصيل «التجارات والبياعات» التي كانت فيها .

لم يذكر الخطيب سوق باب الشام ، وانما ذكر «مربعة ابى العباس الفضل ابن سليمان الطوسي »[٣٦] وذكر ابن الفقيه هذا النص وأضاف اليه «ويتصل بها الشارع المتصل بباب الشام»[٣٧] .

ان المحور الرئيسي للسوق هو الشارع العظيم المسمى بباب الشام ، وقد كان يشرع عليه نخل قرية الخطابية ، وقد اخترقته بعض القوات في حصار المستعين [٣٨] . أما طول الدروب الممتدة من هذا الشارع فلابد انه راجع الى فسحة الارض الواسعة التي ليس فيها من العوارض مايحدد امتدادها نحو الغرب ، رغم ان المصادر لم تحدد مداه ، ولم تكشف الآثار ما يحدد ذلك .

وفي باب الشام يقع سوق النجارين الذي ذكر ابن الجوزي ان حريقا وقع فيه سنة ٣٠٣« احرق السوق ووقعت شرارات في منارة الجامع بالمدينة فاحرقته »[٣٩] ، واحتراق المنارة يدل على قربها من باب الشام وعلى انها كانت في الجهة الشمالية الغربية من المدينة .

دروب باب الشام وعمرانه

ذكرت المصادر عددا من الدروب في باب الشام ، منها درب الأقفاص «وفيه قطيعة هاشم بن معروف ، وقطيعة الحسن بن جعفرات التي تصل هذا الدرب بدرب القصارين »[٤٠] ، وذكر ابن الجوزي انه في سنة ٣١٥ « أخذ

---

(٣٦) الخطيب ٨٤/١ .
(٣٧) البلدان ٢٤٣ .
(٣٨) الطبري ١٦٦٣/٣ .
(٣٩) المنتظم ١٣٠/٦ ، ولعله هو الحريق الذي ذكره حمزة الاصفهاني وأشار الى ما يفهم انه وقع سنة ٣١٩ (تاريخ سني ملوك الارض ٢٥٨) .
(٤٠) البلدان ٢٤٦ ، وانظر ابن النجار ٣٣ .

خناق ينزل درب الاقفاص من باب الشام ، خنق جماعة ودفنهم في عدة دور سكنها »[٤١] .

ومن دروب باب الشام درب النورة الذي كان بين الخطابية وبين درب الأقفاص [٤٢] ؛ وفيه منزل محمد بن يحيى المروزي (ت ٢٩٤)[٤٣] ، ودرب ابى الساج[٤٤] ، ودرب القصابين [٤٥] ، ودرب الرواسين [٤٥أ] .

ذكر الصابي ان ابا نصر سابور حاول في سنة ٣٨٩ «وضع العشر على مايعمل من الثياب الاريسمات والقطنيات بمدينة السلام ، فثار أهل العتابية وباب الشام [٤٦] ، وهذا يدل على ان باب الشام كانت فيه صناعة أو تجارة هذه الثياب ، ولعل عددا غير قليل من أهل باب الشام كانوا يعملون في صناعتها ، وان أسواقها كانت تبيع هذه المنسوجات . ومما يؤيد ذلك ان الخطيب ذكر ان محمد بن علي السلمي «كان يبيع الخزّ بباب الشام[٤٧] ، وان الحارث بن النعمان الاكفاني كان يبيع الاكفان بباب الشام »[٤٨] .

كانت منطقة باب الشام مزدحمة السكان ، وخاصة أطرافها الشمالية فيذكر الخطيب ان عرض بغداد « من شاطىء دجلة الى الموضع المعروف بالكبش والاسد ، وكل ذلك كان متصل الابنية ، متلاصق الدور والمساكن ، والاسد الآن صحراء مزروعة وهي على مسافة من البلد ، وقد رأيت ذلك الموضع مرة واحدة خرجت فيها لزيارة قبر ابراهيم الحربي وهو مدفون هناك»[٤٩] ومن

---

(٤١) المنتظم ٢٠٧/٦ .
(٤٢) ابن الفقيه ٤٢ .
(٤٣) الخطيب ٤٤٢/٣ .
(٤٤) الخطيب ٢٣٦/١ .
(٤٥) ابن النجار ٢٠٧/١ .
(٤٥أ) نشوار المحاضرة ٦٧/٣ طبعة عبود الشالجي .
(٤٦) ذيل تجارب الامم ٣٣٦/٣ .
(٤٧) الخطيب ٨٨/٣ .
(٤٨) الخطيب ٢٠٧/٨ .
(٤٩) الخطيب ٧١/١ .

الواضح ان وصف الخطيب في ازدهار هذه المنطقة ثم تدهورها في أواسط القرن الخامس ينطبق على الأطراف الشمالية من هذه المنطقة ، أما الأطراف القريبة من المدينة المدورة فلم تفقد الحيوية ، غير انها من حيث العموم لم تنغمر في الاضطرابات السياسية والفتن المذهبية التي عمت المناطق الاخرى في جنوبي المدينة المدورة وسببت تدهورها .

ومما يظهر عمرانها العدد الكبير الذين أشارت المصادر الى سكناهم في باب الشام ، وهم من ذوي المكانة في المجتمع أو الادارة أو العلم ؛ فممن سكنها علي بن ظبيان القاضي (ت١٩٢)(٥٠)، والعباس بن الاحنف (ت١٩٢)(٥١)، ومحمد بن ابراهيم بن كثير (ت ٢٧٣)(٥٢) وعلي بن محمد المروزي (ت ٢١٨)(٥٣) ، وعبيدالله بن علي بن ابي الشوارب (ت ٣٠١)(٥٤) ، وأحمد بن عبدالله بن النبري (ت ٣٢٠)(٥٥) ، واحمد بن زكريا الدقاق (ت ٣٢٠)(٥٦) ، واحمد بن الوليد السوسنجردي (ت ٣٢٥)(٥٧) ، وهبيرة بن محمد (كان حيا سنة ٣٢٩)(٥٨) ، ومحمد بن عبيدالله الشافعي (ت ٣٥٤)(٥٩)، والحسن بن محمد المخزومي (ت ٣٩٣)(٦٠) ومحمد بن عبدالعزيز الصيدلاني (ت ٤٠٩) (٦١) ، ومحمد بن عبدالله بن العيني (ت ٤١٠)(٦٢) ، ومحمد بن

---

(٥٠) الخطيب ٤٤٣/٨ ، ٢٤٣/١١ .
(٥١) الخطيب ١٣٣/١٣ .
(٥٢) الخطيب ٣٩٦/١ .
(٥٣) الخطيب ٢٢/٣ .
(٥٤) الخطيب ١٠/١٠ .
(٥٥) الخطيب ٢٢٦/٤ ، المنتظم ٢٥٧/٧ .
(٥٦) الخطيب ٢٨٧/٥ .
(٥٧) الخطيب ٢٣٧/٤ .
(٥٨) الخطيب ٩٧/١٤ .
(٥٩) الخطيب ٤٥٧/٥ ، المنتظم ٣٢/٧ .
(٦٠) الخطيب ٤٢٣/٧ .
(٦١) الخطيب ٣٥٣/٢ .
(٦٢) الخطيب ٤٧٥ .

الحسين ابو يعلى السراج (ت ٤٢٧)[٦٣] وعثمان بن محمد العلاف (ت ٤٢٨)[٦٤] ، وعمر بن محمد بن بكران (ت ٤٣٩)[٦٥] ، وتركان بن الفرج الباقلاني (ت ٤٤٠)[٦٦] ، ومحمد بن عبدالعزيز الهاشمي (ت ٤٤٤)[٦٧] ، وعلي بن محمد الغزال (ت ٤٤١) [٦٨] ، ومحمد بن عبيدالله بن عروس (ت ٤٥٠)[٦٩] ، وابو يعلى الغزال (ت ٤٥١)[٧٠] ، والحسين بن ابي عامر (ت ٤٥١)[٧١] .

وفي باب الشام بنى المقتدر مارستانا في سنة ٣٠٦ وولاه سنان بن ثابت ، وسماه المارستان المقتدري [٧٢] .

وذكر ابن الجوزي على بابها مشهد وقع في فيضان سنة ٥٦٩ [٧٣] ، ولكنه لم يذكر من نسب اليه المشهد .

ويبدو انه أصابها التدهور في القرن السابع اذ يقول ياقوت ان «باب الشام محلة كانت بالجانب الغربي من بغداد»[٧٤] .

وقد اعتبر الخطيب « النصرية من باب الشام »[٧٥] ، وقال الاسنوي ان باب الشام « هي احدى محال الاربعة في الجانب الغربي »[٧٦] .

---

(٦٣) الخطيب ٢٥٢/٢ .
(٦٤) الخطيب ٣١٤/١ .
(٦٥) الخطيب ٢٧٥/١١ .
(٦٦) الخطيب ١٤٠/٧ .
(٦٧) الخطيب ٣٥٥/٢ .
(٦٨) الخطيب ١٠١/١٢ .
(٦٩) الخطيب ٣٣٩/٢ .
(٧٠) الخطيب ٨١/٨ .
(٧١) الخطيب ٨٤/٨ المنتظم ٢١٣/٨ .
(٧٢) المنتظم ١٤٦/٦ ، عيون الانباء ٢٢٤/٢ .
(٧٣) المنتظم ٢٤٥/١٠ .
(٧٤) ياقوت ٤٤٥/١ .
(٧٥) الخطيب ٤٩/٥ .
(٧٦) طبقات الشافعية ٥٣٨/٢ .

الفصل العشرون

باب خراسان

والاطراف الشرقية للمدينة المدورة

كان بـاب خراسـان في الجهـة الشمالية الشرقية من المدينـة المدورة ، وهو قريب من دجـلة ، ولاريب في ان القصـور والابنيـة « الرسـمية » التي كانت بقربه ، ووقوعه قرب دجلة ، جعل المعالم التي حوله تختلف عن معالم الابواب الاخرى ، فلم يرد ذكر لمن سكن عنده سوى ابو معشـر البلخي [1] ودار بلوربك الذي كبسه العيارون سنة ٤٢٧ [2] ولم يذكر ممن دفن خارجه غير هوذة بن خليفة (ت ٢١٦) [3] غير انه يتردد منذ القرن الخامس ذكر مقبرة للمارستان العضدي التي تقع بقربه • وينبغي عدم الخلط بين هذه الباب وباب آخر بنفس الاسم بالجانب الشرقي عند رحبة يعقوب [4] •

كان بـاب خراسان يقع قريبا مـن دجـلة ، والواقع ان سور المدينـة المدورة في هذه المنطقة كان يحصر رقعة ضيقة ، وخاصة من وسطها ، ولابـد ان النهر كان يعوض عن الحاجة الى خندق يحمي المدينة في هذه الجهة والى مصب الصراة في دجلة •

ومن ابرز المعالم في هذه الرقعة هو الجسر الذي يربط الجانبين الشرقي

---

(١) الفهرست لابن النديم ٣٨١ ، عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ١٧٩/٢ .
(٢) المنتظم ٨٨/٨ .
(٣) الطبقات لابن سعد ٧ـ٢/٨٠ ، الخطيب ٩٦/١٤ ، ويذكر المسعودي ان هوذة دفن بباب البردان في الجانب الشرقي (مروج ٤٥٥/٣) .
(٤) المنتظم ١٧٢/٧ .

والغربي وكان في شمالي باب خراسان ، فيذكر اليعقوبي ان المنصــور عندما شرع ببناء بغداد جعل لكل منطقة مهندسا ومشرفان على البناء ، فجعل على المنطقة التي « من باب خراسان الى الجسر الذي على دجلة مادا في الشارع على دجلة الى البغيين وباب قطربل هشام بن عمرو التغلبي ، وعمــارة بن حمزة ، وشهاب بن كثير المهندس » (٥) .

ويذكر ايضا « والربع من باب خراسان الى الجسر على دجلة وما بعــد ذلك بازائها الخلد فكان فيه الاصطلاب وموضع العرض وقصــر يشرع على دجلة لم يزل ابو جعفر ينزله ، وكان فيه المهدي ان ينتقل الى قصره بالرصافة الذي بالجانب الشرقي ، فاذا جاوز موضع الجسر ، فالجسر ومجلس الشرطة ودار صناعة للجسر » (٦) .

وصف كل من اليعقوبي والخطيب المعالم العمرانية الواقعة في الجهات الجنوبية من الاطراف الشرقية ، اي التي تقع بين قرن الصراة والجسر .

فذكر اليعقوبي بعد ان وصف المعالم العمرانية في الاطراف الجنوبية من المدينة المدورة حتى انتهى الى الشرقية التي تقع قرب مصب الصراة بدجلة ، ثم قال « وتتعرج من الشرقية مارا الى قطيعة جعفر بن المنصور على شط دجلة ، وبها دار عيسى بن جعفر ، وتقرب منها دار جعفر بن جعفر بن المنصور (٧) .

اما الخطيب فيذكر « واما شاطيء دجلة فمن قصر عيسى الى الدار التي ينزلها في هذا اليوم على قرن الصراة ابراهيم بن احمد، فانما كان اقطاعا لعيسى بن علي ــ يعني ابن عبدالله بن عباس ــ واليه ينسب نهر عيسى وقصر عيسى،

---

(٥) البلدان ٢٤٦ .

(٦) البلدان ٢٤٢ ، وانظر عن الجسر مقالنا عن «جسور بغداد» المنشور في مجلة المورد ؛ وموقع هذا الجسر عند الجسر الذي شــيد حديثــا بــين العطيفية والاعظمية. م ٨ ج ٤/١٩٧٩ .

(٧) البلدان ٢٤٥ .

وعيسى بن جعفر ، وجعفر بن ابي جعفر ، واليه ينسب فرضة جعفر ، وقطيعة جعفر ، واما قصر حميد فاحدث بعد .

واما شاطىء دجلة من قرن الصراة الى الجسر ، ومن حد الدار التي كانت لنجاح بن سلمة ، ثم صارت لاحمد بن اسرائيل ، ثم هي بيد خاقان المفلحي الى باب خراسان فذلك الخلد ، ثم ما بعده الى الجسر فهو القرار ، نزله المنصور في اخر ايامه ، ثم اوطنه الامين » [٨] .

يتبين من نص الخطيب ان قصرى عيسى بن جعفر ، وجعفر بن جعفر كانا على شاطيء دجلة في جنوبي مصب الصراة ، لانهما متصلان بقصر عيسى ، وهذا يوضح نص اليعقوبي الذي ذكر هذين القصرين دون نا يحدد موقعها من الصراة .

ان المعالم العمرانية التي وردت في نص الخطيب كانت قائمة في القرن الثالث الهجري ، حيث ان نجاح بن سلمة كان على ديوان التوقيع والتتبع على العمال في زمن المتوكل [٩] ثم امر المتوكل بقتله [١٠] . اما احمد بن اسرائيل فكان كاتب المعتز ، واستخلف على ديوان الخراج [١١] وقام بدور في القتال بين المعتز والمستعين ، ثم قتل سنة ٢٥٥ [١٢] ، اما خاقان المفلحي فكان من القواد الذين برزوا في ايام المعتضد والمكتفي .

الخلد :

يظهر من كلام الخطيب ان الخلد كان يقع بين دار نجاح بن سلمة التي آلت في الاخير الى خاقان المفلحي ، وبين باب خراسان ، غير ان كلا من اليعقوبي والخطيب لم يذكر المعالم العمرانية الاولى التي اقام عليها نجاح بن سلمه داره .

وذكر عريب «دار ابراهيم بن احمد المادرائي التي على دجلة والصراة» [١٢]

---

(٨) الخطيب ١/٩٢ .

(٩) الطبري ٣/١٤٤١ .

(١٠) كذلك ٣/١٤٤٥ .

(١١) كذلك ٣/١٤٤٧ .

(١٢) كذلك ٣/١٧٢١ .

(١٢أ) صلة تاريخ الطبري ١٦ .

وبلصق هذه الدار كانت دار علي بن هارون اليهودي الجهبذ على قرن الصراة ودار ابراهيم بن أيوب النصراني [١٢ب] .

اشارت المصادر الى وجود دير قديم في هذه المنطقة كان قائما عندما اختار المنصور موقع مدينته ، فيروى الطبري عن حماد البربري ان بغداد «قرية على شاطيء الصراة مما يلي الخلد ، وكان في موضع بناء الخلد دير ، وكان في قرن الصراة مما يلي الخلد من الجانب الشرقي ايضا قرية ودير كبير كانت تسمى سوق البقر ، وكانت القرية تسمى العتيقة ، وهي التي افتتحها المثنى بن حارثة الشيباني ، قال وجاء المنصور فنزل الدير الذي في موضع الخلد على الصراة فوجده قليل البق »[١٣] .

وذكر الطبري أيضا ان المنصور عندما كان يفتش عن موضع ليشيد فيها عاصمته «نزل الدير الذي هو حذاء قصره المعروف بالخلد ، فدعا صاحب الدير، واحضر البطريق صاحب رحا البطريق ، وصاحب بغداد ، وصاحب المخرّم، وصاحب الدير المعروف ببستان القس وصاحب العتيقة »[١٤] .

وذكر الطبري أيضا «الدير الذي على الصراة»[١٥] و «الدير الذي على شاطيء دجلة المعروف بالخلد » [١٦] .

وذكر المسعودي «وكان هناك دير عادي مما يلي الصراة »[١٧] .

ويتبين من هذه النصوص وجود دير في موضع الخلد أو حذاءه أي ملاصق له ، ودير على الصراة ، أي انهما ديران متمايزان دخل الاول في بناء الخلد ، أما الثاني فان اليعقوبي يقول «ولم يكن ببغداد الا دير على موضع

(١٢ب) أخبار الراضي والمتقي للصولي ١٩٩ وانظر أيضا ٢٠٧ .
(١٣) الطبري ٢٧٧/٣ .
(١٤) كذلك ٢٧٤/٣ .
(١٥) كذلك ٢٧٦/٣ .
(١٦) كذلك ٢٨٠/٣ وانظر ياقوت ٦٨١/١ .
(١٧) التنبيه والاشراف ٣١٢ .

مصب الصراة الى دجلة الذي يقال له قرن الصراة ، وهو الدير الذي يسمى الدير العتيق ، قائم على حاله الى هذا الوقت نزله الجاثليق رئيس النصارى النسطورية »[18] .

من الراجح ان هذا الدير هو دير مار فثيون الذي يذكر عمرو بن متي انه « في العتيقة وكان بناؤه في أيام الفرس قبل بناء بغداد» ، مجاورا لعمر صليبا ، وبنى جماعة فيه بنيانا واقاموا فيها ، فلما بنى المنصور مدينته بالقرب منه ، ونزلها الناس طالب النصارى لمن كان من المسلمين نازلا في الدير بالانتقال منه ، فامتنعوا وقالوا هذا ارثنا من اباءنا ، فنقلوا عنه كرها بأمر المنصور ، فهدم سبريشوع (زمن المأمون) تلك الابنية العتيقة التي كانت فيه ، ولم يتعرض للهيكل والمذبح ، وجدد بناء بيت الشهداء والاروقة ، وعمل موضعا يسكنه ، ونصب فيه اسكولا ، وجمع المعلمين فيه ، وصار مقام الفطرك فيه [19] .

ذكرنا من قبل قول الخطيب ان كان بين دار نجاح وباب خراسان يقع قصر الخلد ، أي ان هذا القصر يقع جنوبي باب خراسان ، وقد وصف الخطيب قصر الخلد فقال :

« سمي بذلك تشبيها له بجنة الخلد وما يحويه من كل منظر رائق ومطلب فائق وعرض غريب ومراد عجيب ، وكان موضعه وراء باب خراسان ، وقد اندرس الان فلا عين له » [20] .

بدأ ابو جعفر المنصور ببناء الخلد في سنة ١٥٧[21] ، ثم أتم بناءه ونزله في سنة ١٥٨ [22] ولم يطل مقامه به لانه توفي في السادس من ذي الحجة في

---

(١٨) البلدان ٢٣٥ .
(١٩) اخبار فطاركة المشرق ٦٩ .
(٢٠) الخطيب ١/٧٥ .
(٢١) الطبري ٣/٣٧٩ ، الخطيب ١/٨٠ .
(٢٢) الطبري ٣/٣٨٤ ، الخطيب ١/٨٠ .

تلك السنة [٢٣] ، فلما ولى المهدي الخلافة اختار المقام في الجانب الشرقي ، أما موسى الهادي فقد أقام فيه بعد عودته من جرجان ، ثم انتقل بعد شهر الى بستان أم جعفر بعيساباذ .

وفي الخلد كان يقيم هرون الرشيد قبل ان يلي الخلافة ، وكان ينزل معه الفضل بن يحيى[٢٤] ، وجعفر بن يحيى البرمكي [٢٥] ، وفيه ايضا ولد المعتصم سنة ١٨١ [٢٧] . وظل الرشيد يقيم في الخلد بعد توليه الخلافة ، غير ان مقام الرشيد فيه لم يكن طويلا ، لان الرشيد كان دائم الاسفار ، وكان يسعى لاتخاذ مقام الخلافة في مدينة اخرى الى ان استقر به الامر على اتخاذ الرقة مقاما له .

وفي الخلد كان يقيم محمد الامين في حياة ابيه ، وكان يساكنه في القصر الفضل بن يحيى البرمكي ، وكان الامين مقيما في الخلد عندما وصله نبأ وفاة أبيه الرشيد [٢٨] .

ويبدو ان الامين اتخذ الخلد مقرا له بعد توليه الخلافة ، وكان هذا القصر من أبرز معاقل الامين عندما حاصره طاهر بن الحسين الذي لجأ الى فرض الحصار عليه وضربه بالمجانيق ، مما اضطر الامين الى الانتقال الى قصر ابي جعفر في وسط المدينة المدورة [٢٩] .

أدت الحرب بين الأمين والمأمون الى خراب الخلد ، وقال الشاعر في ذلك :

عوجا بمغنى طلل داثر   بالخلد ذات الصخر والآجر[٣٠]

---

(٢٣) الطبري ٣/٣٩٠ .
(٢٤) الجهشياري ١٩٣ ، ١٩٥ .
(٢٥) الجهشياري ١٨٩ .
(٢٧) الطبري ٣/١٣٢٤ ، مروج الذهب ٣/٤٧٦ .
(٢٨) الطبري ٣/٧٦٨ .
(٢٩) الطبري ٣/٨٧٢ .
(٣٠) الطبري ٣/٩٢٥ .

غير ان اطلاله بقيت ماثلة حتى سنة ٢٩٢ على الاقل ، حيث ذكره الطبري في أحداث تلك السنة [٣١] .

المارستان العضدي :

يقول ياقوت ان الخلد « هو امام موضع المارستان العضدي اليوم او جنوبيه وبنيت حوله منازل ، فصار محلة كبيرة»[٣٢] . وذكر القفطي ان عضد الدولة اختار «للبيمارستان الذي عمّره ببغداد على الجسر بالجانب الغربي»[٣٣] ويدل كلا النصين على ان المارستان العضدي لم يبن على اطلال الخلد وانما بالقرب منه ، والارجح انه كان شمالي الخلد كما ذكر ياقوت .

يقول مسكويه ان من أعمال عضد الدولة في بغداد «بناء البيمارستان ، ووقف الوقوف الكبيرة عليه ، ونقل أنواع الالات والادوية من كل ناحية مما يدل العيان بعضه »[٣٤] .

وقال القفطي ان عضد الدولة « عمّر المارستان»[٣٥] ، وذكر ابن ابي اصيبعة « ولما بنى عضد الدولة البيمارستان المنسوب اليه ببغداد» و «في البيمارستان الذي انشأه في بغداد[٣٦] . وقد بنى هذا المارستان في سنة ٣٦٤، عندما كان عضد الدولة مقيما في بغداد [٣٧] .

يذكر القفطي ان عضد الدولة وضع في مارستانة أربعة وعشرين طبيبا ، جمعهم من عدة مدن [٣٨] ومن هؤلاء الاطباء ابو الحسين بن كشكرايا[٣٩] ،

---

(٣١) الطبري ٣/٢٢٥١ .
(٣٢) ياقوت ٢/٢٥٩ ، وانظر امر احد الاطلاع ٢٧٧ .
(٣٣) اخبار الحكماء ٤٠٧ .
(٣٤) تجارب الامم ٣/٦٩ .
(٣٥) اخبار الحكماء ٤٠٢ ، ٤٠٧ ، ٤٣٦ .
(٣٦) طبقات الاطباء ٣٢٢ .
(٣٧) اخبار الحكماء ١١٢ .
(٣٨) كذلك ٤٢٨ .
(٣٩) ابن ابي اصيبعة ٣٢٢ القفطي ٤٠٢ .

وابو الخير الجرائحي [٤٠]،وابو يعقوب الأهوازي[٤١] ، وابن مندويه [٤٢] ، ونظيف القس[٤٣] ، وابن التلميذ [٤٤] ، وابو الفرج بن الطبيب [٤٥] ، وسعيد ابن هبةالله[٤٦]، وجبريل بن عبدالله بن بختيشوع الذي جعل له عضد الدولة « رزقين وهما برسم خاص ٣٠٠ درهم شجاعية ، وبرســم البيمارستان ٣٠٠ درهم شجاعية سوى الجراية ، وكانت نوبته في الاسبوع يومين وليلتين»[٤٧]، وابراهيم بن بكس[٤٨]، وهارون بن صالح[٤٩] .

وبعد قرن من الزمن ، أي سنة ٤٦٠ كان قد «استولى عليه الخراب ، وناب أوقافه بالنوائب النواب وفي تلك السنة تسلم ابو منصور عبدالملك بن يوسف البيمارستان العضدي فعمره ، وطبقه ، وأحسن في أحواله ترتيبا ، وأقام فيه ثلاث خزائن وثمانية وعشرين طبيبا »[٥٠] .

وذكرت المصادر عددا ممن أشرف على المارستان العضدي ، ومن هؤلاء: علي بن احمد بن علي المعروف بابن الكوفي المتوفي ســنة ٤٧٩» ولى النظر بالمارستان العضدي فاحسن مراعاة المرضى »[٥١] .

وعبدالملك بن محمد بن الحسن ابو سعد السامري «كان اليه النظر في

---

(٤٠) القفطي ٤٠٧ .
(٤١) ابن ابي اصيبعة ٣٢٢ ابن القفطي ٤٣٦ .
(٤٢) ابن القفطي ٤٣٨ .
(٤٣) ابن ابي اصيبعة ٣٢٢ .
(٤٤) كذلك ٣٤٩ .
(٤٥) كذلك ٣٢٧ .
(٤٦) كذلك ٣٤٢ .
(٤٧) كذلك ٣١١ .
(٤٨) كذلك ٣٢٩ .
(٤٩) القفطي ٣٢٨ .
(٥٠) البنداري : زبدة النصرة ٣٣ .
(٥١) المنتظم ٣٣/٩ .

المارستانين العضدي والعتيق»[٥٢] وأحمد بن المنصور بن المؤمل الغزال (ت ٥٤٤) ، وكان يشرف عليه سنة ٥٣٤ ، وكان يسقي الادوية بالمارستان العضدي [٥٣] .

وابن المارستانية (ت ٥٩٧)[٥٤] وكان ابوه يخدم بالمارستان ونظر هو في أوقاف المارستان العضدي [٥٥] .

ويحيى بن محمد بن فضلان الذي ولى نظارة المارستان العضدي أيام الظاهر بأمر الله [٥٦] ، وعبدالرزاق بن عبدالوهاب بن سكينة [٥٧] .

وتاج‌الدين ابو سعد بن حمدون الذي ولى النظر في البيمارستان العضدي ثم صرف سنة ٥٩٨ ورتب عوضه الركن عبدالسلام بن عبدالقادر[٥٨] .

وعبدالمنعم بن عبدالعزيز بن ابي بكر الذي رتب ناظرا بالمارستان العضدي سنة ٦٠١ وظل الى وفاته سنة ٦٠٣ [٥٩] .

ومحمد بن كرم الذي تولى الاشراف على وقوف المارستان العضدي (ت ٦١٨)[٦٠] ، وعبدالحميد بن ابي الحسن هبةالله بن محمد بن ابي الحديد المدائني (٥٨٦ ــ ٦٥٦)[٦١] ، ومحمد بن عبدالله بن محمد ابو عبدالله المصري [٦٢] .

---

(٥٢) المنتظم ١١٧/٩ . (٥٣) المنتظم ٨٧/١٠ ، مرآة الزمان ١٧١/٨ .
(٥٤) عيون الانباء في طبقات الاطباء ٤٠٧ .
(٥٥) التكملة في وفيات النقلة للمنذري : رقم ٧٥٢ .
(٥٦) الحوادث الجامعة ٦٤ .
(٥٧) التكملة في وفيات النقلة رقم ٣٨٠٧ .
(٥٨) الجامع المختصر .
(٥٩) الجامع المختصر ٢١١ ، ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ٧٥/١ .
(٦٠) ابن الدبيثي ١٧٠/٢ .
(٦١) تلخيص مجمع الالقاب لابن الفوطي ٤ ــ ١٩١/١ .
(٦٢) ابن الدبيثي ٥٥٦/٢ .

كان في المارستان جناح خاص للمجانين [٦٣] ، كما كانت بقربه مقبرة خاصة به.ذكر المنذري ممن دفن فيها ابن القشوري، ومحمد بن صافي النقاش، وابن الخريف ، وابن صافي الخازن ، وارمانوس الرومي ، وابن حسان ، وابو الغنائم عبدالجليل النيسابوري ، ويعقوب بن علي الحكاك ، والانجب الحمامي ، وعبدالعزيز المنعي ، ومحمد بن مسعود بهرور [٦٤] ، وقد بنى تاج الدين بن رئيس الرؤساء بستانا بلصق البيمارستان العضدي ، سنة ٣٥٨ ثم اشترى الخليفة الناصر لدين الله هذا البستان بثلاثمائة دينار وشيد عليها دارا [٦٥].

تعرض المارستان للغرق سنة ٥٦٩ حيث «دخل الماء الى المارستان ، وعلا فيه ورمى عدة شبابيك من شبابيكه الحديد ، فكانت السفن تدخل من الشبابيك الى أرض المارستان ، ولم يبق منه ومن يقوم بمصلحته الا المشرف على الحوائج .. ورقى المرضى الى السطح» [٦٦] .

دعيت المنطقة التي حول المارستان «سوق المارستان» وصفها ابن جبير حيث قال «وبين الشارع ومحلة باب البصرة سوق المارستان ، وهي مدينة صغيرة فيها المارستان الشهير ببغداد ، وهو على دجلة ، وتتفقده الاطباء كل يوم اثنين وخميس ويطالعون أحوال المرضى به ، ويرتبون لهم أخذ مايحتاجون اليه ، وبين أيديهم قومة يتناولون طبخ الادوية والاغذية وهو قصر كبير فيه المقاصير والبيوت وجميع مرافق المساكن الملوكية ، والماء يدخل اليه من دجلة» [٦٧] .

وقال ابن بطوطة « المارستان فيما بين محلة باب البصرة ومحلة الشارع

---

(٦٣) الحوادث الجامعة ١٤/٢ .
(٦٤) ذكرهم بالتتابع في الصفحات التالية ٧٧١ ، ٧٩٠ ، ٩٣٢ ، ٩٦٣ ، ١١٠٨ ، ١٥٦٠ ، ١٦١٧ ، ٢٦٣١ ، ٢٧٩٤ ، ٢٨٢٣ ، ٢٨٣١ ؛ وذكر ابن النجار مدفن ابن القشوري فيه ٤٤/١ .
(٦٥) مضمار الحقائق ١٧٣ .
(٦٦) المنتظم ٢٤٥/١٠ ، ابن الاثير ٤٠٩/١١ .
(٦٧) رحلة ابن جبير ٢١٢ طبعة حسين نصار .

على الدجلة وهو قصر كبير خرب بقيت منه الاثار »[٦٨] .

لم تذكر المصادر ماكان من المعالم العمرانيةفيالاطراف الشرقية التي بين المدينة المدورة ونهر دجلة ، في العهود العباسية المتأخرة ، ولابد انه كانت فيه كثير من الدور الشاطئية التي هدم بعضها في زمن طغرل .

محلة التستريين :

ومن أبرز المعالم العمرانية في المنطقة الشرقية في العهود المتأخرة هي محلة التسترين التي ذكر ياقوت انها «محلة كانت ببغداد فيالجانبالغربي بين دجلة وبابالبصرة، يسكنها أهل تستر وتعمل بها الثياب التسترية ، ينسب اليها ابو القاسم هبةالله بن احمد بن عمر الحريري التستري المقري ، مولده سنة ٤٣٥، وشجاع بن علي الملاح .. ت ٤٦٨ وبركة بن نزار بن عبدالواحد ابو الحسين التستري (ت ٦٠٠) »[٦٩] .

ويذكر ابن الدبيثي ان « بركة بن نزار بن عبدالواحد كان يسكن محلة التستريين المجاورة لباب البصرة، فلما خربت سكنْ باب البصرة (ت ٦٠٠)[٧٠]، ويدل هذا النص ان خراب تستر كان في أواخر القرن السادس غير اني لم أجد في المصادر ذكر حادثة بارزة نسب اليها سبب خراب هذه المحلة .

القرار قصر أم جعفر :

ذكر اليعقوبي انِ الربع من باب خراسان الى الجسر على دجلة وما بعد ذلك بازائها الخلد ، فكان فيه موضع الاصطبلاب وموضع العرض وقصر يشرع

---

(٦٨) الرحلة ١/١٤٠ المطبعة الأزهرية .

(٦٩) ياقوت ٨٥٠/٢ ، مراصد الاطلاع ٢٧٣ ، الانساب للسمعاني ، وانظر عن هبةالله الحريري التستري وبركة بن نزار ، المنذري ٨٤١ ، وهو يذكر ان ممن سكنها أم عثمان بدرة بنت عثمان الحلاوي التي درست على هبةالله (التكملة ١٠٣٥) .

(٧٠) ابن الدبيثي .

على دجلة لم يزل ابو جعفر ينزله ، وكان فيه المهدي قبل ان ينتقل الى قصره بالرصافة الذي بالجانب الشرقي ، فاذا جاوز موضع الجسر فالجسر ومجلس الشرطة ودار صناعة الجسر [٧١] ، ويتبين من هذا النص وجود قصر كان ينزله ابو جعفر ، ثم نزله المهدي قبل انتقاله الى قصر الرصافة ، وقد يفهم من ذلك أن هذا القصر كان بناءا قديما ، وانه غير الخلد الذي تم بناؤه قبل اشهر من وفاة ابي جعفر .

أما الخطيب فيقول انه من حد الدار التي كانت لنجاح بن سلمة « الى باب خراسان فذلك الخلد ، ثم مابعده الى الجسر فهو القرار ، نزله المنصور في آخر أيامه ، ثم أوطنه الامين »[٧٢] . ويتبين من هذا النص ان القرار يقع في شمالي الخلد بينه وبين الجسر ، وان المنصور والامين نزلاه .

ولكن الخطيب يذكر «كان موضع السجن الجديد اقطاعا لعبدالله بن مالك ، نزلها محمد بن يحيى بن خالد بن برمك ، ثم دخلت في بناء ام جعفر أيام محمد الذي سمته القرار »[٧٣] .

ويقول ابن الفقيه «كان موضع السجن الجديد وما والاه اقطاع لعبدالله ابن مالك الخزاعي ثم صار بعد ذلك في أيام الرشيد لمحمد بن يحيى بن خالد ، ثم صار جميع ذلك لام جعفر في أيام الرشيد وأيام الامين ، والمسجد الكبير قبالة الحبس مما يلي السجن الجديد مسجد عبدالله بن مالك ، ثم ابتنت أم جعفر في أيام الامين القصر المعروف بالقرار ، وهو القصر الذي أقطعه المتوكل لمحمد بن عبدالله بن طاهر فأقطعه محمد جماعة من أصحابه .. ثم يلي الحبس درب سليمان بن ابي جعفر »[٧٤] .

---

(٧١) البلدان ٢٤٩ .
(٧٢) الخطيب ٩٢/١ .
(٧٣) الخطيب ٨٧/١ .
(٧٤) ابن الفقيه ٤٧ .

ويتبين من النص الثاني للخطيب ان القرار بنته ام جعفر في أيام الامين وادخلت فيه اقطاع عبدالله بن مالك ، أي ان القرار كان أوسع من اقطاع عبدالله بن مالك ، أما الهمداني فيذكر صراحة ان القرار بنته أم جعفر في أيام الامين ، ولكنه لايذكر صراحة انه شمل اقطاع عبدالله بن مالك .

وذكر الطبري في كلامه عن الحوادث المتصلة بهذه المنطقة قصر ام جعفر، وقصر زبيده ، فهو يقول في كلامه عن حصار طاهر بن الحسين بغداد في زمن الامين ، ان طاهرا «كمن حول قصر ام جعفر وقصور الخلد كمناء» و « شط دجلة في ظهر قصر ام جعفر »[٧٥] ، وان طاهرا قصد الى مدينة ابي جعفر فأحاط بها وبقصر زبيدة والخلد من لدن باب الجسر الى باب خراسان وباب الشام.. فنصب المجانيق خلف السور على المدينة وبأزاء قصر زبيدة وقصر الخلد ، ورمى ، وخرج محمد بأمه وولده الى مدينة ابي جعفر»[٧٦]، ويستدل من كلام الطبري وجود قصر لزبيدة ام جعفر في هذه المنطقة كان يقيم فيه الامين ، وهو مع الخلد ابرز المعالم العمرانية في المنطقة ، غير ان الطبري لم يسمه القرار، ولعل ذلك راجع الى ان اسمه قد زال في زمنه .

ان النصوص المذكورة اعلاه اذا اعتبرت معلوماتها متكاملة ، فانها تظهر مايلي :ـ

١ ـ كان في هذه المنطقة قصر قديم شمالي الخلد أقام فيه المنصور وابنه المهدي (اليعقوبي والخطيب) .

٢ ـ وفي هذه المنطقة اقطاع لعبدالله بن مالك الخزاعي يرجع الى زمن المنصور ثم آل الى محمد بن يحيى بن خالد (الخطيب والهمداني) .

---

(٧٥) الطبري ٣/٩١٦ .

(٧٦) الطبري ٣/٩٠٦ ؛ ويذكر ابن الدبيثي ان محمد بن عبدالعزيز (ت ٦٠٠) نزل « دار زبيدة على دجلة بالجانب الغربي » (٢/٢٢٥) ولم اجد معلومات عن دار زبيدة هذه وعلاقتها بقصر القرار .

٣ ــ شيدت زبيدة أم جعفر ، قصرا شمل القصر القديم واقطاع عبدالله بن مالك ، وسمى هذا القصر القرار (الخطيب والهمداني) وهو نفس القصر الذي أشار اليه الطبري .

٤ ــ اقطع المتوكل هذا القصر لمحمد بن عبدالله بن طاهر فأقطعه محمد جماعة من أصحابه (ابن الفقيه) وهذا يعني ضمنيا ان القصر هدم وزال من الوجود .

٥ ــ بنى السجن الجديد في طرف من هذا القصر (الخطيب وابن الفقيه) .

٦ ــ كان مسجد عبدالله بن مالك قرب هذا القصر ، وقد ظل قائما واصبح مقابل السجن الجديد .

٧ ــ يقع القرار جنوبي الجسر .

المعالم العمرانية شمالي الجسر :

ذكر اليعقوبي ان ابا جعفر عند بناءه قسم البناء الى ارباع ، وأوكل بكل ربع مهندسا ورجلين ، فأوكل « الربع من باب خراسان الى الجسر الذي على دجلة مارا في الشارع على دجلة الى البغيين وباب قطربل هشام بن عمرو التغلبي وعمارة بن حمزة وشهاب بن كثير المهندس »[٧٧] .

وذكر في مكان اخر من كتابه المعالم التي كانت في الاطراف الشرقية فقال « والربع من باب خراسان الى الجسر على دجلة وما بعد ذلك بازاءها الخلد ، وكان فيه المهدي قبل ان ينتقل الى قصره بالرصافة الذي بالجانب الشرقي من دجلة .

فاذا جاوز موضع الجسر ، فالجسر ، ومجلس الشرطة ، ودار صناعة الجسر فاذا جاوزت ذلك فأول القطائع قطيعة سليمان بن ابي جعفر من الشارع الاعظم

---

(٧٧) البلدان ٢٤٢ .

على دجلة ومن درب يعرف بدرب سليمان .

والى جنب قطيعة سليمان في الشارع الاعظم قطيعة صالح ابن امير المؤمنين المنصور وهو صالح المسكين ، مادة الى دار نجيح مولى المنصور التي صارت لعبدالله بن طاهر واخر قطيعة صالح قطيعة عبدالملك بن يزيد الجرجاني المعروف بابي عون وأصحابه الجرجانية .

ثم قطيعة تميم الباذغيسى متصلة بقطيعة ابي عون .
ثم قطيعة عباد الفرغاني واصحابه الفراغنة .
ثم قطيعة عيسى ابن نجيح المعروف بابن روضة وغلمان الحجابة .
ثم قطيعة الافارقة .
ثم قطيعة تمام الديلمي مما يلي قنطرة التبانين .
وقطيعة حنبل بن مالك .
ثم قطيعة البغيين أصحاب حفص بن عثمان ودار حفص التي صارت لاسحاق بن ابراهيم .
ثم السوق على دجلة في الفرضة .
ثم قطيعة لجعفر بن امير المؤمنين المنصور صارت لام جعفر ناحية باب قطربل تعرف بقطيعة ام جعفر .
ومما على القبلة قطيعة مرار العجلي وقطيعة عبدالجبار بن عبدالرحمن»[٧٨]

ذكرت المصادر بعض المعالم العمرانية التي وردت في نص اليعقوبي الذي وردناه اعلاه فقد ذكر الخطيب ان درب سليمان «منسوب الى سليمان بن ابي جعفر»[٧٩] وذكر ايضا «كانت دار سليمان قطيعة لهشام بن عمرو الفزاري»[٨٠] ، وانه كان قرب الجسر [٨١] ، وذكر الخطيب بعض من استوطن

---

(٧٨) البلدان ٢٤٩ ــ ٢٥٠ . (٧٩) الخطيب ٢٤/٩ .
(٨٠) الخطيب ٨٧/١ .
(٨١) الخطيب ٥٨/١١ ، وانظر الاوراق للصولى ٢٠٩ .

درب سليمان ، فممن ذكرهم ابو الخير [٨٢] وكانت فيه كتب الخرقي (ت ٣٠٥) [٨٣] .

أما درب صالح فكانت فيه دار البساسيري ، وهو قرب الحريم الطاهري [٨٤] .

أما البغيين فان الخطيب ذكر « البغيين اقطاع المنصور لهم ، وهو من درب سوار الى اخر ربض البرجلانية ، وفي البرجلانية منازل حمزة بن مالك »[٨٥] وذكر ايضا عن محمد بن ابراهيم بن حبيش البغوي « انما سمينا بالبغيين لانا من قرية من خراسان من مرو الروذ يقال لها بغشور ، وكان المنصور بنى لهم مسجد البغيين ، قال : وصلى المنصور في مسجدنا واستسقى فيه ماءا »[٨٦] .

وذكر الجهشياري ان ابراهيم بن جبريل بنى داره في البغيين [٨٧] ، وذكر طيفور « أصحاب الحطب في البغيين [٨٨] ، كما ذكر الخطيب ان ابن الصباغ نزل في البغيين [٨٩] .



---

(٨٢) الخطيب ٤١٦/١٤ .
(٨٣) الخطيب ٢٣٤/١١ ، وانظر طبقات الحنابلة ٧٥/٢ .
(٨٤) المنتظم ١٦٣/٨ .
(٨٥) الخطيب ٨٥/١ .
(٨٦) الخطيب ٤١٠/١ .
(٨٧) الجهشياري ١٩٤ .
(٨٨) تاريخ بغداد ٩٩ .
(٨٩) الخطيب ٣٩٤/٣ .

فهـرس اسماء الاعلام

(لا يدخل فيه من ذكر في الهوامش)

— أ —

— ب —

— خ —

— د —

— ش —

— ن —

فهرس اسماء الامكنة والمواضع الجغرافية

— ز —

— س —

— ش —

— ص —

— ط —

الموصل ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٨ ، ٧٨ ، ٩٩ ،
١١٢ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ،

— ن —

★ ★ ★

قائمة المحتويات

القسم الثاني



رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٧٦٢

لسنة ١٩٨٥

كمية الطبع ٣٠٠٠ نسخة



تاريخ انتهاء الطبع ٢٠/٥/١٩٨٥